

أَنِيسُ الأُدَبَاءِ

فِي أَخْبَارِ الخُلَفَاءِ وَالوُزَرَاءِ وَالأُمَرَاءِ

إعْداد
عَمَّار بن خميسي

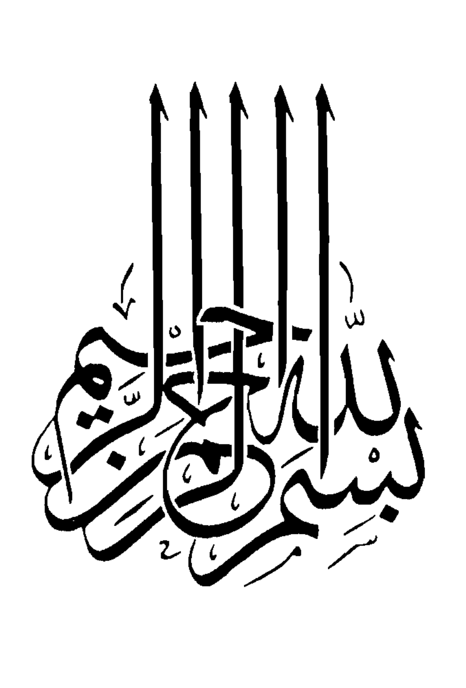
دار ابن حزم


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أنِيسُ الأُدَبَاءِ

في

أَخْبَارِ الخُلَفَاءِ وَالوُزَرَاءِ وَالأُمَرَاءِ


بسم الله الرحمن الرحيم

أنيس الأدباء

في

أخبار الخلفاء والوزراء والأمراء

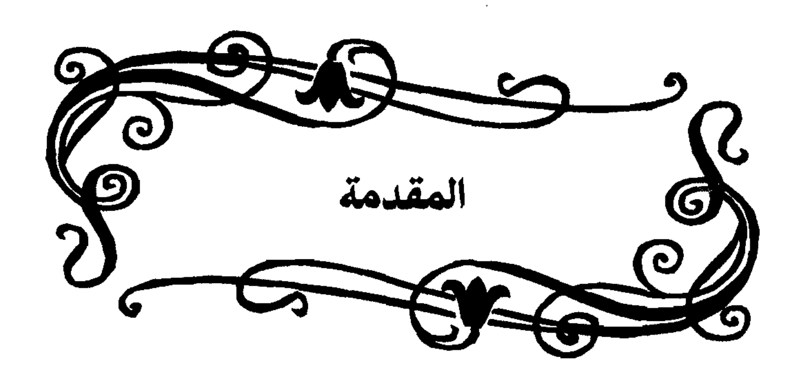
إعداد
عمار بن خميسي

دار ابن حزم

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

ISBN 978-9953-81-716-3

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb



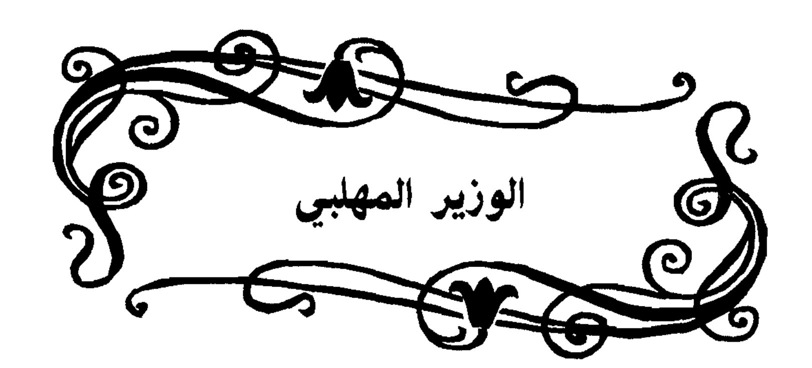
المقدمة

الحمد لله والصّلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلّم.
أمّا بعد:

هذا كتاب جديد أقدّمه إلى القرّاء الكرام جمعت فيه ما تعلّق بأخبار الخلفاء والوزراء والأمراء في جميع نواحي حياتهم السّياسية والاجتماعية والأدبية وغيرها.







الوزير المهلبي

قال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابي في الوزير المهلّبي:

قُلْ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمّدِ الَّذِي ... قَدْ أَعْجَزَتْ كُلَّ الوَرَى أَوْصَافُهُ

لَكَ فِي المَجَالِسِ مَنْطِقٌ يَشْفِي الجَوَى(١) ... ويَسُوغُ فِي أُذْنِ الأَدِيبِ سُلافُهُ(٢)

وَكَأَنَّ لَفْظَكَ جَوْهَرٌ مُتَنَخَّلٌ(٣) ... وَكَأَنَّمَا آذانُنَا أَصْدَافُهُ(٤)

والمهلّبي هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبدالله بن يَزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب، وزَرَ لأحمد بن بُوَيه الدَّيْلمي، وكانت وزارته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة، وكان أبو محمد من سَرَواتِ(٥) النّاسِ وأدبائهم وأجوادهم وأعفّائهم، وفيه يقول أبو إسحاق الصَّابي:

---

(١) «الجَوَى: هوًى باطن، والحُزنُ، وشِدَّةُ الوَجْدِ، والسُّلُّ، وتَطاول المرض، وداءٌ في الصَّدر. جَوِيَ جَوًى، فهو جَوٍ وجَوًى، وصف بِالمصدر».
[القاموس المحيط: ١٢٧١].

(٢) «السُّلافَةُ، كثُمَامَةٍ: الخَمْرُ، كَالسُّلافِ».
[نفسه ص٨٢٠].

(٣) «نَخَلَهُ وتَنَخَّلَهُ وانْتَخَلَهُ: صَفَّاهُ واخْتَارَه».
[القاموس المحيط: ١٠٦١].

(٤) «الصَّدَفُ، محرّكة: غِشَاءُ الدُّرِّ، الواحِدَةُ: بِهاءٍ، الجمع: أصداف».
[نفسه ص٨٢٦].

(٥) «السَّرْوُ: المروءة في شَرَفٍ. سَرُوَ، ككَرُمَ ودَعَا ورَضِيَ، سَرَاوَةً وسَرْواً وسَرْواً وسَرَاءً، فهو سَرِيٌّ الجمع: أَسْرِيَاءُ وسُرَوَاءُ وسُرَى».
[القاموس المحيط: ١٢٩٥].

نِعَمُ اللَّهِ كَالوُحوشِ فَمَا تَأْ ... لَفُ إلاَّ الأَخَايِرَ النُّسَّاكَا
نَفَّرَتْهَا آثَامُ قَوْمٍ وصَيَّرْ ... نَ لَهَا البِرَّ وَالتُّقَى أَشْرَاكَا[1]

وكان قبل اتّصاله بِالسُّلطان سائِحاً في البلاد، على طريق الفَقر والتَّصوّف، قال أبو علي الصُّوفي: كُنت معه في بعض أوقاته، أُمَاشِيه في إحدى طُرقاته، فَضَجِر لضيق الحال، فَقال:

ألاَ مَوْتٌ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ ... فَهَذَا العَيْشُ مَا لاَ خَيْرَ فِيهِ
ألاَ رَحِمَ المُهَيْمِنُ نَفْسَ حُرٌ ... تَصَدَّقَ بِالوَفَاةِ عَلَى أخِيهِ

ثُمّ تَصرَّف بِما يُرضيه الدَّهر، وبلغ المهلّبي مبلغه. قال أبو علي: دخلت البصرة فاجتزت بِسُرَّ مَنْ رَأى، وإذا أنا بِناشطيات وحَرّاقات وزيارب وطَيّارات في عُدَّة وعُدَدٍ.

فَسألت: لمن هذا؟ فقيل: للوزِيرِ المُهلّبي، ونَعتوا لي صَاحِبي، فَوصلت إليه حتى رأيته، فَكتبت إليه رُقعة، وتَوصّلت حتى دخلت فَسلّمت، وجَلست حتى خَلا مجلسه، فدفعت إليهِ الرّقعة وفيها:

ألاَ قُلْ لِلْوَزِيرِ بِلاَ اخْتِشَامِ ... مَقَالَ مُذَكِّرٍ مَا قَدْ نَسِيهِ
أَتَذْكُرُ إذْ تَقُولُ لِضِيقِ عَيْشٍ ... «ألاَ مَوْتٌ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ»

فنظر إليّ وقال: نَعم، ثُمّ نَهَضَ وأَنهضني معه إلى مَجلس الأنس، وجَعل يُذاكرني ما مَضَى، ويَذكرُ لي كيف تَرَقّت حاله، وقُدِّم الطَّعام فَطَعِمْنَا، وأقبل ثَلاثة مِن الغلمان على رأس أحدهم ثَلاث بِدَرٍ[2]، ومع الآخر تُخُوتٌ[3] وثِيابٌ، ومع الآخر طيب وبُخُور، وأقبلت بَغلة رائعة بِسَرْجٍ

---

(١) «الشَّرَكُ، محرّكة، حَبَائِلُ الصَّيْدِ، ومَا يُنْصَبُ للطَّير، الجمع: شُرُكٌ، بِضمّتين، نادِرٌ». [القاموس المحيط: ٩٤٥].

(٢) «البَدْرُ، وبِالهاء: كِيس فِيه ألفٌ أو عَشرة آلافِ دِرْهَمٍ، أو سبعة آلاف دِينارٍ». [القاموس المحيط: ٣٤٨].

(٣) «التَّخْتُ: وِعَاءٌ يُصَانُ فِيه الثِّيَابُ». [نفسه ص١٤٨].

ثَقيل، فَقال: يا أبا علي، تَفضَّل بقبول هذا، ولا تَتخَلّف عن حَاجَة تَعرِضُ لكَ، فَشكرته وانصرفت، فَلمّا هممتُ بِالخُروج من الباب استردَّني وأنشدني بَدِيها(١):

رقّ الـزَّمـان لِـفـاقـتـي ... ورَثَـى لِـطُـولِ تَـحَـرُّقِـي
وَأَنَـالَـنِـي مَـا أَرْتَـجِـي ... وَأَجَـازَ مِـمَّـا أَتَّـقِـي
فَـلأَغْـفِـرَنّ لَـهُ الـكَـثِـيـرَ ... مِـنَ الـذُّنُـوبِ الـسُّـبَّـقِ
إلاَّ جِـنَـايَـتَـهُ الـتِّـي ... فـعَـلَ الـمَـشِـيـبِ بِـمَـفْـرِقِـي(٢)

[«زهر الآداب» لأبي إسحاق الحصري، ضبطه وشرحه الدكتور تركي مُبارك، ج١/١٨٠ . ١٨٢].

❋ ❋ ❋

بين الواثق ومحمّد بن حَمّاد

كَتب محمد بن حمّاد يُعَرّض في حاجة لَه ببيتي شعر إلى الواثق يقول:

جَذَبْتُ دَوَاعِي النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ المُنَى ... وَقُلْتُ لَهَا كُفِّي عَنِ الطَّلَبِ المُزْرِي(٣)
فَـإِنَّ أَمِـيـرَ الـمُـؤمِـنِـينَ بِـكَـفِّـه ... مَـدَارُ رَحَـى بِـالـرِّزْقِ دَائِبَـة(٤) تَـجْـري

---

(١) «البَدِيهَةُ: أَوّلُ كُلّ شَيء، وما يَفْجَأُ مِنْهُ. وبَادَهَهُ بِهِ مُبَادَهَةً وَبِدَاهاً: فاجَأَهُ بِهِ».
[القاموس المحيط: ١٢٤٣].

(٢) «المَفرق، كمَقْعَدِ ومَجْلِسِ: وسطُ الرَّأسِ، وهو الذِي يُفْرَقُ فِيهِ الشَّعْرُ».
[القاموس المحيط: ٩١٧].

(٣) «زَرَى عَليه زَرياً وزِرَايَةً ومَزرِيَةً ومَزرَاةً وزُرْيَاناً، بِالضَّمّ: عَابَهُ، وعَاتَبَهُ، كَأَزْرَى، لكنه قَلِيلٌ، وتَزَرَّى».
[القاموس المحيط: ١٢٩٢].

(٤) «دَأَبَ في عَمَلِه، كمنع، دَأْباً، ويُحرّك، ودُؤُوباً، بِالضّمّ: جَدَّ وتَعِبَ، وأَدْأَبَهُ».
[نفسه ص٨٢].

فوقّع[١] تحتها: جذبك نفسك عن امتهانها بالمسألة دعاني إلى صونك بِسَعة فضلي عليك، فخذ ما طلبت هنيئاً.

[نفسه، ص٢٤٨].

❋ ❋ ❋

بين الحسن بن سهل وعلي بن عبيدة

قال علي بن عبيدة: أتيت الحسن بن سهل بفم الصُّلح، فأقمت بِبابه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بِطَائِل[٢]، فكتبت إليه:

مَدَحْتُ ابْنَ سَهْلٍ ذَا الأَيَادِي[٣] وَمَالَهُ بِذَاكَ يَدٌ عِنْدِي وَلاَ قَدَمٌ بَعْدُ
وَمَا ذَنْبُهُ وَالنَّاسُ إِلاَّ أَقَلَّهُمْ عِيَالٌ لَهُ إِنْ كَانَ لَمْ يَكُ لِي جَدّ
سَأَحْمَدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا لَهُ فِيَّ رَأْيٌ عَادَ لِي ذلك الحَمْدُ

فَكتب إِلَيَّ: باب السُّلطان يَحتاج إلى ثَلاثة خِلاَلٍ[٤]: عَقْلٌ وصَبْرٌ ومَال، فقلت للواسطة: تؤدّي عنّي؟ قال: نعم. قُلت: تقول له: لو كان لي مال لأغناني عن الطلب إليك، أو صَبر لصبرت عن الذُّلِّ بِبابك، أو عَقل لاسْتَدْلَلْتُ بِه على النَّزاهة عن رِفْدِك[٥]! فأَمَرَ لي بِثلاثين ألف درهم.

[نفسه ص٢٤٨].

---

(١) «التَّوْقِيعُ: مَا يُوَقَّعُ في الكتاب، يُقال: السُّرورُ تَوقيعٌ جَائِز».
[القاموس المحيط: ٧٧٣].
(٢) «الطَّوْلُ والطَّائِلُ والطَّائِلَةُ: الفَضْلُ، والقُدرة، والغِنَى والسَّعَةُ».
[نفسه ص١٠٢٧].
(٣) «اليَدُ: النِّعْمَةُ، والإحسانُ تَصطنعه الجمع: يُدِيٌّ، مُثلّثة الأوّل، وأَيْدٍ».
[القاموس المحيط: ١٣٤٧].
(٤) خصال.
(٥) «الرِّفْدُ، بِالكسرِ: العَطاء والصِّلَةُ».
[القاموس المحيط: ٢٨٣].



حكمة أردشير وحضّه على العلم

قيل لأردشير: أيّها الملك الرفيع الذي حَلَبَ العُصور، وجَرّب الدُّهور، أيّ الكنوز أعظمُ قَدراً؟ قال: العلم الذي خفَّ محمله، فثقلت مفارقته، وكثرت مرافقته، وخفي مكانه، فأُمِنَ من السَّرَقِ عليه، فهو في الملأ جمال، وفي الوحدة أنيس، يُرَأَسُ به الخَسيس، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك. قيل له: فالمال؟ قال: ليس كذلك. محمله ثقيل، والهَمُّ بِهِ طويل، إن كنت في ملأ شَغلك الفِكرُ فيه، وإن كنت في خَلوة أتعبتك حراسته.

[نفسه ص٢٥١].

***

أخلاق الملوك

قال الجاحظ: حدّثني الفضل بن سهل قال: كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا يجعلُ اختلافهم إليّ، فتكون المؤامرات فيما معهم من ديواني، فكنت أسأل رَجلاً رجلاً منهم عن سِيَرِ ملوكهم، وأخبار عُظمائهم، فسألت رسول ملك الرُّوم عن سِيرة ملكهم، فَقال: بَذَلَ عُرْفَهُ[(١)]، وجَرَّدَ سَيفه، فاجتمعت عليه القُلوب رغبة ورهبة، لا ينظر جُنده، ولا يُخرِجُ رعيّته، سهل النَّوال[(٢)]، حَزنُ[(٣)] النَّكَالِ[(٤)]، الرَّجاء والخوف معقودان في

(١) «العُرْفُ، بِالضَّمِّ: الجُودُ، واسمُ مَا تبذله وتُعطيه».
[القاموس المحيط: ٨٣٦].

(٢) «النَّوَالُ والنَّالُ والنَّائِلُ: العَطَاءُ».
[نفسه ص١٠٦٦].

(٣) «الحَزْنُ: مَا غَلُظَ من الأرضِ، كالحَزْنَةِ، وأَحْزَنَ صَارَ فيها».
[نفسه ص١١٨٩].

(٤) «النَّكَالُ والنُّكْلَةُ، بِالضَّمِّ، وكمَقْعَدٍ: مَا نَكَّلْتَ بِهِ غَيركَ كَائناً مَا كَانَ. وكسَمِعَ (نَكِلَ): قَبِلَ النَّكَال».
[القاموس المحيط: ١٠٦٥].

يَده. قُلت: فكيف حكمه؟ فقال: يَردّ الظُّلم، ويَرْدَعُ الظَّالم، ويُعطي كُلّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ، فالرَّعِيّة اثنيان: راضٍ، ومغتبط. قلت: فكيف هيبتُهم له؟ قال: يُتصور في القُلوب، فتغضي[١] له العُيون.

قال: فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائي إليه، وإقبالي عليه، فسأل التُّرجمان: ما الذي يقوله الرُّوميّ؟ قال: يذكر ملكهم، ويصف سيرته، فتكلّم مع التُّرجمان بِشيء، فقال لي التُّرجمان: إنّه يقول: إنّ ملكهم ذُو أَناةٍ[٢] عند القُدرة، وذُو حِلم عند الغَضب، وذُو سَطْوَة عند المُغالبة، وذُو عقوبة عند الاجترام، قد كَسَا رَعيّته جميل نعمته، وخوّفهم عَسْف[٣] نقمته، فهم يتراؤونه رأي الهِلال خيالاً، ويخافونه خوف الموت نكالاً، وَسِعَهم عدله، وردعتهم سطوته، فلا تَمْتَهِنُهُ[٤] مَزْحَةٌ، ولا تُؤمِّنه غفلة، إذا أعطى أوسع، وإذا عاقب أوجع، فالنّاس اثنان: رَاجٍ وخائِف، فلا الرَّاجي خائب الأمل، ولا الخائف بعيد الأجل. قُلت: فكيف هيبتهم له؟ قال: لا ترفع إليه العيون أجفانها، ولا تتبعه الأبصارُ إنسانها[٥]، كأنَّ رعيّته قَطاً[٦] رفرفت عليه صُقور صوائد.

فحدّثت المأمون بهذين الحديثين فقال: كم قيمتهما عندك؟ قُلت: ألفا درهم.

[نفسه ص٢٥٢].

---

(١) «أَغْضَى: أدْنَى الجُفُونَ، وأَغْضَى علَى الشَّيء: سَكَتَ».

[نفسه ص١٣١٨].

(٢) «الأَنَاةُ، كقَنَاةٍ: الحِلْمُ والوَقَارُ، كالأَنَى».

[القاموس المحيط: ١٢٦٠].

(٣) «عَسَفَ عن الطَّريق يَعْسِفُ: مَالَ، وعَدَلَ، كاعْتَسَفَ وتَعَسَّفَ، أو خَبَطَهُ على غير هداية، والسُّلْطَانُ: ظَلَمَ».

[القاموس المحيط: ٨٣٧].

(٤) «امْتَهَنَه: اسْتَعمله للمهنةِ فامْتَهَنَ هُوَ، لازِم مُتعدّ».

[نفسه ص١٢٣٦].

(٥) «الإِنْسَانُ: المِثَالَ يُرَى في سَوادِ العَين. الجمع: أَنَاسِيُّ».

[القاموس المحيط: ٥٣١].

(٦) «القَطَاةُ: طائِرٌ الجمع: قَطاً وقَطَوَاتٌ».

[نفسه ص١٣٢٥].

من كلام الملوك الجاري مَجرى الأمثال

أردشير: إذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرَّعية عن الطاعة.

أَفريدون: الأيّام صحائف آجالكم، فَخَلِّدُوها أحسن أَعمالكم.

وقيل **للإسكندر**: ما بال تَعظيمك لمؤدّبك أكثر من تعظيمك لأبيك؟

قال: لأن أبي سبب حياتي الفانية ومُؤدِّبي سبب حَياتي الباقية.

ودخل محمد بن زياد مؤدِّب الواثق على الواثق، فأظهر إكرامه، وأكثر إعظامه، فقيل له: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أوّل من فتق لساني بذكر الله، وأدناني من رحمة الله.

وأُشير على الإسكندر بتَبْيِيتِ[1] الفُرس، فقال: لا أجعل غلبتي سرقة. وقيل له: لو تزوّجت بنت دارا؟ فقال: لا تغلبني امرأة غلبت أباها.

أنوشروان: الملك إذا كثر ماله ممّا يأخذ من رعيّته كان كمن يعمّر سطح بيته بِما يقتلعه من قواعد بُنْيَانِه.

أبرويز: أَطِعْ من فَوْقَكَ يُطِعْكَ من دُونك.

السَّفاح: إنّ مِنْ أَدنى النّاس ووُضَعَائِهِمْ[2] مَنْ عَدَّ البُخْلَ حَزْماً، والعَفْوَ ذُلاً.

وكان يقول: إذا كان الحلم مفسدة كان العفو مَعْجَزَة، والصَّبر حَسن إلاّ على ما أوقع بِالدِّين، وأوهى السُّلطان، والأناة محمودة إلاّ عند إمكان الفُرصة.

---

(١) «بَيَّتَ العَدُوَّ: أوقعَ بِهِم لَيْلاً». [القاموس المحيط: ١٤٨].

(٢) «الوَضِيعُ: المَحْطُوطُ القَدْرِ». [القاموس المحيط: ٧٧٢].

وقد قال ابن المعتزّ:

كَمْ فُرْصَةٍ ذَهَبَتْ فَعادَتْ غُصّةً[١] تُشْجِي[٢] بِطُولِ تَلَهُّفٍ وتَنَدُّمِ

ولمّا عزم المنصور على الفتك بأبي مُسلم فزع من ذلك عيسى بن مُوسى، فكتب إليه:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتعجَّلاَ

فأجابه المنصور:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَن تَتَرَدَّدا
وَلاَ تُمْهِلِ الأَعْدَاءَ يَوْماً بِغُدْوَةٍ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدا

...وقال سعد بن ناشب فأفرط[٣]:

عَلَيْكُمْ بِدَارِي فَاهدموها فإنّها تُرَاثُ[٤] كَرِيم لا يَخَافُ العَواقِبَا
إذا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ونَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا
وَلَم يَسْتَشِرْ في رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إلاَّ قَائِمَ السَّيفِ صَاحِبا
سَأَغْسِلُ عَنّي العَارَ بالسَّيفِ جَالِباً عليّ قضاء اللَّهِ مَا كَان جَالِبا

---

(١) «الغُصَّةُ، بِالضَّمّ: الشَّجَا الجمع: غُصَصٌ، وما اعْتَرَضَ في الحَلْقِ فَأَشْرَقَ».
[القاموس المحيط: ٦٢٥].

(٢) «شَجَاهُ: حَزَّنَهُ، وطَرَّبَهُ، كأَشْجَاهُ فِيها، ضِدٌّ».
[نفسه ص١٢٩٨].

(٣) وأوّل هٰذه القطعة:
سأغسل عنّي العار بالسَّيفِ جَالباً عليّ قضاء الله ما كان جالبا
وأذهل عن داري وأجعل هدمها لعرضي من باقي المذمّة حاجبا
(المحقّق)

(٤) «وَرِثَ مَالَ أبيه ثُمّ قِيلَ وَرِثَ أَبَاهُ مَالاً يَرِثُهُ وِرَاثَةً أَيضاً. والتُّرَاثُ بالضَّمّ والإرْث كذٰلك والتَّاءُ والهَمْزَةُ بَدَلٌ مِنَ الوَاوِ».

[المِصْبَاحُ المُنير: ٢٥١].

وَيَصْغُرُ في عَيْنِي تِلاَدِي[١] إذَا انْثَنَتْ[٢] يَـمِيـنِـي بِـإِدْرَاكِ الـذِي كُـنْـتُ طـالِـبَـا

وكان سعدُ من مَرَدَة[٣] العربِ وشياطين الإنس، وفيه يقول الشّاعر:

وَكَيْفَ يُفِيقُ الدَّهْرَ سَعْدُ بنُ نَاشِبٍ وَشَـيْـطَـانُـهُ عِـنْـدَ الأَهِـلَّـةِ يُـصـرعُ

كتب مروان بن محمد الجَعْدِيّ إلى عبدالله بن علي يسأله حفظ حرمه، فقال له: الحَقّ لنا في دَمك، وعلينا في حُرِمك.

وقال الرَّشيد لإسماعيل بن صبيح: إيَّاك والدَّالّة[٤] فإنّها تُفسد الحرمة، ومنها أُتي البَرامكة.

وقال المأمون: الملوك تحتمل كلّ شيء إلاّ ثلاثاً: إفشاء السّرّ، والقدح في الملك، والتَّعرض للحرم.

المعتصم: إذا نُصِر الهوى بطل الرَّأي.

المُنتصر: لذّة العَفوِ أطيب مِن لذّة التَّشَفِّي، وذلك أنّ لذَّة العفوِ يلحقها حمدُ العاقبة، ولذّة التَّشفي يلحقها ذَمُّ النَّدَم.

والمنتصر يقول عن تجربة، لأنّه قتل أباه المتوكّل.

[نفسه ص٢٥٦ ـ ٢٥٩].

* * *

(١) «التَّالِدُ، كصَاحب، والتِّلْدُ، بِالفتح والضّمّ والتَّحريك، والتِّلاَدَ والتَّلِيدُ والإتْلاَدُ والمُتْلَدُ: مَا وُلِدَ عندك مِن مَالِك أو نُتِجَ».
[القاموس المحيط: ٢٧٠].

(٢) «ثَنَى أي الشَّيء، كسَعَى: رَدَّ بعضه عَلَى بَعضٍ، فَتَثَنَّى وانْثَنَى واثْنَوْنَى: انعَطَفَ».
[نفسه ص١٢٦٧].

(٣) عُتَاةُ العَربِ.

(٤) الدَّالَّةُ: ما تَدلّ به على صديقك من خير قدّمته.

بين الثُّريَّا بنت علي والوليد بن عبدالملك

كانت الثُّريّا بنت علي بن عبدالله بن الحارث بن أميّة الأصغر موصوفة بالجمال، وتزوّجها سهيل بن عبدالرَّحمن بن عوف الزُّهريّ، فنقلها إلى مِصر، وفي ذلك يقول عُمر بن أبي ربيعة، وضَرب لهما المثل بِالنَّجمين:

أَيُّهَا الـمُـنْـكِـحُ الـثُّـرَيَّـا سُـهَـيْـلاً ... عَـمْـرَكَ[1] الـلَّـهَ كَـيْـفَ يَـلْـتَـقِـيَـان؟

هِـيَ شـامِـيَّـةٌ إِذَا مَـا اسْـتَـقَـلَّـتْ[2] ... وسُـهَـيْـلٌ[3] إِذَا اسْـتَـقَـلَّ يَـمَـانـي

فمات سُهيل عنها، أو طلّقها، فخرجت إلى الوليد بن عبدالملك وهو خليفة دمشق تَطلبه في دين عليها، فبينا هي عند أُمّ البنين ابنة عبدالعزيز إذ دَخل الوليد فقال: مَن هذه عندك؟ قالت: الثُّرَيَّا، جاءتك تطلب في دين ارتكبها، فأقبل الوليد عليها، فقال: أتروين من شعر عُمر بن أبي ربيعة شيئاً؟ قالت: نعم، أما إنّه رحمه الله كان عَفِيفاً، عفيف الشِّعر، أروي له قوله:

ما على الرَّسْم[4] بِالبُلِينِ[5] لو بيّـ ... ـنَ رجـع الـسَّـلام أَوْ لَـوْ أَجـابـا

فـإِلَـى قَـصْـرِ ذِي الـعُـشَـيْـرَةِ بِـالـصَّـا ... ئِـف أَمْـسَـى مِـنَ الأنِـيـسِ يَـبَـابَـا[6]

---

(١) «عَمْرَ الله ما فعلتَ كذا، وعَمْرَكَ الله ما فَعلت كذا، أصله: عَمَّرْتُكَ الله تَعميراً، وأُعمِّرك الله أَنْ تَفعَلَ، تُحَلِّفهُ بِالله، وتَسأله بِطُول عُمْرِه».
[القاموس المحيط: ٤٤٤].

(٢) «اسْتَقَلَّهُ: حَمَلَهُ ورَفَعَهُ، كقَلَّهُ وأَقَلَّهُ».
[القاموس المحيط: ١٠٤٩].

(٣) «سُهَيْلٌ: نَجْمٌ عِند طُلُوعه تنضج الفواكه وينقضي القَيظُ».
[نفسه ص١٠١٧].

(٤) «الرَّسْمُ: الأَثَرُ، أو بقيّته، أو ما لا شَخص له من الآثار، الجمع: أَرْسُمٌ ورُسُومٌ».
[القاموس المحيط: ١١١٣].

(٥) اسم موضع.

(٦) «أرضٌ يَبَابٌ، أي: خَرَابٌ».
[القاموس المحيط: ١٤٥].

وَبِـمَـا قَـدْ أَرَى بِـهِ حَـيَّ صِـدْقٍ ظَـاهِـرِي الـعَـيْـشِ نِـعْـمَـةً وشَـبَـابَـا
وحِـسَـانـاً جَـوَارِيـاً خَـفِـرَاتٍ[١] حَـافِـظَـاتٍ عِـنْـدَ الـهَـوَى الأَحْـسَـابَـا
لا يُـكَـثِّـرْنَ بِـالـحَـدِيـثِ وَلا يَـتْـبَـعْنَ يَنْعقْنَ[٢] بِالبِهَامِ[٣] الظِّرَابَا[٤]

فلمّا خَلا الوليد بِأمّ البَنين قال: لله دَرُّ[٥] الثُّرَيَّا، أتدرين مَا أَرادت بإنشادها ما أنشدت من شِعر عُمر؟ قالت: لا، قال: فإنّي لما عَرَّضْتُ[٦] لها بِعُمر عرّضت بأنّ أمّي أعرابيّة، وأمّ الوليد ولاّدة ابنة العَبّاس بن جُزء بن الحارث بن زُهير العَبسيّ، وهي أمّ سُليمان، ولا تُعلم امرأة ولدت خليفتين في الإسلام غيرها، وغير الخَيزُران، وهي سَبيَّةٌ[٧] مِن خَرشنة، ولدت موسى الهادي وهارون الرَّشيد ابني محمد المهدي، وشاهسفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كِسرى أبرويز، فإنّها ولدت للوليد بن عبدالملك يَزيد بن الوليد النّاقص وإبراهيم بن الوليد المخلوع، جَلس في الخلافة بعد

---

(١) «الخفَرُ، محرّكة: شِدّة الحَياء، كالخَفَارَةِ والتَّخَفُّر، خَفِرَتْ كفَرِحَ، وهي خَفِرَةٌ وخَفِرٌ ومِخْفَارٌ الجمع: خَفَائِر».

[نفسه ص٣٨٦].

(٢) «نَعَقَ بِغنمه، كمنع وضَرَب، نَعْقاً ونَعِيقاً ونُعَاقاً ونَعَقَاناً: صَاحَ بِها وزجَرَهَا».
[القاموس المحيط: ٩٢٦].

(٣) «البَهيمةُ: كُلّ ذات أربع قَوائم ولو في الماء، أو كلّ حَيّ لا يُمَيِّزُ، الجمع: بَهَائم. والبَهْمَةُ: أَولاد الضَّأنِ والمَعَزِ والبَقَرِ، الجمع: بَهْمٌ، ويُحَرّكُ، وبِهَامٌ جمع الجمع: بِهَامَاتٍ».

[نفسه ص١٠٨١].

(٤) «الظَّرِبُ، ككتفٍ: مَا نَتَأ مِنَ الحِجَارة وحُدَّ طَرفه، أو الجَبل المُنْبَسِطُ، أو الصَّغِيرُ، الجمع: ظِرَابٌ».

[نفسه ص١١٠].

(٥) «لِلّه دَرُّهُ، أي: عَمله».

[القاموس المحيط: ٣٩١].

(٦) «التّعريضُ: خِلاف التَّصريح».

[نفسه ص٦٤٧].

(٧) «سَبَى العَدُوّ سَبْياً وسِبَاءً: أَسَرَهُ، كاسْتَبَاهُ، فَهو سَبِيٌّ وهي سَبِيٌّ أيضاً، الجمع: سَبَايَا».
[القاموس المحيط: ١٢٩٣].

أخيه يزيد مدّة يَسيرة، ثمّ جاء مروان بن محمد بن مروان آخر ملوك بني أميّة فَخلعه وولّي بَعده.

وشبيه بقول الثُّرَيَّا في باب التَّعريض أنّه دخلت عَزَّة على عبدالملك بن مروان فقال لها: أنت عزّة كُثَيِّر؟ قالت: أنا أمّ بكر الضَّمرية، قال لها: يا عَزَّة هل ترويين من شعر كُثَيِّر شيئاً؟ قالت: ما أعرفه، ولكن سمعت الرُّواة ينشدونه له:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ[١] وعَزَّةُ مَمْطُولٌ[٢] مُعَنًّى[٣] غَرِيمُها

قال: فترويين قوله:

وَقَدْ زَعَمَتْ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا ومَنْ ذَا الذِي يَا عَزُّ لا يَتَغَيَّرُ
تَغَيَّر حَالِي والخَلِيقَة كالذي عَهِدْتِ وَلَمْ يُخْبَرْ بِسِرِّك مُخبر

قالت: سمعت هذا، ولكن سمعتهم يُنشدون:

كَأَنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ مِنَ الصُّمِّ[٤] لَوْ تَمْشِي بِهَا العُصْمُ[٥] لَزَلَّتِ
غَضُوباً فَمَا تَلْقَاكَ إلاَّ بَخِيلَةً فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الوَصْلَ مَلَّتِ

[نفسه ص٢٩٠ ـ ٢٩١].

---

(١) «الغَرِيمُ: الدَّائِنُ والمَدْيُونُ، ضِدٌّ».
[القاموس المحيط: ١١٤٢].

(٢) «المَطْلُ: التَّسْوِيفُ بِالعِدةِ والدَّيْن، كالامتطال والمُماطلةِ والمِطَال، وهو مَطُولٌ ومَطّالٌ».
[نفسه ص١٠٥٧].

(٣) «عَنَاهُ الأمرُ يَعْنِيهِ ويَعْنُوهُ عِنَايَةً وعَنَايَةً وعُنِيًّا: أَهَمَّهُ. واعتنى به: اهْتَمَّ. وعُنِيَ، بِالضَّم عِنَايَةً».
[نفسه ص١٣١٦].

(٤) «حَجَرٌ أَصَمُّ. وصَخْرَةٌ صَمَّاءُ: صُلْبٌ مُصْمَتٌ».
[القاموس المحيط: ١١٣٠].

(٥) «الأَعْصَمُ مِنَ الظِّبَاءِ والوُعُول: مَا في ذِراعيه أو في أحدهما بَيَاضٌ وسَائِرُهُ أسودُ أو أحمرُ، وهي عَصماءُ، وقَد عَصِمَ، كفَرِحَ».
[نفسه ص١١٣٨].

بين سليمان بن عبدالملك وأعرابي

قال أعرابيّ لسليمان بن عبدالملك: إنّي أكلّمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله[١]، فإنّ وراءه إن قبلته ما تُحبّه، قال: هَاتِهِ يا أعرابيّ، فنحن نجودُ بِسعةِ الاحتمال على مَنْ لا نأمن غيبته، ولا نرجو نصيحته، وأنت المأمونُ غيباً، النّاصِح جَيْباً[٢]. قال: قال: فإنّي سأطلق لساني بما خَرِسَت عنه الألسن، تأدية لحقّ الله تَعالى، إنّه قد اكْتَنَفَكَ[٣] رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم، وابتاعوا دُنياك بِدينهم، ورضاك بِسخط رَبِّهم، وخافوك في الله ولم يخافوا الله فِيك، فهم حَرْبٌ للآخرة، سِلْمٌ للدُّنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنّهم لم يَألُوا[٤] الأمانة تضييعاً، والأمّة كَسْفاً[٥] وخَسْفاً[٦] وأنت مسؤول عمّا اجترموا[٧]، فإنّ أعظم النّاس عندك غَبَناً مَن باع آخرته بِدُنيا غيره.

فقال سليمان: أمّا أنت يا أعرابيّ فقد سللت لسانك وهو سَيفك، قال: أجل يا أمير المؤمنين، لَكَ لا عليك.

[نفسه ص٣٠٣].

---

(١) «احْتَمَلَ الأَمْرَ: أطاقَهُ، صَبَرَ عَليه».

[المنجد الأبجدي: ٢٣].

(٢) «هو نَاصِحُ الجَيْب، أي: القلب والصَّدر».

[القاموس المحيط: ٧٠].

(٣) «اكتَنَفُوا فُلاناً: أحاطوا بِهِ، كَتَكَنَّفُوهُ».

[نفسه ص٨٥١].

(٤) «آلَ الملكُ رَعيَّته إِيَالاً: سَاسَهُم، وعلى القوم أَوْلاً وإِيَالاً وإِيَالاً: وَلِيَ، والمالَ: أصلحهُ وسَاسَهُ».

[القاموس المحيط: ٩٦٣].

(٥) «كَسَفت الشمسُ، والقَمرُ كُسوفاً: احْتَجَبَا، كانْكَسَفا».

[نفسه ص٨٤٨].

(٦) «خَسَفَ القَمَرُ: كَسَفَ، أو كَسَفَ للشَّمسِ، وخَسَفَ للقَمر، أو الخُسُوفُ: إذا ذَهَبَ بَعضهما».

[نفسه ص٨٠٤].

(٧) «جَرَمَ فُلانٌ: أذنبَ، كأَجْرَمَ واجْتَرَمَ، فهو مُجْرم وجَرِيم».

[القاموس المحيط: ١٠٧٨].

الرّشيد يحبس أبا العتاهية على ترك الشّعر

لمّا قدم الرّشيد الرَّقّة أظهر أبو العتاهية[١] الزّهد والتَّصوُّف وترك الغزل، فأمره الرَّشيد أن يتغزّل، فأبى، فَحبسه، فغنّى بقوله:

خَلِيلَيَّ مَا لِي لاَ تَزَالُ مَضَرَّتِي ... تَكُونُ عَلَى الأَقْدَارِ حَتْماً مِنَ الْحَتْمِ
كَفَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي ... فَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلْمِ
أَلاَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِسْمِي وقُوَّتِي ... أَلاَ مُسْعِدٌ[٢] حَتَّى أَنُوحَ عَلَى جِسْمِي

فأمر بإحضاره، وقال: بالأمس ينهاك أمير المؤمنين المهدي عن الغَزل، فتأبى إلاّ لَجَاجاً[٣] ومَحْكاً[٤]، واليوم آمرك بالقول فتأبى جُرأة عليّ وإقداماً، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الحَسناتِ يُذهبن السَّيِّئات، كنت أقول الغَزل ولي شَبَاب وجِدَةٌ[٥]، وبي حراك وقُوّة، وأنا اليوم شيخ ضَعيف لا يحسن بِمثلي تَصابٍ[٦]، فردّه إلى حبسه، فكتب إليه:

أَنا اليوم لي وَالحَمْدُ لِلَّهِ أَشْهُرُ ... يَرُوحُ عَلَيَّ الغَمُّ مِنْكَ وَيَبْكُرُ

---

(١) «أبو العتاهية، ككراهيّة: لَقَبُ أبي إسحاق إسماعيل بن أبي القاسم بن سويد، لا كنيته، ووهم الجوهريّ».
[القاموس المحيط: ١٢٤٩].

(٢) «أَسْعَدَهُ: أعانَه».
[القاموس المحيط: ٢٨٨].

(٣) «اللَّجَاجُ واللَّجَاجَة: الخُصُومَة، لَجِجْتَ، بِالكسرِ، تَلَجُّ، ولَجِجت، تَلِجُّ».
[نفسه ص٢٠٣].

(٤) «مَحَكَ، كمنعَ: لَجَّ، فهو مَحِكٌ، ككَتِفٍ، ومُمَاحِكٌ ومَحْكَانُ ومُتَمَحِّكٌ».
[نفسه ص٩٥٣].

(٥) «وَجَدَ في المالِ وجْداً بضمِّ الوَاوِ وفتحها وكسرها وجِدَةً أيضاً بِالكسر أي استغنى».
[مختار الصِّحاح: ٢٩٦].

(٦) «صَبِيَ، كرَضِيَ: فَعَلَ فِعْلَهُ، وإليها: حَنَّ، كصَبَا صَبْوَةً وصُبْوَةً وصُبُوًّا. وأَصْبَتْهُ المرأةُ، وتَصَبَّتْهُ: شاقَته ودعته إلى الصِّبَا فَحَنَّ إليها. وتَصَبَّاهَا وتَصَابَاها: خَدَعها وفتنها».
[القاموس المحيط: ١٣٠٢].

تَذَكَّرْ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وحُرْمَتِي ... ومَا كُنتَ تُولِينِي لَعَلَّكَ تَذْكُرُ
لَيَالِيَ تُدْنِي مِنْكَ بالقُرْبِ مَجْلِسِي ... وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ البَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِيَ بِالعَيْنِ التِي كُنْتَ مَرَّةً ... إلَيَّ بِهَا مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

فبعث إليه: لا بأس عليك، فقال:

كَأَنَّ الخَلْقَ رُكِّبَ فِيهِ رُوحٌ ... لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسُ
أَمِينَ اللَّهِ إنَّ الحَبْسَ بَأْسٌ ... وَقَدْ وَقَّعْتَ: لَيْسَ عَلَيْكَ بَاسُ

فأخرجه.

أخذ البيت الأوّل من هٰذين عليّ بن جبلة وزاد فيه، فقال لأبي غانم الطُّوسي:

دِجْلَةُ تَسْقِي وَأَبُو غَانِمٍ ... يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِي مِنَ النَّاسِ
والخَلْقُ جِسْمٌ وَإِمَامُ الهُدَى ... رَأْسٌ وَأَنْتَ العَيْنُ فِي الرَّاسِ

. [نفسه ص٣٨٣ ـ ٣٨٤].

***

ابن الزَّيَّات يمدح الحسن بن سهل:

مدح ابن الزّيّات الحسن بن سَهْلٍ في وزارته للمأمون، وأعطاه عشرة آلاف درهم، فَقال:

لَمْ أَمْتَدِحْكَ رَجَاءَ المَالِ أَطْلُبُهُ ... لَكِنْ لِتُلْبِسَنِي التَّحْجِيلَ وَالغُرَرَا
مَا كَانَ ذلِكَ إلاَّ أَنَّنِي رَجُلٌ ... لاَ أَقْرَبُ الوِرْدَ[1] حَتَّى أَعْرِفَ الصَّدَرَا[2]

[نفسه ص٣٩٣].

---

(١) «الوِرْدُ، بِالكسر: الإشْرَافُ على الماء وغَيره، دَخَله أو لم يدخله، كالتَّوَرُّدِ والاستيرادِ، وهو وَارِدٌ ووَرَّادٌ من وُرَّادٍ وواردِينَ».

[القاموس المحيط: ٣٢٥].

(٢) «الصَّدْرُ: الرُّجوع، كالمصدرِ، يَصْدُرُ ويَصْدِرُ، والاسمُ: بِالتَّحريك، ومنه طَوَافُ الصَّدَرِ».
[نفسه ص٤٢٣].

كُثَيِّر عند عبدالعزيز بن مروان وهو مريض

دخل كُثيِّر على عبدالعزيز بن مروان وهو عَليل، وأهله يتمنوه أن يبتسم، فقال: لولا أنّ سرورك لا يتمّ بأن تَسلم وأسقم لدعوت الله أن يصرف ما بِك إليّ، ولكنّي أسأل الله أيّها الأمير العافِية لك ولي في كَنَفِكَ[1]، فضحك وأمر له بِمال فخرج وهو يقول:

لَيْتَ التَّشَكِّي كَان بِالعُوَّادِ وَنَعُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا
بِالمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي[2] وَتِلادِي لَوْ كَانَ تُقْبَلُ فِدْيَةٌ لَفَدَيْتُهُ

[نفسه ص٤١٣].

* * *

بين طاهر بن عبدالله وابن أبي تَمّام

لمّا ولي طاهر بن عبدالله بن طاهر خراسان دخل الشُّعراء يُهَنِّئونه، وفيهم تمّام بن أبي تمَّام فأنشده:

مَا مِنْ جَزِيلٍ[3] المُلْكِ أَعْطَاكَا هَنَّاكَ رَبُّ النَّاسِ هَنَّاكَا
وَالبَأْسِ وَالإِنْعَامِ عَيْنَاكَا قَرَّتْ[4] بِمَا أُعْطِيتَ يَا ذَا الحِجَى[5]

---

(١) الكَنَفُ: الظِّلُّ والجَانِبُ والنَّاحية، والحِرز.

(٢) «الطُّرْفَةُ، بِالضَّمِّ: الاسمُ مِن الطّريفِ والمُطرِفِ والطّارف: للمال المستحدث».
[القاموس المحيط: ٨٣١].

(٣) «الجَزلُ: الكَثِيرُ مِن الشّيء، كالجَزيلِ، الجمع: كجِبالٍ، والكريمُ المعطاءُ».
[القاموس المحيط: ٩٧٦].

(٤) «قَرَّتْ عَيْنُهُ تَقَرُّ، بِالكسر والفتح: قَرَّةً وتُضَمُّ، وقُرُوراً: بَرَدَت، وانقطع بُكَاؤها، أو رأت ما كانت مُتشوِّقة إليه».
[القاموس المحيط: ٤٦١].

(٥) «الحِجَا، كإِلَى: العَقلُ والفِطنة، والمقدارُ الجمع: أَحْجَاءٌ».
[نفسه ص١٢٧٢].

أَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِمَا نِلْتَهُ وَأَوْرَقَ العُودُ بِجَدْواكَا[١]

فاستضعف الجماعة شعره، وقالوا: يا بُعْدَ ما بَيْنَه وبين أبيه! فقال طاهر لبعض الشُّعراء: أجبه، فَقال:

حَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ حَيَّاكَا إنَّ الذي أَمَّلْتَ أَخْطَاكَا
فَقُلْتَ قَوْلاً فِيهِ مَا زَانَهُ وَلَوْ رَأى مَدْحاً لآسَاكَا[٢]
فَهَاكَ إنْ شِئْتَ بِهَا مِدْحَةً[٣] مِثْل الذِي أَعْطَيْتَ أَعْطَاكَا

فقال تَمّام: أعزّ الله الأمير، وإنّ الشّعرَ بِالشّعر رِباً، فاجعل بينهما صَنْجاً[٤] من الدَّراهم حتّى يحلّ لِي ولك! فضحك وقال: إلاّ يكن معه شِعرُ أبيه، فمعه ظُرف[٥] أبيه، أعطوه ثلاثة آلاف درهم! فقال عبدالله بن إسحاق: لو لم يُعط إلاّ لقول أبيه في الأمير أبي العبّاس - رحمه الله - يريد عبدالله بن طاهر:

يَقُولُ في قَوْمَسٍ[٦] صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا السُّرَى[٧] وَخُطَا المَهْرِيَّةِ[٨] القُودِ

---

(١) العَطيّة.

(٢) «الإِسوة، بالكسرِ والضَّمّ: ممّا يأتسي به الحزينُ الجمع: إساً، بِالكسرِ ويُضمُّ. وأَسَّاهُ تأسِيَةً فتأَسّى: عَزَّاه فتعزَّى».
[القاموس المحيط: ١٢٥٩].

(٣) «مَدَحه، كمَنَعَهُ، مَدْحاً ومِدْحَةً: أحسنَ الثناءَ عليها».
[نفسه ص].

(٤) «الصَّنجُ: شيء يُتّخَذُ مِنْ صُفرٍ، يُضربُ أحدها على الآخر، وآلة بأوتارٍ يُضرب بِها مُعَرَّب».
[القاموس المحيط: ١٩٦].

(٥) «الظَرْفُ: الكِياسَةُ، ظَرُفَ، ككَرُمَ ظَرْفاً وظَرافَةً، قَليلة، فهو ظَرِيف مِن ظرفاء وظُرُفٍ ككُتب، وظِرافٍ وظَرِيفينَ وظُرُوف».
[نفسه ص٨٣٤].

(٦) «القَوْمَسُ: الأميرُ، ومُعظم ماءِ البحر، كالقاموس».
[القاموس المحيط: ٥٦٧].

(٧) «السُّرَى، كالهُدَى: سَيْرُ عامّة اللّيل، ويُذكَّرُ. سَرَى يَسْرِي سُرًى ومَسْرًى، وسَرْيَةً، ويُضمّ، وسِرَايَةً».
[نفسه ص١٢٩٤].

(٨) «مَهْرَةُ بن حَيْدَان؛ بالفتح: حَيٌّ. والإبل المهرية منه الجمع: مَهَارَى ومَهَارٍ ومَهَارِيٌّ».
[نفسه ص٤٧٨].

أَمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَؤُمَّ[1] بِنَا؟ فَقُلْتُ: كَلاَّ وَلَكِنْ مَطْلِعَ الجُودِ

فقال: ويعطى بهذا ثلاثة آلاف.

وكان سبب ولاية طاهر خُراسان بعد أبيه ما حدّث به أبو العيناء قال: كُنّا عند أحمد بن أبي داود، فجاء الخبر أنّ الكتب وردت على الواثق من خُراسان بِوفاة عبدالله بن طاهر، وأنّ الواثق يُعزّي عنه، وأنّه قد ولّى مكانه خُراسان إسحاق بن إبراهيم وكان عدوّاً له لانخراطه في سلك ابن الزّيّات، فلبس ثيابه ومَضى، وقال: لا تبرحوا حتّى أعود إليكم، فلبث قَليلاً ثمّ عاد إلينا فحدّثنا أنّه دخل على الواثق فَعزّاه عن عبدالله وجلس، قال: فقال لي الواثق: قد ولّينا إسحاق خُراسان، فما عندك؟ قلت: وفّق الله أمير المؤمنين ولا نذمُّه. قال: قُل ما عندك في هذا. قُلت: أَمر قد أُمضي، فما عسيت أن أقول فِيه. قال: لتفعلنَّ. فقلت: يا أمير المؤمنين، خُراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه، وكلّ من بها صَنَائِعُهُمْ[2]، وقد خلّف عبدالله عشر بَنين أكثرهم رِجال، وجميع جيشِ خُراسان لهم عبِيدٌ أو مَوَالٍ أو صَنائِعُ، وسيقولون: أما كان فينا مُصطنع؟ وكان يَجب أن يجرّبنا أمير المؤمنين، فإنْ وَفينا بِما كَان يفي بِهِ أَبونا وجَدُّنَا، وإلاّ استبدل منّا بعد عُذر فينا، ويقدّم خراسان إسحاقُ وهو رجل غريب فينافسه هؤلاء، ويتعصّب أهلها لهم، فينتفض ما أُبرِمَ، ويفسد ما أصلح. قال: صدقت يا أبا عبدالله، والرّأي ما قُلت. اكتبوا بعهد طاهر بن عبدالله على خراسان. فكتبت كُتب طاهر، وحرقت كتب إسحاق، فخرجت الزّنج تطيرُ بها، ثُمّ لقيني إسحاق داخلاً، فقلت: يا أبا الحسن لا عَدِمت عداوة رجل أزال عنك ولاية خراسان بكلمة.

[نفسه ص٤٣٢].

* * *

---

(١) تقصد.

(٢) «صَنَعَ إليه معروفاً، كمَنَعَ صُنعاً بِالضّمِّ، وصَنَعَ به صَنيعاً قَبِيحاً: فَعَلَهُ». [القاموس المحيط: ٧٣٨ ـ ٧٣٩].

بين المعتصم وأبي تمّام

لمّا أنشد أبو تمّام قصيدته في المعتصم:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنبَاءِ مِنَ الكُتُبِ ....

قال له: لقد جَلَوْتَ[1] عروسك يا أبَا تمّام فأحسنت جلأَها. قال: يا أمير المؤمنين، والله لو كانت من الحُور العين لكانَ حُسن إصغائك إليها من أوفى مُهورها.

[نفسه ص٤٣٢].

* * *

بين المهدي وأبي عبيدالله

كتب أبو عبيدالله إلى المهدي بعد عزله إيّاه عن الدَّواوين: لم يُنكر أمير المؤمنين حالي في قُرب المؤانسة وخُصوص الخلطة، وحالي عنده قبل ذلك في قيامي بواجب خِدمته، التي أدنتني من نِعمته، فلم أُبدِّل ـ أعزّ الله أمير المؤمنين ـ حال التَّبعيد، ويقرّب في محل الإقصاء، وما يعلم الله منّي فيما قلت إلاّ ما علمه أمير المؤمنين، فإن رأى أكرمه الله أن يُعارض قولي بِعلمه بَدءاً وعاقبة فعل إن شاء الله.

فلمّا قرأ كتابه شهد بتصديقه قَلبه، فقال: ظلمنا أبا عُبيدالله، فيردّ إلى حاله، ويعلم ما تَجدّد من حسن رأيي فِيه.

[نفسه ص٤٤٠].

* * *

(١) «جَلاَ العَرُوسَ على بَعلها جَلْوَةً، ويُثلَّثُ، وجِلاَءً، ككتاب، واجْتَلاَهَا: عَرَضها عليها مَجْلُوَّةً».

[القاموس المحيط: ١٢٧١].

بين المأمون والفضل بن ربيع

لمّا أمر المأمون أن يُحجب عنه الفضل لسبب تألّم قلبُه منه كتب إليه: يا أمير المؤمنين! لم يُنسِني التّقريب حالي أيّام التّبعيد، ولا أغفلتني المؤانَسة عن شُكر الابتداء، فعلى أيّ الحالين أبعد من أمير المؤمنين، ويلحقني ذَمّ التّقصير في واجب خدمته؟ وأمير المؤمنين أعدلُ شُهودي على الصّدق فيما وصفت، فإن رأى أمير المؤمنين ألاّ يكتم شَهادتي فعل إنْ شاء الله.

[نفسه ص٤٤٠].

* * *

بين الإسكندر ودارا بن دارا

لمّا ظفر الإسكندر بدارا بن دارا قال له: بِمَ اجترأ عليك صاحب شُرطتك؟ قال: بتركي ترهيبه وقت إساءته وتفريطه، وإعطائه وقت الإحسان اليسير من فعله نهاية رغبته.

فقال الإسكندر: نِعْمَ العونُ على استصلاح القلوب الموغَرَةِ التّرغيب بِالأموال، وأصلح منه عاجِلاً التّرهيب وقت الحاجة إليه.

[نفسه ص٦٤٠].

* * *

حكيم يصف أحزم الملوك

قال الحسن بن سهل: خرج بعض مُلوك الفُرس متنزّهاً، فلقي بعض الحكماء، فسأله عن أحزم الملوك، فَقال: من ملك جِدّه هزله، وقهر لبُّه هواه، وأعرب لسانه عن ضَميره، ولم يخدعه رضاه عن سخطه، ولا غضبه عن صدقه. فقال الملك: لا، بل أحزم الملوك من إذا جَاعَ أكل، وإذا عطش شرب، وإذا تعب استراح. فقال الحكيم: أيّها الملك، قد أجدتَ الفطنة. هذا العلمُ مُستفاد أم غريزيّ؟ قال: كَان عندنا معلّم من حكماء

الهند، وكان هذا نقش خاتمه. قال: فهل علّمك غير هذا؟ قال: ومن أين يؤخذ مثل هذا عند رجل واحد؟ ثُمّ قال له الملك: علّمني من حكمتك أيّها الحكيم. قال: نعم، احفظ عنّي ثلاث كلمات. قال: ما هُنّ؟ قال: صقلك السَّيف ليس له جَوهر مِن سِنْخِهِ[1] خطأ، وصبّك الحبّ في الأرض السَّبْخَة[2] ترجو نباته جَهل، وحملك المسنّ على الرّياضة عناء.

قال أبو تمّام الطّائيّ:

والسَّيْفُ مَا لَمْ يُلْفَ فِيهِ صَيْقَلٌ[3] مِنْ سِنْخِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِصِقَالِ

وقيل لبعض الحكماء: ما الدّليل النّاصِحَ؟ قال: غريزة الطّبع. قيل: ما القائِد المُشفق؟ قال: حسن المنطق. قيل: فما العَناء المعنّي؟ قال: تطبيعك ما لا طبع له.

[نفسه ص٦٤٠].

* * *

أنوشروان يبين سياسة الدّولة

كان أنوشروان يقول: النّاس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات: طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بِالعطف واللّين والإحسان، وطبقة من خاصة الأشرار تَسُوسهم بِالغلظة والعنف والشّدّة، وطبقة من العَامّة تسوسهم بِاللّين والشّدَّة، لئلاّ تُحرجهم الشّدّة، ولا يُبطرهم اللّين.

[نفسه ص٦٤٠].

---

(١) «السِّنْخ، بالكسرِ: الأصلُ، ومن السّنّ: مَنْبِتُه، ومن الحُمّى: سَوْرَتُها».
[القاموس المحيط: ٢٥٣].

(٢) «السَّبَخَةُ، محرّكة، ومُسكّنة: أَرض ذات نَزٍّ ومِلْحٍ، الجمع: سِبَاخٌ».
[نفسه ص٢٥٢].

(٣) «الصَّيْقَلُ: شَحّاذُ السُّيوف وجَلاؤها، الجمع: صَيَاقِلُ وصَيَاقِلَةٌ».
[القاموس المحيط: ١٠٢٢].

من كلام بلغاء أهل العصر في ذكر السُّلطان

أبو القاسم الصّاحب: مرضاة السُّلطان، لا تغلو بشيء من الأَثمان، ولا ببذل الرُّوح والجَنان. تَهيّب السُّلطان فَرض وَكيد، وحَتم على مَن ألقى السمع وهو شَهيد.

للصّابي: الملك أحقّ باصطفاء رجاله منه باصطفاء أمواله، لأنّه مع اتّساع الأمر وجَلالة القدر لا يكتفي بِالوَحدة، ولا يَستغني عن الكثرة، ومثله في ذلك مثل المسافر في الطريق البعيد الذي يجب أن تكون عنايته بِفرسه المجنُوب[1]، كعنايته بفرسه المركُوب.

فصل للصّابي: الملك بمن غلط من أتباعه فاتّعظ أشدّ انتفاعاً منه بِمن لم يغلط ولم يتّعظ، فالأوّل كالقارِح[2] الذي أدّبته الغرّة، وأصلحته الفدامة[3]، والثّاني كالجَذَع[4] المتهوِّك[5] الذي هو راكب للغرّة وراكن إلى السّلامة.

وقيل: إنّ العظم إذا جبر من كسره عاد صاحبه أشدّ بطشاً وأقوى أيداً[6].

---

(١) «جَنَبَهُ جَنَباً، محرّكة، ومَجْنَباً: قادَهُ إلى جَنْبِه، فهو جَنيبٌ ومَجْنُوبٌ ومُجَنَّبٌ، وخَيلٌ جَنَائِبُ وجَنَبٌ».
[القاموس المحيط: ٦٩].

(٢) «القَارِحُ مِن ذِي الحافِرِ: بمنزلة البازل من الإبل، الجمع: قَوَارِحُ وقُرَّحٌ».
[نفسه ص٢٣٥].

(٣) «الفَدْمُ: العَيِيُ عن الكلام في ثقل ورَخَاوة وقِلّة فَهم، والغَليظ الأحمق الجَافي، الجمع: فِدامٌ، وهي: بِهاء، فَدُمَ، ككَرُمَ، فَدَامَةً وفُدُومةً».
[القاموس المحيط: ١١٤٤].

(٤) «الجَذَعُ، محرّكة: قَبْلَ الثَّنِيّ، وهي بِهاء، اسمٌ له في زَمنٍ وليست بِسنٍّ تنبتُ أو تسقُطُ، والشاب الحَدَثُ، الجمع: جِذَاعٌ وجُذْعَانٌ، بالضَّمِّ».
[نفسه ص٧٠٨].

(٥) «المُتَهَوِّكُ: المُتَحَيِّرُ، كالهَوَّاكِ».
[نفسه ص٩٥٨].

(٦) «آدَ يَئِيدُ أَيداً: اشتَدَّ، وقَوِيَ. والآدُ: الصُّلْبُ، والقُوَّة، كالأَيْدِ».
[القاموس المحيط: ٢٦٦].

أبو بكر الخوارزمي

لا صَغير مع الولاية والعمالة، كما لا كبير مع العُطلة والبَطالة، وإنّما الولاية أنثى تصغر وتكبر بواليها، ومَطيّة[١] تحسن وتقبح بِممتطيها، والصَّدر لمن يليه، والدَّست لمن جَلس فِيه، والأعمال بِالعمّال، كما أنّ النّساء بِالرِّجال.

❋ ❋ ❋

فضائل عبدالملك بن مروان

قال مالك بن عمارة اللُّخميّ: كُنت أُجالس في ظلّ الكعبة أيّام الموسم عبدالملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزُّبير، وكُنّا نَخوض في الفقه مَرّة، وفي الذِّكر مَرَّة، وفي أشعار العرب وآثار النّاس مَرّة، فكنت لا أجد عند أحد منهم ما أجده عِند عبدالملك بن مروان من الاتّساع في المعرفة والتَّصَرُّف في فُنون العلم والفصاحة والبلاغة، وحُسن استماعه إذا حُدِّث، وحلاوة لفظه إذا حَدَّث، فخلوتُ معه ذات ليلة فقلت: والله إنّي لمسرور بِك لما أشاهده من كثرة تصرّفك وحُسن حديثك، وإقبالك على جليسك، فقال: إنّك إن تَعِش قليلاً فسترى العُيون طامِحَة[٢] إليَّ والأعناق قاعدة نحوي، فلا عليك أَنْ تُعْمِلَ[٣] إلى ركابك.

فلمّا أَفْضَت[٤] إليه الخلافة وشَخَصتُ[٥] أريده، فوافيته يوم جُمعة وهو

---

(١) «مَطَا: جَدَّ في السَّيْرِ، وأسْرَعَ... والمَطِيَّةُ: الدَّابَّةُ تَمطو في سَيرها الجمع: مَطَايَا ومَطِيٌّ».

[نفسه ص١٣٣٥].

(٢) «طَمَحَ بَصره إليه، كمنع: ارتفع، وأطْمَحَ بَصره: رفعه».

[القاموس المحيط: ٢٣٢].

(٣) «أَعْمَلَ رَأْيَهُ وآلَتَهُ، واستعمله: عَمِلَ بِه».

[نفسه ص١٠٣٦].

(٤) آلت إليه.

(٥) «شَخَص مِن بَلدٍ إلى بَلدٍ: ذَهب، وسَارَ في ارتفاع».

[القاموس المحيط: ٦٢١].

يخطب النّاس، فتصدّيت له، فلمّا وقعت عينُه عليّ بَسَرَ[١] في وجهي، وأعرض عَنّي فقلت: لم يُثْبِتني معرفة ولو عَرفني ما أظهر نُكرة. لكنّني لم أَبرح مكاني حتّى قضيت الصلاة ودخل، فلم ألبث أن خرج الحاجب إليّ فَقال: مالك بن عمارة، فَقمت، فأخذ بِيدي وأدخلني عليه، فلمّا رآني مَدّ يده إليّ وقال: إنّك تراءيت لي في موضع لم يَجُز فيه إلاّ ما رأيت مِن الإعراض والانقباض، فمرحباً وأهلاً وسَهلاً، كيف كنت بعدنا؟ وكيف كان مَسيرك؟ قُلت: بِخير، وعلى ما يحبّه أمير المؤمنين. قال: أتذكر ما كنت قُلت لك؟ قُلت: نعم، وهو الذِي أعملني إليك، فَقال: والله ما هو بِميراث ادّعيناه ولا أَثر وعَيناه، ولكني أخبرك عن نفسي خِصالاً سَمت بِها نفسي إلى الموضع الذي تَرى، ما لاَحَيْتُ[٢] ذَا وُدٍّ[٣] وَلا ذَا قَرَابة قَطّ، ولاَ شَمِتُّ بِمُصِيبة عَدُوٍّ قَطّ، ولا أعرضت عن محدّث حتّى ينتهي، ولا قصدتُ كَبيرة من محارم الله مُتلذّذاً بِها وواثباً عليها، وكُنت من قريش في بيتها، ومن بيتها في وسطه، فكنت آمُلُ أَنْ يرفع الله منّي، وقد فعل، يا غُلام بَوِّئْهُ[٤] منزلاً من الدّارِ. فأخذ الغُلام بِيدي وقال: انْطَلِق إلى رَحْلك، فكنت في أخفض[٥] حال، وأنعم بال، وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه، فإذا حضر عشاؤه أو غَدَاؤه أتاني الغُلام وقال: إن شئت صِرت إلى أمير المؤمنين فإنّه جَالس، فأمشي بِلا حِذاء ولا رِداء فيرفع مجلسي، ويُقبل على محادثتي، ويسألني عن العِرَاق مَرّة، وعن الحِجاز مَرّة، حتى مضت لي عشرون ليلة. فتغذّيت

---

(١) «بَسَرَ: عَبَسَ، وقَهرَ».
[نفسه ص٣٤٩].

(٢) «لَحَاهُ يَلْحُوهُ: شَتَمَهُ... ولَحَيْتُ فُلاناً أَلْحَاهُ: لُمْتُه، فهو مَلْحِيٌّ».
[القاموس المحيط: ١٣٣٠].

(٣) «الوُدُّ، والوِدَادُ: الحُبُّ، ويُثَلَّثَانِ».
[نفسه ص٣٢٥].

(٤) «بَوَّأَهُ منزِلاً، وفيه: أنزله، كَأَبَاءَهُ، والاسمُ: البِيئَةُ، بِالكسر».
[القاموس المحيط: ٣٤].

(٥) «الخَفضُ: الدَّعَةُ، وعَيْشٌ خافِضٌ، وقَد خَفُضَ، ككَرُمَ».
[نفسه ص٦٤١].

عِندهُ يَوماً، فَلمّا تَفرّق النّاس نَهضتُ للقِيام، فَقال: على رِسْلِكَ[١] أيّها الرَّجل، أيّ الأمرين أحبّ إليك: المُقام عِندنا، ولك النَّصَفَةُ[٢] في المعاشرة والمُجالسة مع المواساة، أم الشّخوص[٣] ولك الحِباء[٤] والكرامة؟ فقلت: فارقتُ أهلي وَوَلدي على أن أزور أمير المؤمنين، فإن أمرني اخترت فناءه على الأهل والوَلَد، قال: بل أرى لك الرُّجوع إليهم، فإنّهم مُتطلّعون إلى رؤيتك، فَتُجَدّد بِهم عهداً ويجدِّدون بِك مثله، والخِيَار في زيارتنا والمقام فيهم إليك، وقد أمرنا لك بِعشرين ألف دينار، وكسوناك وحملناك، أتراني ملأت يدك أَبا نَصر؟ قُلت: يا أميرَ المؤمنين، أراك ذاكِراً لما رويت عن نفسك، قال: أَجل، ولا خير فيمن يَنسى إذا وعد، وَدِّعْ إذا شئت صحبتك السَّلامة.

[«الإمتاع والمؤانسة» تأليف أبي حيّان التّوحيدي اعتنى به وعَلّق عليه محمّد الفاضلي ص٢٠٤ ـ ٢٠٥].

❋ ❋ ❋

كسرى ورجل من الدَّهاقين

قال المدائني: قبض كِسْرَى أرضاً لرجل منّ الدَّهاقين[٥]، وأقطعها

(١) «الرِّسْلُ: الرِّفْقُ والتُّؤَدَة، كالرِّسْلَةِ، والتَرَسُّلِ».
[القاموس المحيط: ١٠٠٥].

(٢) «الإنْصَافُ: العَدْلُ، والاسمُ: النَّصَفُ والنَّصَفَةُ، محرّكتين».
[القاموس المحيط: ٨٥٦].

(٣) الذَّهَابُ إليه.

(٤) «حَبَا فُلاَناً: أعطاهُ بِلا جَزَاء ولا مَنّ، أو عَامٌّ، والاسمُ: الحِبَاءُ، ككتاب، والحَبْوَةُ، مُثلّثة».
[نفسه ص١٢٧٢].

(٥) «الدِّهْقَانُ، بالكسرِ والضَّمّ: القَوِيُّ على التَّصَرُّفِ مَع حِدَّةٍ، والتَّاجر، وزعيم فَلاحِي العَجم، ورئيس الإقليم، معرَّب الجمع: دَهَاقِنة ودَهَاقِين، والاسم: الدَّهْقَنَة، وهي: بهاء، وقد تَدَهْقَنَ».
[القاموس المحيط: ١١٩٨].

البَحْرَجان[١]، فَقدِم صَاحب الأرض متظلّماً، فأقام بباب كسرى، فركب كِسرى يَوماً، فقعد له الرَّجل على طريقه يُكَلِّمه، فَلمّا حاذاه شَدَّ عليه حتّى صكَّ بِصدره ركبته، ووضع يده على فَخذه، فوقف له كِسرى وكَلّمه، فقال له: أرض كانت لأجدادي ورثتها من آبائي قبضتها فأقطعتها البَحرجان؟ اردُدها عليَّ، فقال له كِسرى: مُذْ كَم هٰذه الأرض في أيدي أَجدادك وآبائك؟ فَذَكَر دهراً طويلاً، فقال له كِسرى: والله لقد أكلتموها دهراً طويلاً، فما عليك في أَنْ تَدعها في يَدِ البَحْرَجَانِ عَارِيَةً[٢] سُنَيَّاتٍ[٣] يَستمتع بها ثمَّ يردّها عليك، فقال: أيّها الملك، قد علمت حُسن بَلاءِ بهرام جور في طاعتكم، أهل البيت، وما كفاكم من حَدِّ عدوّكم، ودفعه عنكم كيد التّرك وحُسن بلاء آبائه قبل ذلك في طاعة آبائك، فما كَانَ عليك لو أعرته مُلكك سُنيّات يَستمتع به ثُمَّ يَرُدُّه إليك؟ فقال كِسرى: يا بحرجان، أنت رميتني بهٰذا السَّهم، ارْدُدْ عليه أَرضه، فَردَّها.

[نفسه ص٣٩٩].

❊ ❊ ❊

بين بشار والمهدي

مدح بشّار المهديّ فَلم يُعطه شيئاً، فقيل له: لم تُجِدْ في مدحه. فقال: لا والله، لقد مدحته بشعر لو قلت مثله في الدَّهر لما خِيفَ صَرْفُه[٤] على حُرٍّ، ولكنّي أكذب في العمل، فأكذب في الأمل.

---

(١) البَحرجان: كلمته فارسية معناها النُوتي، أو رئيس الملاّحين.

(٢) «العَارِيَّة، مُشدّدة وقد تُخفّف، والعَارَةُ مَا تداولوهُ بينهم، الجمع: عَوارِيُّ، مُشدّدةً ومُخفّفَةً. أَعارَهُ الشَّيء وتَعَوّرُوه وتَعاوَرُوه: تَدَاوَلُوه».

[القاموس المحيط: ٤٤٦].

(٣) «السَّنَةُ: العَامُ، الجمع: سِنُونَ، وسَنَوَاتٌ وسَنَهَاتٌ».

[نفسه ص١٢٩٧].

(٤) «الصَّرْفُ مِن الدَّهرِ: حِدْثانُهُ، ونَوائبه، واللَّيلُ والنَّهار، وهُما: صَرْفَان، ويُكسر».

[القاموس المحيط: ٨٢٧].

نظمه النَّاظم فَقال:

وَلِـي فِـي أَحْـمَـدٍ أَمَـلٌ بَـعِـيـدٌ وَمَـدْحٌ حِـيـنَ أُنْـشِـدُهُ طَـرِيـفُ
مَـدَائِـحُ لَـوْ مَـدَحْـتُ بِـهَا الـلَّـيَالِـي لَـمَـا دَارَتْ عَـلَـيَّ لَـهَـا صُـرُوفُ

[«زهر الآداب» ج٢/٦٨٨].

❊ ❊ ❊

خالد بن صفوان يصف الشّعراء لهشام بن عبدالملك

قال هشام بن عبدالملك لخالد بن صفوان: صِفْ لِي جَريراً والفرزدق والأَخطل، فقال: يا أمير المؤمنين، أمّا أعظمهم فَخراً، وأبعدهم ذِكراً، وأحسنهم عُذْراً، وأسيرُهم مثلاً، وأقلّهم غزلاً، وأحلاهم عللاً، البحر الطّامي[1] إذا زَخَر[2]، والحامي إذا ذعر[3]، والسَّامي إذا خَطر[4]، الذي إذا هدر جَال، وإذا خطر صال، الفَصيح اللّسان، الطويل العنان، فالفرزدق.

وأمّا أحسنهم نَعتاً، وأمدحهم بَيتاً، وأقلّهم فَوتاً[5]، الذي إن هَجا وضع، وإن مدح رفع فالأخطل.

---

(١) «طَمَى الماءُ يَطْمِي طُمِيًّا: عَلاَ».

[القاموس المحيط: ١٣٠٧].

(٢) «زَخَرَ البَحرُ، كمنعَ، زَخْراً وزُخُوراً وتَزَخَّرَ: طَمَا وتَمَلأَ، والوادي: مَدَّ جِداً، وارتفع».

[نفسه ص٣٩٩].

(٣) «الذُّعْرُ، بِالضَّمّ: الخَوفُ، ذُعِرَ، كعُنِيَ، فهو مَذعورٌ، وبالفتحِ: التَّخويفُ، كالإِذْعَار، والفِعلُ كجَعَلَ».

[نفسه ص٣٩٦].

(٤) «خَطرَ الرَّجُل بِسيفِهِ ورُمحه: رَفَعه مَرَّة ووضعه أُخرى، وفي مِشيته: رفع يَدَيه ووضعهما خَطراناً فيهما».

[القاموس المحيط: ٣٨٦].

(٥) «فَاتَهُ الأمرُ فَوْتاً وفَواتاً: ذَهب عَنهُ، كافْتَاتَهُ، وأفَاتَهُ إيّاه غيره».

[نفسه ص١٥٧].

وأمّا أغزرهم بَحراً، وأرقّهم شِعراً، وأكثرهم ذكراً، الأَغَرّ[١] الأبلق[٢]، الذي إن طَلب سبق، وإن طُلِب لم يُلحق، فَجرير. وكلّهم ذكيُّ الفُؤاد، رفيع العماد، واري[٣] الزّناد[٤].

قال مسلمة بن عبدالملك، وكان حَاضِراً: ما سمعنا بِمثلك يا بن صفوان في الأوّلين ولا في الآخرين، أشهد أنّك أحسنهم وصفاً، وألينهم عِطْفاً[٥]، وأخفّهم مقالاً، وأكرمهم فِعالاً، فقال خالد: أتَمَّ الله عليك نِعَمَه، وأجزل لك قِسَمه. أنت والله أيّها الأمير ـ مَا علمت ـ كريمُ الغِراس[٦]، عالم بِالنّاسِ، جَواد في المَحْلِ[٧]، بَسّام عند البَذل، حليم عند الطَّيش، في الذِّرْوَة مِن قُريش، من أشراف عبد شَمس، ويومك خير من الأمس.

فضحك هشام وقال: ما رأيت مثلك يا بن صفوان لتخلّصك في مدح هؤلاء ووصفهم، حتّى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم.

[نفسه ص٦٨٨ ـ ٦٨٩].

---

(١) «الغُرَّةُ والغُرْغُرَةُ، بِضَمِّهما: بَياض في الجَبْهَةِ، وفَرَسٌ أَغرُّ وغَرّاءُ».

[القاموس المحيط: ٤٤٩].

(٢) «البَلَقُ، محرّكة: سَوادٌ وبَياض، كالبُلْقَة، بِالضَّمِّ، وارتفاع التَّحجيل إلى الفخذين. وقعد بَلِقَ، كفرِحَ وكَرُمَ، بَلَقاً، وابْلَقَّ، فَهو أَبْلَقُ، وهي بَلْقَاءُ».

[نفسه ص٨٦٩].

(٣) «ورَى الزَّنْدُ، كوَعَى ووَلِيَ، وَرْياً ووُرِيًّا ورِيَةً، فهو وَارٍ ووَرِيٌّ: خَرجت نارُهُ. وأوريته وورَّيْته واسْتَوْرَيْتُهُ».

[القاموس المحيط: ١٣٤٢].

(٤) «الزَّنْدُ: العُود الذي يُقْدَحُ بِه النّار، والسُّفْلَى: زَنْدَةٌ، ولا يُقال: زَنْدَتان، الجمع: زِنادٌ وأَزْنُدٌ وأَزْنَادٌ».

[نفسه ص٢٨٥].

(٥) «عِطفَا كُلِّ شَيء، بِالكسرِ: جَانباه».

[نفسه ص٨٣٨].

(٦) «غَرسَ الشَّجرَ يَغْرِسُهُ: أثبَتَهُ في الأرض، كأَغْرَسَهُ والغَرْسُ: المَغْرُوسُ الجمع: أَغْرَاسٌ وغِرَاسٌ».

[القاموس المحيط: ٥٦١].

(٧) «المَحْلُ: الشِّدَّةُ، والجَدْبُ، وانقطاع المَطر».

[نفسه ص١٠٥٦].

بين العجاج وعبدالملك بن مروان

دخل العَجّاج على عبدالملك بن مروان فقال له: بلغني أنّك لا تُحسن الهجاء[١]، فقال: يا أمير المؤمنين، مَن قَدر على تَشييد[٢] الأبنية، أمكنه خَرَاب الأخبية[٣]، قال: ما يمنعك من ذلك؟ قال: إنّ لنا عِزًّا يَمنعنا مِن أن نُظلم، وحِلماً يمنعنا من أن نظلم، قال: لكلماتُك أحسن من شَعرك! فَما العِزُّ الذي يمنعك أن تظلم؟ قال: الأدب البَارع، والفهم النّاصِعُ[٤]. قال: فما الحِلم الذي يمنعك مِن أن تظلم؟ قال: الأدب المستطرف[٥]، والطّبع التَّالِد[٦]، قال: لقد أصبحت حكيماً. قال: ومَا يمنعني من ذلك وأنا نَجِيُّ[٧] أمير المؤمنين؟

قال أبو إسحاق: وليس كما قال العجّاج، بل لكثير من الشُّعراء طِباع

(١) «هَجَاهُ هَجْواً وهِجَاءً: شَتمه بِالشِّعرِ. وهَاجَيْتُه: هَجَوته وهَجَانِي».
[القاموس المحيط: ١٣٤٥].

(٢) «شادَ الحائِطَ يَشِيدُهُ: طَلاه بِالشِّيدِ، وهو مَا طُلِي به حائِط مِن جِصّ ونَحوه».
[القاموس المحيط: ٢٩٢].

(٣) «الخِبَاءُ، ككساء، مِن الأبنية: يكون مِنْ وَبَرٍ أو صُوفٍ أو شَعَرٍ. وأَخْبَيْتُ خِبَاءَ وتَخبّيتُه وخَبّيْتُه: عملته، ونَصبته».
[نفسه ص١٢٧٨].

(٤) «النّاصِعُ: الخالِصُ مِن كُلِّ شيء: نَصَعَ، كمنعَ نَصَاعَةً ونُصُوعاً: خَلَصَ، والأَمْرُ نُصُوعاً: وَضَحَ، ولونُهُ: اشتدَّ بياضُهُ».
[القاموس المحيط: ٧٦٧].

(٥) «اسْتَطْرَفَهُ: عدَّهُ طَرِيفاً».
[نفسه ص٨٣٢].

(٦) «التّالِدُ، كصاحب، والتّلْدُ، بالفتح والضّمّ والتّحريك، والتّلادُ والتّليدُ والإتْلادُ والمُتْلَدُ: ما وُلِدَ عندك من مَالِك أو نُتج».
[نفسه ص٢٧٠].

(٧) «نَجَاهُ نَجواً ونَجْوَى: سَارَّهُ، ونَكَهَهُ. والنَّجْوَى: السِّرُّ، كالنَّجِيِّ، والمُسَارُّونَ، اسمٌ ومصدرٌ. وناجَاهُ مُنَاجَاة ونِجَاءً: سَارَّهُ... وكغَنِيٍّ، مَن تُسَارُّه الجمع: أَنْجِيَة».
[القاموس المحيط: ١٣٣٧].

تَنْبُو عن الهجاء كالطّائي وأضرابه، وأصحاب المطبوع أقدر عليه من أهل إذ كان الهجو كالنّادرة الّتي إذا جَرت على سَجِيَّة قائلها، وقربت من يد متناولها، وكان واسع العَطن[1]، كثير الفطن، قريب القلب من اللّسان، التهبت بِنار الإحسان.

[نفسه ص٦٨٩].

* * *

المعتصم ومحمد بن وهب الشّاعر

اجتمع الشّعراء بباب المعتصم فبعث إليهم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول منصور النَّمري في أمير المؤمنين الرَّشيد:

إنَّ المَكَارِمَ وَالمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ ... أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
إِذَا رَفَعْتَ أَمْراً فَاللَّهُ رَافِعُهُ ... وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الأَقْوَامِ مُتَّضِعُ[2]
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللَّهِ مُعْتَصِماً ... فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الخمس يَنْتَفِعُ
إِنْ أَخْلَفَ الغَيْثُ لَمْ تُخْلِفْ أَنَامِلُهُ ... أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَّسِعُ

فَليدخل، فقال محمد بن وهيب: فِينا من يقول خَيراً منه، وأنشد:

ثَلاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهِمْ ... شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالقَمَرُ
يَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ... الغَيْثُ وَاللَّيْثُ والصَّمْصَامَةُ[3] الذَّكَرُ

(١) «العَطَنُ، مُحرّكة: وَطَنُ الإبل، ومَبْرَكُها حَول الحوض، ومَرْبَضُ الغَنم حول الماء الجمع: أعْطَانٌ، كالمَعْطِنِ الجمع: مَعَاطِنُ. وعَطَّنَ تَعْطِيناً: اتَّخذه».

[القاموس المحيط: ١٢١٦].

(٢) «في حَسَبِهِ ضَعَةٌ، ويُكسر: انْحِطَاطٌ، ولُؤْمٌ، وخِسَّةٌ، وقد وَضُعَ، كَكَرُمَ، ضَعَةً، ويُكسَرُ، ووَضَاعَةً واتَّضَعَ، ووضَعَهُ غَيْرُهُ ووضَّعَهُ تَوْضِيعاً».

[القاموس المحيط: ٧٧٢].

(٣) «الصَّمْصَامُ: السَّيْفُ لا يَنْثَنِي، كَالصَّمْصَامَةِ».

[القاموس المحيط: ١١٣٠].

فأمر بإدخاله وأحسن صلته. أخذ معنى البيت الأقل من بيتي محمد بن وهيب وأبو القاسم محمد بن هانِىء الأندلسيّ:

المُدْنَفَانِ[١] مِنَ البَرِيَّةِ كُلِّها قَلْبِي وَطَرْفٌ بَابِلِيٌّ[٢] أَحْوَرُ[٣]
وَالمُشْرقاتُ النَّيِّرَاتُ ثَلاثَةٌ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ المُنِيرُ وجَعْفَرُ

وبيت أبي القاسم الأَوَّل مأخوذ من قول ابن الرُّومي:

يا عَلِيلاً جَعَل العِلَّةَ مِفْتَاحاً لِسُقْمِي
لَيْسَ فِي الأَرْضِ عَلِيلٌ غَيْرَ جَفْنَيْكِ وَجِسْمِي

...وأبيات منصور بن سلمة بن الزِّبرقان النَّمري التي ذكرها المعتصم من قصيدة له وهي أحسن ما قيل في الشَّيب أوّلها:

مَا تَنْقَضِي حَسْرَةٌ مِنِّي وَلاَ جَزَعُ[٤] إِذَا ذَكَرْتُ شَبَاباً لَيْسَ يُرْتَجَعُ
بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَتْنِي بِغُرَّتِهِ[٥] خُطُوبُ[٦] دَهْرٍ وأَيَّامٌ لَهَا خُدَعُ

---

(١) «الدَّنَفُ، محرّكة: المرَضُ المُلازم، ورجل وامرأة وقَومٌ دَنَفٌ، مُحرّكة».
[القاموس المحيط: ٨١١].
(٢) البابليّ: المنسوب إلى بابل، وهي بَلد السِّحر، وهم يصفون عيون الغَواني بِالفُتور. كما يصفونها بِأنّها تفعل بِالألباب ما لا يَفعل السِّحر. (المحقّق).
(٣) «الحَوَرُ بِالتحريك: أنْ يَشْتَدَّ بَياضُ بَيَاضِ العينِ وسوادُ سَوادِها، وتَستدير حَدَقَتُها، وتَرِقُّ جُفُونها...».
[القاموس المحيط: ٣٨٠].
(٤) «الجَزَعُ، محرّكة: نَقيضُ الصَّبْرِ، وقد جَزِعَ، كفَرِحَ، جَزَعاً وجُزُوعاً، فهو جَازعٌ وجَزِعٌ، ككتف ورَجُلٍ وصَبُورٍ وغُراب».
[القاموس المحيط: ٧٠٩].
(٥) «الغُرَّةُ من الهلال: طَلعته، ومنَ المتاع: خِيَاره، ومن القَوم: شريفهم».
[نفسه، ص٤٥٠].
(٦) «الخَطبُ: الشَّأنُ، والأمرُ صَغُرَ أو عَظُمَ، الجمع: خُطُوبٌ».
[نفسه، ص٨٠].

مَا كُنْتُ أُوفِي شَبَابي كُنْهَ[1] غِرَّتِه حتَّى انْقَضَى فإِذَا الدُّنيا لَهُ تَبَعُ
تَعَجَّبَتْ أَنْ رَأَتْ أَسْرَابَ[2] دَمْعَتِهِ في حَلْبَةِ الخَدِّ أجراها حَشًى وَجِعُ
أَصْبَحْت لَم تطعمِي ثُكْلَ الشَّبَاب وَلم تَشْجَى[3] بِغُصَّتِهِ[4] فالعُذْرُ لا يَقَعُ
لاَ أَلحَينْ فَتَاتِي غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَين الكذوبِ فَمَا في وُدِّكم طَمَعُ
مَا وَاجَهَ الشَّيْبُ مِنْ عَيْبٍ وَإِن وَمِقَتْ[5] إلاَّ لَهَا نَبْوَةٌ عَنْهُ وَمُرْتَدَعُ[6]
إِنِّي لمُعْتَرِفٌ مَا فِيَّ مِنْ أَرَبٍ[7] عِنْدَ الحِسَانِ فَمَا لِلنّفْسِ تَنْخَدِعُ
قَدْ كدت تقضي على فوت الشَّباب أَسًى لَوْلاَ تَعَزّيكَ أَنَّ الأمر مُنقطع

وذكر أنّ الرَّشيد لمّا سمع هذا بكى، وقال: ما خير دنيا لا تخطر فيها ببرد الشَّباب! وأنشد مُتمثِّلاً:

أَتأْمُل رجعة الدّنيا سَفَاهاً وَقَدْ صَارَ الشّبَابُ إِلى ذَهابِ
فَلَيْتَ البَاكِيات بِكلِّ أرض جُمعن لنا فنحن على الشَّبابِ

[نفسه ص٧٠٢ ـ ٧٠٤].

---

(١) «الكُنْهُ، بِالضَّمِّ: جَوهرُ الشَّيء، وغايَته، وقَدْرُهُ، ووقته، ووجهه».
[القاموس المحيط: ١٢٥٢].

(٢) «السِّرْبُ: الماشِيَة، والطَّرِيقُ، والوِجْهَة».
[نفسه ص٩٦].

(٣) «شَجَاهُ: حَزَنَهُ، وطَرَّبَه، كأَشْجَاهُ فِيهما، ضِدٌّ... وأَشْجَاه: قَهرَه، وغَلبه، وأوقعه في حُزن».
[القاموس المحيط: ١٢٩٨].

(٤) «الغُصَّةُ، بِالضَّمِّ: الشَّجَا، الجمع: غُصَصٌ، وما اعْتَرَضَ في الحلقِ فَأَشْرَقَ».
[نفسه ص٦٢٥].

(٥) «وَمِقَهُ، كوَرِثَهُ، وَمْقاً ومِقَةً: أحبَّهُ، فهو وَامِقٌ. وتَوَمَّقَ: تَوَدَّدَ».
[القاموس المحيط: ٩٢٩].

(٦) «رَدَعَهُ عَنهُ، كمنَعَهُ: كَفَّهُ ورَدَّهُ، فارْتَدَعَ».
[نفسه ص٧٢١].

(٧) «الإِرْبُ، بالكسر: الحَاجَةُ، كالإِرْبَةِ، بِالكسرِ والضَّمِّ، والأَرَبِ، محرّكة، والمَأْربَة، مثلّثة الرَّاءِ».
[نفسه ص٥٨].

بين هارون الرشيد وعبدالملك بن صالح

دعا الرَّشيد بعبدالملك بن صالح ـ وكان معتقلاً في حبسه ـ فلما مثل بين يديه التفت إليه، وكان يُحدِّث يحيى بن خالد بن برمك وزيره، فقال مُتمثِّلاً:

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ[١] مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

ثُمّ قال: يا عبدالملك، كأنّي أنظر إلى شُؤبوبها[٢] قد هَمَعَ[٣]، وإلى عَارضها[٤] قد لمع، وكأنّي بالوعيد قد أورى، بل أدمى[٥]، فأبرز عن بَراجم[٦] بلا معاصم[٧]، ورؤوس بلا غَلاصم[٨]، فَمهلاً بني هاشم، فَبِي

(١) «قولهم: مَنْ عَذِيري مِنْ فُلاَن، ومَن يعذرني مِنه أي مَنْ يَلُومُه على فِعْلِهِ ويُنجِي بِاللاَّئِمَةِ عليه، ويعذرني في أمره ولا يلومني عليه. وقيل معناه من يقوم بعذري إذا جَازيته بِصُنعي ولا يلومني على ما أفعله بِه».
[المصباح المنير: ١٥١].

(٢) «الشُّؤْبُوبُ: الدُّفْعَةُ مِن المَطرِ، وحَدُّ كُلِّ شَيء وشِدَّةُ دَفْعِهِ».
[القاموس المحيط: ٩٩].

(٣) «هَمَعَتْ عَيْنُه، كجَعَلَ ونَصَرَ، هَمْعاً وهُمُوعاً وهَمَعَاناً وتَهْمَاعاً: أسَالَتِ الدَّمعَ».
[نفسه ص٧٧٦].

(٤) «العَارِضُ: السَّحَابُ المُعترض في الأُفُق».
[نفسه ص٦٤٥].

(٥) «الدَّمُ، معروف، دَمِيَ، كرَضِيَ، دَمًى، وأَدْمَيْتُهُ ودَمَّيْتُهُ».
[القاموس المحيط: ١٢٨٣].

(٦) «البُرْجُمَةُ، بِالضَّمِّ: المَفْصِلُ الظاهر أو البَاطن مِنَ الأصابع، والإصبع الوُسطى مِن كُلِّ طائِر، الجمع: بَرَاجِمُ، أو هي مَفَاصِلُ الأصابع كُلِّها».
[نفسه ص١٠٧٩].

(٧) «المِعْصَمُ، كمِنبَرٍ: موضعُ السِّوَار، أو اليَدُ».
[نفسه ص١١٣٨].

(٨) «الغَلْصَمَةُ: اللَّحْمُ بين الرَّأْسِ والعُنُقِ، أو العُجْرَةُ على مُلْتَقى اللَّهاة والمريء، أو رأسُ الحُلقوم بِشواربه وحردقته».
[القاموس المحيط: ١١٤٣].

والله سَهُلَ لكم الوعر، وصفا لكم الكدر[١]، وألقت إليكم الأمور أثناء أزمّتها، فنذار لكم نَذراً قبل حُلول داهية خبوط بِاليد والرِّجل، فقال عبدالملك: أفَذًّا أتكلَّم أم تَوْأماً؟ قال: بل فَذًّا، قال: اتَّق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاّك، واحفظه في رَعاياك الذي استرعاك، ولا تجعل الكفر بموضع الشُّكر، والعقاب بموضع الثَّواب، فقد والله سَهُلت لك الوعور، وجمعت على خَوفك ورجائك الصدور، وشددت أواخيّ[٢] مُلكك بِأوثق من ركني يَلملم، وكُنت لك كما قال أخو بَني جعفر بن كلاب ـ يَعني لَبيداً ـ:

ومَقامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ بِلِسانٍ وبَيانٍ وَجَدَلْ
لَوْ يَقُومُ الفِيلُ أو فَيَّالُهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقامِي وزَحَلْ[٣]

فأعاده إلى مَجلسه، وقال: لقد نظرت إلى موضع السَّيف من عاتقه مِرَاراً، فيمنعني عن قَتله إبقائي على مِثله.

[نفسه ص٧١٤ ـ ٧١٥].

❊ ❊ ❊

بين الرَّشيد وعبدالملك

سَايَر الرَّشيد عبدالملك، فقال له قائل: طأطىء مِن إشرافه، واشدُدْ مِن شَكَائِمِهِ[٤]، وإلاّ فَسد عليك، فقال له الرَّشيد: ما يَقول هٰذا؟ قال: حَاسِدُ نِعمة،

(١) «كَدَرَ، مُثلّثة الدَّالِ، كدارَةً وكَدَراً، محرّكة، وكدوراً وكُدُورَةً وكُدْرَةً، بِضمّهنّ».
[نفسه ص٤٦٨].

(٢) «الأَخِيَّةُ، كَأَبِيَّةٍ، ويُشَدُّ ويُخَفَّفُ: عُودٌ في حَائِط، أو في حَبل يُدفن طَرفاهُ في الأَرض، ويُبْرَزُ طَرَفُه، كالحلقةِ تُشَدُّ فيها الدَّابَّةُ الجمع: أَخَايَا وأَوَاخِيُّ».
[القاموس المحيط: ١٢٥٨].

(٣) «زَحَلَ عن مَقَامِهِ، كمنَعَ: زَالَ، كتَزَحْوَلَ».
[القاموس المُحيط: ١٠٠٩].

(٤) «الشَّكِيمةُ: الأَنَفَةُ، والانْتِصَارُ مِن الظُّلم».
[القاموس المحيط: ١١٢٧].

ونافِس رُتبة، أغضبه رِضاك عني، وباعده قُربك منّي، وأساءه إحسانه إليَّ. فَقال له الرَّشيد: انخفض القوم وعلوتهم، فَتوقَّدت في قُلوبهم جَمرة التأسّف. فقال عبدالملك: أضرمها الله بِالتَّزيّد عندك! فقال الرَّشيد: هَذا لَك وذاك لهم.

[نفسه ص٧١٨].

❋ ❋ ❋

بين الرَّشيد والحسن بن عمران

قال الرَّشيدِ للحسن بن عمران وقَد أُدخل عليه يَرْسُفُ[1] في قُيوده: ولّيتك دِمشق وهي جَنّة مُونِقَة[2] تحيط بِها غُدُرٌ[3] كاللُّجين[4]، فتكف على رياض كالزَّرابي، وكانت بيوت أموال فما بَرح بها التّعدي، حتّى تركتها أجرد من الصَّخرِ، وأوحش من القَفر! فَقال: يا أمير المؤمنين، ما قصدت لغير التَّوفيق من جِهته، ولكنّي ولّيت أقواماً ثَقُلَ على أعناقهم الحَقُّ، فتفرّغوا في ميدان التَّعدّي، ورأوا أنّ المراغمة بترك العمارة أوقع بإضرار السُّلطان، وأنوه بِالشّنعة، فَلا جَرَمَ أَنّ مَوْجِدَة[5] أمير المؤمنين قد أخذت لهم بِالحَظّ الأوفر مِن مَسَاءتي[6]! فَقال

---

(١) «رَسَفَ يَرْسُفُ ويَرْسِفُ رَسْفاً ورَسِيفاً ورَسَفَاناً: مَشَى مَشْيَ المُقيَّدِ».
[القاموس المحيط: ٨١٣].

(٢) «شَيء أَنِيقٌ، كأَمِير: حَسَنٌ مُعْجِبٌ، وله أَنَاقَةٌ».
[نفسه ص٨٦٥].

(٣) «الغُرْدُ، كصُرَدٍ: القطعة مِنَ الماءِ يُغادرها السَّيْلُ، كالغَدِيرِ الجمع: كصُرَدٍ وتُمْرَانٍ».
[القاموس المحيط: ٤٤٩].

(٤) «اللُّجَيْنُ: الفِضَّةُ».
[نفسه ص١٢٣٠].

(٥) «وَجَدَ عَليهِ يَجِدُ ويَجُدُ وَجْداً وجِدَةً ومَوْجِدَةً: غَضِبَ».
[القاموس المحيط: ٣٢٤].

(٦) «سَاءَهُ سَوْءاً وسَوَاءً وسَوَاءَةً وسَوَايَةً وسَوَائِيَةً ومَسَاءَةً ومَسَائِيَةً ومَسَايَةً ومَسَاءً ومَسَائِيَّةً: فَعَلَ بِهِ مَا يُكره فاسْتَاءَ هو. والسُّوءُ، بِالضَّمِّ: الاسم منه».
[القاموس المحيط: ٤٣].

عبدالله بن مالك: هٰذا أجزل كلام سُمِعَ لخائِف، وهٰذا مَا كُنّا نَسمعه عن الحكماء: «أفضل الأَشياء بَديهة أَمْنٍ وردت في مقامِ خوف».

[نفسه ص٧١٩].

❊ ❊ ❊

قطر النَّدى والخَليفة المُعتضد

لمّا حُملت قطرُ النَّدى بنت خُمارَويه بن أحمد بن طُولون إلى المعتضد كَتب معها أبوها إليه يذكّره بِحُرمة سلفها بِسلفه، ويذكر ما تَرِد عليه من أُبَّهة[1] الخِلافة، وجَلالة الخَليفة، ويسأل إيناسها وبَسطها، فبلغت من قلب المعتضد لمّا زُفَّت إليه مبلغاً عظيماً، وسُرَّ بِها غاية السُّرور، وأمر الوَزير أبا القاسم عُبيدالله بن سُليمان بن وهب بِالجواب عن الكتاب، فأراد أن يكتبه بُخطّه، فَسأله أبو الحسين بن ثَوابة أن يُؤثره بذلك ففعل، وغاب أيّاماً وأتى بنسخة يقول في فَصل منها: وأمَّا الوَديعة فهي بِمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالِك، عناية بِها، وحِياطة عليها، ورعاية لمودّتك فيها. ثُمّ أقبل عبيدالله يُعجب من حُسن ما وقَعَ له من هٰذا، وقال: تسميتي لها بِالوديعة نِصف البلاغة، فقال عُبيدالله: ما أقبح هٰذا! تفاءلت لامرأة زُفّت إلى صاحبها بِالوديعة، والوَديعة مُستردّة.

وقولك: «مِنْ يمينك إلى شمالك أقبح» لأنّك جعلت أباها اليمين وأمير المؤمنين الشّمال، ولو قلت: «وأمّا الهَدِيّة فقد حسن موقعها مِنّا، وجلّ خَطرها عندنا! وهي وإن بَعدت عنك، بمنزلة من قربت منك، لتفقّدنا لها، وأُنسِنَا بِها، ولسرورها بِما وردت عليه، واغتباطها بما صارت إليه لكان أحسن، فنفذ الكتاب.

وكانت قطر النَّدى مع جمالها موصوفة بفضل العقل، خلا بها

(١) «الأُبَّهَةُ، كسُكَّرَة: العَظَمة، والبَهْجَةُ» [القاموس المحيط: ١٢٤٢].

المعتضد يَوماً للأُنس بِها في مجلس أفرده لم يحضره غيرها، فأخذت منه الكأس، فَنام على فخذها، فلما استثقل[١] وضعت رأسه على وِسادة، وخرجت فجلست في ساحة القصر على باب المجلس، فاستيقظ فَلم يَجدها، فاستشاط[٢] غضباً، ونادى بِها فأجابته على قُرب، فقال: ما هٰذا؟ أخليتك إكراماً لك، ودفعت إليك مُهجتي[٣] دُون سائر حظاياي[٤]، فتضعين رأسي على وسادة! فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جهلت قدر ما أنعمت بِه عليّ، وأحسنت فِيه إِليّ ولكن فيما أدّبني بِه أبي أَن قال لي: لا تَنامي مع الجُلُوس، ولا تجلسي بين النِّيام.

[نفسه ص٧٢٢ ـ ٧٢٣].

❋ ❋ ❋

بين المأمون وأحمد بن أبي خالد

قال المأمون لأحمد بن أبي خالد، وهو يخلف الحسن بن سَهل، وقد أشار إليه برأي استرجَحَه[٥]، قد اعتلَّ الحسن ولزم بَيته، ووَكَلَ الأمر إليك، فأنا إلى راحته وبقائه أحوج منّي إلى إتعابه وفنائه، وقد رأيت أن أستوزرك، فإنّ الأمر له ما دُمت أنت تقوم بِه، وقد طالعت رأيه في هذا الأمرِ، فَما عَدَاك.

فقال: يا أمير المؤمنين، أعفني من التَّسَمّي بِالوزارة، وطالبني بالواجب

(١) استثقل: كناية عن تمكن النوم منه. (المحقّق).
(٢) غضب غضباً شَديداً.
(٣) «المُهْجَةُ: الدَّمُ، أو دَمُ القَلب، والرُّوحُ».
[القاموس المحيط: ٢٠٦].
(٤) «حَظِيَتْ المرأةُ عند زوجها بِالكسرِ تَحظى حِظْوَةً بكسر الحاء وضَمّها وحِظَةً أيضاً. وهي حَظِيَّةٌ وإحدى حَظاياه».
[مختار الصِّحاح: ٦٠].
(٥) عَدَّهُ رَاجِحاً.

فيها، واجعل بيني وبين الغاية ما يرجوني له وَلِيّي[1]، ويخافني له عَدُوّي، فَما بعد الغايَات إلاّ الآفات. فاستحسن كلامه، وقال: لا بُدّ من ذٰلك، واستوزره.

[نفسه ص٧٢٦].

❋ ❋ ❋

من رأفة المأمون بِعمّاله

قال إبراهيم بن الحسن بن سهل: كُنّا في مجلس المأمون وعمرو بن مسعدة يقرأ عليه الرّقاع[2]، فَجاءته عَطسة، فَلَوى عنقه فَردّها، فرآه المأمون فَقال: يا عمرو، لا تفعل فإنّ رَدَّ العَطسة وتحويل الوجه بِها يُورثان انقطاعاً في العنق. فقال بعض ولد المهدي: ما أحسنها مِنْ مَولى لعبده، وإمام لرعيّته! فقال المأمون: وما في ذٰلك؟ هٰذا هشام اضطربت عمامته فأهوى[3] الأبرش الكلبي إلى إصلاحها، فقال هشام: إنّا لا نتّخِذُ الإخوانَ خَوَلاً[4]! فالذي قال هشام أحسن ممّا قُلته.

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين: إنَّ هشاماً يتكلّف ما طُبعت عَليه، ويظلم فيما تعدل فِيه، ليس له قرابتك من رسول الله ﷺ، ولا قيامك بِحقّ الله، وإنّك والملوك لكما قال النّابغة الذُّبيانيّ:

---

(١) «الوَلِيُّ: ضِدَّ العَدُوّ يُقال منه: تَوَلاّهُ».

[مختار الصّحاح: ٣٠٦].

(٢) «الرُّقْعَةُ بالضَّمّ: واحدة الرِّقاعِ الّتي تُكتب».

[مختار الصحاح: ١٠٦].

(٣) «هَوَتْ يدي لَهُ: امتَدَّت، وارتفعت، كَأَهوَت».

[القاموس المحيط: ١٣٤٧].

(٤) «الخَوَلُ، محرّكة: ما أعطاك الله تعالى مِن النَّعَمِ والعَبِيدِ والإمَاءِ، وغيرهم من الحَاشية».

[نفسه ص٩٩٦].

أَلَـمْ تَـرَ أَنّ الـلّـهَ أَعْـطَـاكَ سَـوْرَةً[١] ... تَـرَى كُـلَّ مَـلْـكٍ دُونَـهَـا يَـتَـذَبْـذَبُ
لأَنَّـكَ شَـمْـسٌ وَالـمُـلُـوكُ كَـوَاكِـبٌ ... إِذَا طَـلَـعْـتَ لَـمْ يَبْـدُ مِـنْـهُـنَّ كَـوْكَـبُ

أَخذ النّابغة هٰذا من قَول شاعر قَديم من كِندة:

تَكَادُ تَمِيدُ[٢] الأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا ... لِعَمْرِو بنِ هِنْدٍ غَضْبَةٌ وَهْوَ عَاتِبُ[٣]
هُوَ الشَّمْسُ وَافَتْ[٤] يَوْمَ دَجْنٍ[٥] فَأَفْضَلَتْ[٦] ... عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالـمُلُوكُ كَـوَاكِـبُ

[نفسه ص٧٢٧ ـ ٧٢٨].

* * *

عقال بن شبّة بين يدي المنصور

خطب صالح بن أبي جعفر المنصور في بعض الأمر فأحسن، فأراد المنصور أن يُقَرِّظَه[٧] ويثني عليه، فلم يَجسر[٨] أحد على ذلك لمكان

(١) «السَّوْرَةُ مِن المَجْدِ: أَثَرُهُ، وعلامته، وارتفاعه».
[القاموس المحيط: ٤١١].

(٢) «مادَ يَمِيدُ مَيْداً ومَيَدَاناً: تَحَرَّكَ».
[القاموس المحيط: ٣٢١].

(٣) «العَتْبُ: المَوْجِدَةُ، كالعَتَبَانِ، والمَعْتَبِ، والمَعْتَبَةِ والمَعْتِبَةِ، والمَلامَةُ، كالعِتَاب».
[نفسه ص١١١].

(٤) «وافَيْتُ القَومُ: أَتيتُهم، كأَوْفَيْتُهم».
[القاموس المحيط: ١٣٤٣].

(٥) «الدَّجْنُ: إِلْبَاسُ الغَيْمِ الأرضَ وأقطارَ السَّماءِ، والمَطَرُ الكثيرُ. الجمع: أَدْجَانٌ ودُجُونٌ ودُجُنٌ ودِجَانٌ».
[نفسه ص١١٩٤].

(٦) «أَفْضَلَ عليهِ في الحَسَبِ، وعنهُ: زَادَ».
[نفسه ص١٠٤٣].

(٧) «التّقريظ: مدح الإنسان وهو حَيٌّ بِحقٍّ أو باطِلٍ».
[القاموس المحيط: ٦٩٧].

(٨) «جَسَرَ الرَّجُلُ جُسُوراً وجَسَارَةً: مَضَى، ونَفَذَ».
[نفسه ص٣٦٥].

المهديّ، وكان مرشّحاً للخلافة، وخافوا ألاَّ يقع الثَّناء على أخيه بِموافقته، فقام عقال بن شبّة، فقال: ما رأيت أبين بياناً، ولا أفصح لساناً، ولا أحسن طريقاً، ولا أغمض عُروقاً، مِن خطيب قام بِحضرتك يا أمير المؤمنين، وحُقَّ لمن كان أمير المؤمنين أباه، والمهدي أخاه، أن يكون كما قال زُهير:

يَطْلُبَ شَأْواً[1] وامْرَأَيْنِ قَدَّمَا حَسَناً ... بَزَّا[2] المُلُوكَ وَبَزَّا هَذِهِ السُّوَقَا[3]
هُوَ الجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَأْوِهِمَا ... عَلَى تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقَا
أَوْ يَسبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ ... فَبِالَّذِي قَدَّمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

فعجب النّاس من حُسن تخلّصه، فقال أبو جعفر: لا ينصرف التّميمي إلاّ بِثلاثين ألفاً.

قال أبو عبدالله كاتب المهدي: ما رأيت مثل عقال قطّ في بَلاغته، مدح الغُلام، وأرضى المنصور، وسَلِم من المهديّ.

وفي قصيدة زُهير هذه يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المُرّي:

قَدْ جَعَلَ المُبْتَغُونَ الخَيْرَ في هَرَمٍ ... وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا
مَنْ يَلْقَ يَوماً عَلَى عِلاَّتِهِ[4] هَرِماً ... يَلْقَ السَّمَاحَةَ[5] مِنْهُ والنَّدَى[6] خُلُقَا

---

(١) «الشَّأْوُ: السَّبْقُ».
[القاموس المحيط: ١٢٩٨].

(٢) «البَزُّ: الغَلَبَةُ، كالبِزِّيزَى، كخِلِّيفَى».
[نفسه ص٥٠٣].

(٣) «السُّوقَةُ، بِالضَّمّ: الرَّعِيَّةُ، للواحِدِ والجمع، والمذكّرِ والمؤنّث».
[نفسه ص٨٩٦].

(٤) «قولهم: على عِلاَّتِهِ: أي على كُلّ حَالٍ».
[القاموس المحيط: ١٠٣٥].

(٥) «سَمُحَ، ككَرُم، سَمَاحاً وسَمَاحَةً وسُمُوحاً وسُمُوحَةً وسَمْحاً وسَمَاحاً: جَادَ، وكَرُمَ».
[نفسه، ص٢٢٥].

(٦) «النَّدَى: الجُودُ. ورَجُلٌ نَدٍ أي جَوَادٌ».
[مختار الصِّحاح: ٢٧٢].

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ ... يَوْماً وَلاَ مُعْدِماً مِنْ خَابِطٍ[(١)] وَرَقَا
لَيْثٌ بِعَثَّرَ يَصْطَادُ الرِّجَالُ إِذَا ... مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا
يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَموا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا ... ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا
فَضْلُ الجَوَادِ عَلَى الخَيْلِ البِطَاءِ فَلاَ ... يُعْطِي بِذَلِكَ مَمْنُوناً[(٢)] وَلاَ نَزِقَا[(٣)]
هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَعْيَا بِحُجَّتِهِ ... وَسْطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا
لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَكْرُمَةٍ ... أُفْقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفُّهُ الأُفُقَا

وكان زُهير كثير المدح لهرم، ويروى أنّ بنتاً لسنان بن أبي حارثة رأت بنتاً لزهير بن أبي سلمى في بعض المحافل[(٤)]، وإذا لها شارة وحالٌ حسنة، فقالت: قد سَرّني ما أرى مِن هٰذه الشارة والنِّعمة عليك فقالت: إنّها منكم. فقالت: بَلَى والله لك الفضل، أعطيناكم ما يفنى، وأعطيتمونا ما يَبقى.

. . . قال يُوسف الجوهري يمدح الحسن بن سهل:

لَوْ أَنَّ عَيْنَي زُهَيْرٍ أَبْصَرَتْ حَسَناً ... وَكَيْفَ يَصْنَعُ فِي أَمْوَالِهِ الكَرَمُ
إِذَنْ لَقَالَ زُهَيْرٌ حِينَ يُبْصِرُهُ ... هَذَا الجَوَادُ عَلَى العِلاَّتِ لاَ هَرِمُ

(١) «خَبَطَ البَعِيرُ الأرض بيده: ضَربها. ومنه قِيلَ: خَبْطُ عَشْوَاءَ. وهي النّاقَةُ التي في بَصَرِها ضَعْفٌ تَخْبِطُ إذا مَشت لا تَتوقّى شيئاً. وخَبَطَ الشَّجَرَةَ ضَربها بِالعَصَا لِيَسْقُطَ وَرَقُهَا وبابُهما ضَرَب».
[مختار الصّحاح: ٧١].
(٢) «مَنّ عليه أي امْتَنّ عليه وبابُه رَدّ ومِنَّةً أيضاً. يُقال: المِنَّةُ تَهْدِمُ الصَّنيعةَ. ورَجُلٌ مَنُونَةٌ كثيرُ الامتنان».
[مختار الصّحاح: ٢٦٥].
(٣) «النَّزَقُ: الخِفَّةُ والطَّيْشُ. وقَد نَزِقَ مِن بَاب طَرِب».
[نفسه ص٢٧٣].
(٤) «مَحفِلُ القَومِ ومُحْتَفَلُهُم: مُجتمعهم».
[مختار الصحاح: ٦١].

وقال آخر، ويدخل في باب تفضيل الشِّعر:

الشِّعْرُ يَحْفَظُ مَا أَوْدَى[١] الزَّمَانُ بِهِ والشِّعْرُ أَفْضَلُ مَا يُجْنَى مِنَ الكَرَمِ
لَوْلاَ مَقَالُ زُهَيْرٍ فِي قَصَائِدِهِ مَا كَانَ يُعْرَفُ جُودٌ كَانَ مِنْ هَرِمِ

وقيل: أعطى هرم العطاء الجزيل عوض قول زُهير فيه:

تَاللَّهِ قَدْ عَلِمَتْ سَرَاةُ[٢] بَنِي ذُبْيَانَ عَامَ الحَبْسِ والأَصْرِ[٣]
أَنْ نِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَتْ نَزَالِ[٤] ولُجّ فِي الذُّعْرِ
حَامِي الذِّمَارِ[٥] عَلَى مُحَافَظَةِ الجُلَّى[٦] أَمِينُ[٧] مُغَيَّبِ الصَّدْرِ
حَدِبٌ[٨] عَلَى المَوْلَى[٩] الضَّرِيكِ[١٠] إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ[١١] الدَّهْرِ

---

(١) «أَوْدَى: هَلَكَ، وأَوْدَى بِهِ الموتُ: ذَهَبَ».
[القاموس المحيط: ١٣٤٢].
(٢) شُرَفاء.
(٣) «الأَصْرُ: الحَبْسُ. فِعْلُهُ كَضَرَبَ».
[القاموس المحيط: ٣٤٣].
(٤) نَزَالِ: اسمُ فِعْلِ أمرٍ بمعنى انْزل، وهي كلمة تقال عند القتال يدعو بها القرن قرنه.
(٥) «الذِّمَارُ، بِالكسر: ما يَلْزَمُكَ حِفْظُهُ وحِمَايَته».
(٦) الجُلَّى: النَّائبة الشَّدِيدة.
(٧) أراد أنّه مأمون في غَيبه كما هو مأمون في حُضوره لا ينال من صَديق في حال غَيبته عنه. (المحقق).
(٨) «حَدِبَ عليه: تَعَطَّف».
[المُنجد الأبجدي: ٣٥٦].
(٩) «المَوْلَى: المُعْتِقُ والمُعْتَقُ وابْنُ العَمِّ والنَّاصِرُ والجَارُ والحَلِيفُ».
[مختار الصِّحاح: ٣٠٦].
(١٠) «الضَّرِيكُ: الفَقِيرُ السَّيِّئُ الحَالِ، الجمع: ضَرَائِكُ وضُرَكَاءُ».
[القاموس المحيط: ٩٤٧].
(١١) «النَّائِبَةُ: المُصِيبَةُ. وَاحِدَةُ نَوَائِبِ الدَّهر».
[مختار الصِّحاح: ٢٨٥].

وَمُرَهَّقُ[١] النِّيرَانِ يُحْمَدُ في اللـ ـلأْواءِ[٢] غَيْرُ مُلَعَّنِ[٣] القِدْرِ
والسِّتر دُونَ الفَاحِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

وقال:

إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ الجَوَادَ عَلَى عِلاَّتِهِ هَرِمُ
هُوَ الكَرِيمُ الذِي يُعْطِيكَ نائِلَهُ[٤] عَفْواً ويُظْلَمُ أَحْيَاناً فَيظَّلِمُ[٥]
وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ لاَ غَائِبٌ مَالِي وَلا حَرِمُ[٦]

الخَليل: الذي أخَلَّ به الفَقْرُ، إلى غير ذلك مِن مُختار مدحه فيه.

[نفسه ص٧٥٩ ـ ٧٦١].

* * *

وَفد الشَّام بين يَدي المنصور

قدم على أبي جَعفر المنصور وَفْدٌ مِن الشَّام بعد انهزام عبدالله بن علي، وفيهم الحارث بن عبدالرّحمٰن الغفاري، فتكلّم جماعة منهم، ثُمَّ قام

---

(١) «المُرَهَّقُ، كمُعَظَّمٍ: مَنْ يَغْشَاهُ النَّاسُ والأَضْيَافُ».
[القاموس المحيط: ٨٨٩].
(٢) «الَّلأْيُ، كالسَّعْي: الشِّدَّةُ، كالّلأى، كَاللَّعا، والَّلأْواءِ».
[نفسه ص١٣٢٩].
(٣) غيرُ مُلعّن القدر: لا تُسبّ قِدره لأنّه يطعم ما يشتهيه النّاس. (محقّق).
(٤) «النَّوَالُ والنَّالُ والنَّائِلُ: العطاءُ».
[القاموس المحيط: ١٠٦٦].
(٥) «اظَّلَمَ، كافْتَعَلَ، وانْظَلَمَ: احْتَمَلَ الظُّلم».
[نفسه ص١١٣٤].
(٦) «حَرَمَهُ الشَّيء، كضَرَبَهُ وعَلِمَهُ، حَرِيماً وحِرْمَاناً، بِالكسر، وحِرْماً وحِرْمَةً، بِكسرهما، وحَرِماً وحَرِمَةً وحَرِيمَةً، بكسر رَائهنَّ: مَنَعَهُ».
[القاموس المحيط: ١٠٩٢].

الحارث فقال: يا أمير المؤمنين إنّا لسنا وَفد مباهاة، ولكنّا وفد تَوبة استخفّت حَليمنا، فنحن بِما قدمنا معترفون، وبما سلف مِنّا معتذرون، فإن تعاقبنا فَبِما أَجرمنا، وإِن تَعْفُ عنّا فطالما أحسنت إِلى من أساء، فقال المنصور: أنت خَطيب القوم، وردّ عليه ضِياعه بِالغُوطةِ.

وقال رجل من أهل الشّام للمنصور: يا أمير المؤمنين، من انتقم فقد شَفى غَيظه وانْتَصَفَ، ومَن عَفا تَفَضَّلَ، ومَن أخذ حَقَّه لم يجب شُكره ولم يذكر فضله، وكَظْمُ الغَيظ حِلْمٌ، والتَّشَفِّي طَرف مِن الجَزَع، ولم يمدح أهل التُّقى والنُّهَى مَن كان حَليماً بشدّة العقاب، ولكن بِحُسن الصَّفْح والاغتفار وشدّة التَّغافل، وبعد فالمُعاقب مُسْتَدع لعداوة أولياء المذنب، والعافي مُسْتَزِع لشُكرهم آمِنٌ مِن مكافأتهم، ولأن يُثنى عليك بِاتّساع الصَّدْرِ خَير مِنْ أَنْ تُوصف بِضِيقه، على أنّ إقالتك[1] عَثَرَاتِ عِباد الله موجب لإقالَة عثرتك من ربِّهم، وموصول بعفوه، وعقابك إيّاهم موصول بِعقابه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

[نفسه ص٨٣٨ ـ ٨٣٩].

* * *

تميم بن جميل والمعتصم

كان تميم بن جميل السّدوسيّ قد أقام بِشاطىء الفُرات، واجتمع إليه كثير من الأعراب، فَعَظُم أَمْرُه، فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النُّهوض إليه، فَتبدّد جمعه، وظفر به فحمله مُوثقاً إلى باب المعتصم، فقال أحمد بن أبي داود: ما رأيت رجلاً عاين الموت، فَما هَالَه ولا شَغله عمّا كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل، فإنّه لمّا مَثل بين يدي

(١) «أَقَالَ اللّهُ عَثْرَتَهُ إذا رفعه مِن سُقُوطه».

[المصباح المُنير: ١٩٩].

المعتصم وأحضر السَّيف والنَّطْعَ[(١)]، ووقف بينهما، تأمّله المعتصم ـ وكان جميلاً وَسِيماً ـ فأحبّ أن يعلم أين لسانه مِن منظره، فقال: تكلّم يا تَميم، فقال: أمّا إذ أَذِنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول: الحمد لله الذي أحسن كلّ شيء خَلَقَهُ وبَدأ خَلق الإنسان من طين، ثمّ جعل نَسله مِن سُلالة من ماءٍ مهين، يا أمير المؤمنين، جَبَر الله بِك صَدْعَ الدِّين، ولمّ بِك شَعَثَ المسلمين، وأوضح بِك سُبُل الحَقّ، وأَخْمَدَ بِك شِهَاب البَاطل، إنّ الذُّنوب تخرس الألسن الفَصيحة، وتُعيي الأفئدة الصَّحيحة، ولقد عَظُمَتِ الجَريرة[(٢)]، وانقطعت الحُجّة وساء الظَّنُّ، فلم يَبق إلاّ عَفوك وانتقامُك، وأرجو أن يكون أقربهما منّي وأسرعهما إليّ أشبههما بِك، وأولاهما بِكرمك، ثُمَّ قال:

أَرَى المَوْتَ بيْنَ السَّيْفِ وَالنّطع كَامِناً ... يُلاَحِظُنِي مِنْ حَيْثُمَا أَتَلَفَّتُ
وَأَكْبَرُ ظَنّي أَنّكَ اليَوْمَ قَاتِلِي ... وَأَيُّ امْرِىءٍ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يفلت
وأَيُّ امْرِىءٍ يَأْتِي بِعُذْرٍ وحُجَّةٍ ... وَسَيْفُ المَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنَّنِي ... لأَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ شَيْءٌ مُوَقَّتُ
وَلَكِنَّ خَلْفِي صِبْيَةً قَدْ تَرَكْتُهُمْ ... وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ
فَإنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِغِبْطَةٍ[(٣)] ... أَذُودُ[(٤)] الرَّدَى[(٥)] عَنْهُمْ وَإِنْ متُّ مَوَّتُوا
وَكَمْ قَائِلٍ لاَ يبعد اللَّهُ دَارَهُ ... وآخر جَذْلاَنٌ يسرُّ ويشمت

---

(١) «النّطع؛ بِالكسر وبالفتح وبالتّحريك، وكَعِنَبٍ: بِسَاط مِن الأديم، الجمع: أَنْطَاعٌ ونُطُوعٌ».

[القاموس المحيط: ٧٦٧].

(٢) «الجَرِيرَةُ: الذَّنْبُ، والجِنَايَةُ، جَرَّ عَلى نفسه وغَيره جَرِيرةً، يَجُرُّها، بِالضَّمّ والفَتح، جَرًّا».

[القاموس المحيط: ٣٦٤].

(٣) «الغِبْطَةُ، بِالكسر: المَسَرَّةُ، وقد اغْتَبَطَ».

[القاموس المحيط: ٦٧٩].

(٤) «الذَّوْدُ: السَّوْقُ، والطَّرْدُ، والدَّفْعُ، كالذِّيَادِ، وهو ذَائِدٌ مِن ذُوَّدٍ».

[نفسه، ص٢٨١].

(٥) الهلاك.

فتبسَّمَ المعتصم وقال: يا جميل، قد وهبتك للصّبية، وغفرت لك الصَّبوة، ثُمّ أمر بِفكِّ قُيوده، وخلع عليه، وعقد له على شاطىء الفُرات.

[نفسه ص٨٣٩ ـ ٨٤٠].

* * *

من المعتصم إلى عبدالله بن طاهر

وكتب المعتصم ـ حين صارت إليه الخِلافة ـ إلى عبدالله بن طاهر: عافانا الله وإيّاك، قد كانت في قلبي هَنَاتٌ غفرها الاقتدار، وبقيت حَزَازَاتٌ[١] أخاف منها عليك عند نظري إليك، فإن أتاك ألف كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم، وحسبك معرفة بِما أنا مُنطو لك عليه إطلاعي إيَّاك على ما في ضميري مِنك، والسَّلام.

قال العبّاس بن المأمون: لمّا أَفْضَتِ الخَلافة إلى المعتصم دخلت، فقال: هٰذا مجلس كنت أكره النّاس لجلوسي فِيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت تعفو عَمَّا تيقَّنته، فكيف تعاقب على ما توهّمته؟

فقال: لو أردت عقابك لتركت عتابك.

وكان المعتصم شَهماً، شُجاعاً، عَاقِلاً، مُفَوَّهاً[٢]، ولم يكن في خُلفاء بني العبَّاس أُمِّيّ غيره، وقيل: بل كان يكتب خَطّاً ضَعيفاً، وكان سبب ذلك أنّه رأى جَنازة لبعض الخَدم، فَقال: ليته مثله لأتخلّص مِنَ الكُتَّابِ[٣]!

فقال الرَّشيد: والله لا عذّبتك بِشيء تختار عليه الموت.

---

(١) «الحَزَازُ، بِالفتح: وَجَعٌ في القَلبِ مِن غَيْظٍ ونَحوِهِ».

[القاموس المحيط: ٥٠٨].

(٢) «مُفَوَّهٌ، كمُعَظَّمٍ، وفَيِّهٌ، ككَيِّس: مِنْطِيقٌ».

[القاموس المحيط: ١٢٥١].

(٣) موضع التَّعليم.

قال أبو القاسم الزّجاجي: وهذا شيء يُحكى مِن غير رِوَاية صحيحة، إلاّ أنّ جُملته أنّه كان ضَعيف البَصرِ بالعربية.

وقرأ أحمد بن عمّار المذري ـ وكان يتقلّد العرض عليه في الحَضْرَةِ ـ كتاباً فِيه: «ومطرنا مطراً كَثُرَ عنه الكلأ» فقال له المعتصم: ما الكلأ؟ فقال: لا أدري. فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجِعُون! خَليفة أُمِيّ وكاتب أُميّ! ثمّ قال: من يقرب منّا مِن كُتّاب الدَّار؟ فعرف مكان محمد بن عبدالملك الزَّيّات، وكَان يَتولّى قَهرمة[1] الدَّار، ويُشرف على المطبخ، فأحضره، فَقال: ما الكلأ؟ فقال: النّبات كُلّه رَطبه ويابِسُه، فالرَّطب منه خاصّة يقال له خَلاً، ومِنْه سُمّيت المخلاة، واليابس يقال له حَشيس، ثمّ اندفع في صفات النَّبات من ابتدائه إلى اكتماله إلى هَيجه[2]، فاستحسن ذلك المعتصم، وولاّه العرض من ذلك اليَوم، فلم يزل وزيراً مدّة خلافته وخلافة الواثق، حتّى نكبه[3] المتوكّل بحقود حقدها عليه أيّام أخيه الواثق.

[نفسه ص٨٤١].

❋ ❋ ❋

المعتصم يكتب لملك الرُّوم

قال الرّياشي: كتب ملك الرُّوم إلى المعتصم كتاباً يتهدَّده فِيه، فأمر بِجوابه، فلمّا قُرىء عليه لم يَرْضَ ما فِيه، وقال لبعض الكُتّاب: اكتب «أمّا بعدُ فَقد قرأت كتابك، وفهمت خطابك، والجواب ما تَرى، لا مَا تسمع، وسيعلم الكافِر لمن عُقبى الدَّار».

---

(١) «القَهْرَمَانُ: الوَكِيلُ أو أمين الدَّخل والخَرج (فارسيّ مُعرّب). الجمع: قَهارِمة. والقَهْرَمَةُ: وَظيفة القَهْرَمَان وفِعْلُه».
[القاموس المحيط: ٨٢٠].

(٢) «هَاجَ الشَّيءُ: ثَارَ وبَابُه بَاعَ وهِيَاجاً أيضاً بِالكسرِ وهَيَجَاناً بفتحتين واهْتَاجَ وتَهيَّجَ مِثْله».
[القاموس المحيط: ٢٩٣].

(٣) «النَّكْبَةُ واحدَةُ نَكَبَاتِ الدَّهر. ونُكِبَ الرَّجُلُ على ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ فهو مَنْكُوب».
[نفسه ص٢٨٢].

وهذا نظير قول قَطري للحَجّاج، وقد كَتب إليه كِتاباً يَتهدّده، فأجابه قطري: أمّا بعد، فالحمد لله الذي لَوْ شَاءَ لجمع شَخصينا، فعَلمت متاقفة الرِّجال أقوم من تَسطير المقال. والسَّلام.

[نفسه ص٨٤٢].

* * *

وصف بني المهلّب بن أبي صُفرة

لما افتتح المهلّب خُراسان، ونَفى الخَوارج عنها، وتفرّقت الأزارقة كتب الحجّاج إليه أَن اكتب لي بِخبر الوقيعة، واشرح لي القِصّة حتى كأنّي شاهِدُهَا، فبعث إليه المهلّب كَعب بن معدان الأَشعريّ، فأنشده قَصيدة فيها ستّون بَيتاً تقتصّ[1] خَبرهم لا يخرم[2] منه شيئاً، فقال له الحَجّاج: أخطيب أم شاعر؟ قال له: كلاهما، أعزّ الله الأمير! قال: أخبرني عن بني المهلّب فقال له: المغيرة سَيِّدهم، وكفاك بيزيد فارساً، وما لقي الأبطال مثل حَبيب، ومَا يَستحيي شُجاع أَنْ يَفرّ من مُدْرك، وعبدالملك موت ذُعَاف[3] وسُمٌّ ناقِع[4]، وحسبك بِالمفضّل في النَّجدة[5]، واسْتَجْهِز قبيصة، ومحمد ليث غاب، فقال الحجّاج: ما أراك فضلت واحِداً منهم، فأخبرني عن جُملتهم

---

(١) «قصّ أَثَرَهُ: تَتَبَّعَهُ مِن بابِ رَدَّ وقَصَصاً أيضاً».

[مختار الصّحاح: ٢٢٥].

(٢) لا ينقص منه شَيئاً.

(٣) «الذُّعَافُ، كغُرَابٍ: السُّمُّ، أَو سَمٌّ سَاعَةٍ، كالذُّعْفِ، الجمع: ذُعُفٌ، ككُتبٍ. وكمَنَعَهُ: سقاهُ إيّاهُ».

[القاموس المحيط: ٨١١].

(٤) «سُمٌّ نَاقِعٌ: بَالِغٌ ثابِت».

[نفسه ص٧٦٨].

(٥) «النَّجْدُ: الشُّجاع الماضي فيما يعجز غيره، كالنَّجِدِ والنَّجُدِ، (ككتفٍ ورَجُلٍ). والنّجيد، وقَد نَجُدَ، ككَرُمَ، نَجَادَةً ونَجْدَةً».

[نفسه ص٣٢١].

ومن أفضلهم؟ فقال: هُم - أعزّ الله الأمير! - كالحَلْقَةِ المُفرَغَة لا يُدْرَى أين طرفها، قال: إنَّ خَبر حَرْبِكم كان يبلغني عَظيماً، أفكذلك كان؟ قال: نَعم أيّها الأمير، والسَّماع دُون العِيَانِ[١]. قال: أخبرني كَيف رضا المُهَلّب عن جُنده وَرِضا جُنده عنه؟ قال: أعزّ الله الأمير، له عليهم شفقة الوالد، ولهم به برّ الولد. قال: أخبرني كيف فاتكم قَطري؟ قال: كِدْنَاهُ في منزلة فتحوّل عنه، وتَوهّم أنّه كَادَنَا[٢] بِذلك، قال: فهلاّ اتّبعتُموه، قال: الكلب إذا أُحْجِرَ[٣] عَقر، قال: المهلّب كان أعلم بِك حيث أرسلك.

وقد رُوِي أنّ المهلّب لما فرغ من قتل عبد ربّه الحروريّ[٤] دَعَا بِشر بن مَالِك فأنفذه بالبشارة إلى الحجّاج، فَلمّا دخل على الحَجّاج قال: ما اسْمُكَ؟ قال: بِشر بن مالك، فقال الحَجّاج: بشارة وملك! وكيف خَلّفت المهلّب؟ قال: خلفته وقد أَمن مَا خاف، وأدرك مَا طلَب، قال: كَيف كانت حالكم مع عَدوّكم؟ قال: كانت البداءة لهم، والعَاقبة لنا، قال الحجّاج: العاقبة للمتّقين، ثمّ قال: فما حال الجُند؟ قال: وسعهم الحَقّ، وأغناهم النَّفل، وإنّهم لمع رجل يسوسهم سياسة الملوك، ويقاتل بهِم قِتال الصّعلوك، فلهم منه برُّ الوالد، وله منهم طاعة الولد، قال: فَما حال ولد المهلّب؟ قال: رعاة البَيَاتِ حتّى يؤمّنُوه، وحُماة السَّرج حتّى يَردُّوه، قال: فأيّهم أفضل؟ قال: ذلك إلى أبيهم، قال: وأنت أيضاً، فإنّي أرى لك لساناً وعِبارة، قال: هُم كالحلقة المُفْرَغة لا يدرى أين طرفها، قال: ويحك! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال؟ قال: لا يعلم الغَيب إلاّ الله.

[نفسه ص٨٤٢ - ٨٤٣].

---

(١) المشاهدة.

(٢) «الكَيْدُ: المَكرُ وبَابُه بَاعَ ومَكِيدَةً أيضاً بِكسر الكَافِ».

[مختار الصّحاح: ٢٤٤].

(٣) «جَحرَ الضَّبُّ، كَمَنَعَ: دَخلَهُ، وجَحرَ فُلانٌ الضَّبَّ: أدخله فِيه فانْجَحرَ، وتَحَجَّرَ، كَأجْحَرَه».

[القاموس المحيط: ٣٦٢].

(٤) الخارجيّ.

بين سهل بن هارون والحسن بن سهل

أَلَّف سهل بن هارون كتاباً يمدح فِيه البُخل ويَذُمّ الجُود، ليظهر قُدرته على البَلاغة، وأهداه للحسن بن سهل في وزارته للمأمون، فَوقّع عليه: لقد مدحتَ ما ذَمَّهُ الله، وحَسَّنت مَا قَبَّح الله، ومَا يقوم صلاح لفظك بِفساد معناك، وقد جَعلنا نَوالك عليه قبول قولك فِيه.

وكان الحسن من كرماء النّاسِ وعُقلائهم. سُئل أبُو العيناء عنه، فَقال: كأنّما خَلفَ آدَمَ في ولده، فهو ينفع عَيْلَتَهُم[1]، ويَسُدُّ خَلَّتَهُمْ[2]، ولقد رفع الله للدُّنيا مِنْ شأنها، إذ جَعَلَه مِنْ سُكّانها.

أخذ هذا المعنى أبو العَيناء من قول الشّاعر:

وَكَـأَنَّ آدَمَ كَـانَ قَـبْـلَ وَفَـاتِـهِ أَوْصَاكَ وَهْوَ يَجُودُ بِالحَوْبَاءِ[3]

بِبَنِيهِ أَنْ تَرْعَاهُمُ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَيْلَةَ الأَبْنَاءِ

وأخذ أبو الطَّيّب المتنبّي آخر كلام أبي العيناء فَقال:

قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ دُنْيَا أَنْتَ سَاكِنُهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا

وقيل للحسن بن سهل: لِمَ قيل: قال الأول، وقال الحكيم؟ قال: لأنّه كلامٌ قد مَرّ على الأسماع قَبلنا، فلو كان زللاً لما نُقل إلينا مُستحسناً.

[نفسه ص٨٨٨ ـ ٨٨٩].

* * *

(١) «العَيْلَةُ والعَالَةُ: الفَاقَةُ».

[مختار الصّحاح: ١٩٥].

(٢) «الخَلَّةُ: الحَاجَةُ، والفَقْرُ، والخَصَاصَةُ».

[القاموس المحيط: ٩٩٤].

(٣) «الحَوْبَاءُ: النَّفْسُ، الجمع: حَوْبَاواتٌ».

[القاموس المحيط: ٧٧].

عليّ بن الخَليل والرَّشِيدُ

قال الفضل بن رَبيع: جَلس الرَّشِيد يَوماً للمظالم، فجعلت أتَصفّح النّاس، وأسمع كلامهم، فرميت بِطرفي، فَرأيت في آخرهم شيخاً حسن الهيئة والوجه ما رأيتُ أحسن منه، فوقف حتّى تَقوّض(١) المَجْلِس ثُمّ قال: يا أمير المؤمنين، رُقعتي، فأمَرَ بِأخذها فَقال: إن رأى أمير المؤمنين أنْ يَأذن لي بقراءتها، فأنا أحسنُ تعبِيراً لخطّي من غيري - فَقال له: اقرأ، فَقال: شيخ ضَعيف، ومقام صَعب، ولا آمَنُ الاضطراب، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يَصِل عنايته بِأمري في الإذن بِالجُلُوس فَعَلَ، فقال: اجلس، فَجعل وأنشأ يقول:

يَا خَيْرَ مَنْ وَخَدَتْ(٢) بِأَرْحُلِهِ ... نُجُبُ الرِّكَابِ بِمَهْمَهٍ جَلْسِ
تَطْوِي السَّبَاسِبَ(٣) فِي أَزِمَّتِهَا(٤) ... طَيَّ التِّجَارِ(٥) عَمَائِمِ البِرْسِ(٦)
لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً ... سَجَدَتْ لِوَجْهِكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ
خَيْرُ البَرِيَّةِ أَنْتَ كُلُّهُمُ ... فِي يَوْمِكَ الغَادِي وَفِي الأَمْسِ
وكَذَلِكَ لَنْ تَنْفَكَّ خَيْرَهُمُ ... تُمْسِي وتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُمْسِي
لله مَا هَارون مِنْ مَلِكٍ ... عَفّ السَّرِيرَةِ طَاهِرِ النَّفْسِ

---

(١) «قَاضَ البِنَاءَ: هَدَمَهُ، كَقَوَّضَهُ. أو التَّقويض: نَقض مِن غيرِ هَدْم».
[القاموس المحيط: ٦٥٣].

(٢) «الوَخْدُ للبَعِير: الإسْرَاعُ، أو أَنْ يَرْمِيَ بِقوائمه كمَشي النّعام، أو سَعَةُ الخَطو، كالوَخَدَانِ والوَخِيدِ، وَقد وَخَدَ، كَوَعَدَ».
[القاموس المحيط: ٣٢٥].

(٣) «السَّبْسَبُ: المَفَازَةُ، أو الأرضُ المُستوية البَعِيدةُ، بَلَدٌ سَبْسَبٌ وسَبَاسِبُ».
[القاموس المحيط: ٩٦].

(٤) «زَمَّهُ فانْزَمَّ: شَدَّهُ. وككتاب: مَا يُزَمُّ بِهِ، الجمع: أزِمَّةٌ».
[نفسه ص١١١٨].

(٥) جمع تاجر.

(٦) «البِرْسُ، بِالكسرِ: القُطْنُ، أَو شَبِيه بِه، أو قُطْنُ البَرْديّ، ويُضَمّ».
[نفسه ص٥٣٢].

تَمَّتْ عَلَيْهِ لِرَبِّهِ نِعَمٌ تَزْدَادُ جِدَّتُهَا[١] مَعَ اللُّبْسِ
مِنْ عَشْرَةٍ طَابَتْ أَرُومَتُهَا[٢] أَهلِ العَفَافِ ومُنْتَهَى القُدْسِ
مُتَهَلِّلِينَ عَلَى أَسِرَّتِهِمْ وَلَدى الهِيَاجِ[٣] مَصَاعِبُ[٤] شُمْسِ[٥]
إِنِّي لَجَأْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَزَعٍ قَدْ كَانَ شَرَّدَنِي وَمِنْ لَبْسِ
لَمَّا اسْتَخَرْتُ اللَّهَ مُجْتَهِداً يَمَّمْتُ نَحْوَكَ رِحْلَةَ العَنْسِ[٦]
وَاخْتَرْتُ حِلْمَكَ لاَ أُجَاوِزُهُ حَتَّى أُغَيَّبَ فِي ثَرَى رَمْسِي[٧]
كَمْ قَدْ سَرَيْتُ إِلَيْكَ مُدَّرِعاً[٨] لَيْلاً يَمُوجُ كَحَالِكِ النِّقْسِ[٩]
إِنْ رَاعَنِي مِنْ هَاجِسٍ فَزِعٍ كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِي[١٠]

---

(١) «جَدَّ الشَّيءُ يَجِدُّ جِدَّةً بكسرِ الجِيم فيها صَارَ جَدِيداً وهو نَقِيض الخَلَقِ».
[مختار الصحاح: ٤١].

(٢) «الأَرُومَةُ، وتُضَمُّ: الأصلُ، الجمع: أَرومٌ».
[القاموس المحيط: ١٠٧٥].

(٣) «هَاجَ يَهِيجُ هَيْجاً وهَيَجَاناً وهِيَاجاً، بِالكسر: ثَارَ، كاهْتَاجَ وتَهَيَّجَ».
[نفسه ص٢١١].

(٤) «المُصْعَبُ، كمُكْرَمٍ: الفَحْلُ».
[نفسه ص١٠٥].

(٥) «شَمَسَ الفَرَسُ شُمُوساً وشِمَاساً مَنَعَ ظهره، فَهو شَامِسٌ وشَمُوسٌ».
[نفسه ص٥٥٢].

(٦) «العَنْسُ: النَّاقَةُ الصُّلْبَةُ».
[القاموس المحيط: ٥٦٠].

(٧) «الرَّمْسُ: القَبرُ، كالمَرْمَسِ والرَّامُوس الجمع: أرماسٌ ورُمُوسٌ».
[نفسه ص٥٤٩].

(٨) «كُلُّ ما أدخلت في جوف شيء: فَقد أدرعته. ودَرَّعَهُ تدريعاً: ألبسه الدِّرع».
[القاموس المحيط: ٧١٥].

(٩) «النِّقْسُ، بِالكسر: المِدَادُ الجمع: أنقاسٌ وأنقُسٌ».
[نفسه ص٥٧٨].

(١٠) «التُّرْسُ، بِالضَّمِّ: معروف الجمع: أتراسٌ وتِرَسَةٌ وتِرَاسٌ وتُرُوسٌ».
[نفسه ص٥٣٤].

مَــا ذَاكَ إلاَّ أَنَّــنِــي رَجُــلٌ أَصْـبُـو[(١)] إِلَـى نَـفَـرٍ مِـنَ الإنْـسِ
بِـيـضٌ أَوَانِـسُ لاَ قُـرُونَ لَـهَـا يَـقْـتُـلْـنَ بِـالـتَّـطْـوِيـلِ وَالـحَـبْـسِ
وَأُجَـاذِبُ الـفِـتْـيَـانَ بَـيْـنَـهُـمُ صَـفْـرَاءَ مِـثْـل مُـجَـاجَـةِ[(٢)] الـوَرْسِ[(٣)]
لِـلْـمَـاءِ فِـي حَـافَـاتِـهَـا حَـبَـبٌ[(٤)] نَـظْـمٌ كَـرَقْـمِ صَـحَـائِـفِ الـفُـرْسِ
وَالـلَّـهُ يَـعْـلَـمُ فِـي بَـنِـيـتِـهِ مَـا إنْ أَضَـعْـتُ إِقَـامَـةَ الـخَـمْـسِ[(٥)]

قال: ومن تَكون؟ قال: عليّ بن الخَليل، الذي يقال إنّه زنديق، فقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم.

[نفسه ص٩٠٩ ـ ٩١١].

❋ ❋ ❋

بين المنصور ومعن بن زَائدة

قال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة: كبرت يا معن! قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: إنّك لَجَلْدٌ[(٦)]، قال: على أعدائك، قال: وإنّ فِيك لَبقيّة، قال: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: فأيّ الدّولتين أحبّ

---

(١) «صَبِيَ إِليها: حَنَّ، كصَبَا صَبْوَةً وصُبْوَةً وصُبُوًّا».

[القاموس المحيط: ١٣٠٢].

(٢) «المُجَاجُ بِالضَّمِّ والمُجَاجَةُ أيضاً الرِّيق الذي تَمُجُّهُ مِن فِيك يُقال: المَطَرُ مُجَاجُ المُزْنِ والعَسَلُ مُجَاجُ النَّحل».

[مختار الصِّحاح: ٢٥٧].

(٣) «الوَرْسُ بِوزنِ الفَلْسِ: نبتٌ أصفر يكون بِاليمنِ تُتَّخَذُ منه الغُمْرة للوجه».

[نفسه ص٢٩٨].

(٤) «الحَبَبُ، مُحرّكة، وكعنب: تَنَضُّدُ الأسنان، وَمَا جَرَى عليها مِن الماءِ كقِطع القَوارير».

[نفسه ص٧٢].

(٥) الخَمْسُ: أراد الصّلوات الخمس المفروضة. (المحقّق).

(٦) جَلْدٌ: قَويّ شديد الاحتمال.

إليك، هذه أم دولةُ بني أُميّة؟ قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين، إن زَاد برُّك على برِّهم كانت دولتك أحبَّ إليَّ.

ومعن هذا هو معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو أخي الحوفزان بن شريك بن عمرو بن قيس بن شرحبيل بن مُنبّه بن مرّة بن ذُهل بن شيبان، وبنو مطر بيت شيبان، وشيبان بيت رَبيعة.

وإن كان معه أجود النّاس، وفيه يقول مروان بن أبي حفصة ويعمّ بني مَطر:

بَنُو مَطَرٍ يَوم اللِّقاء كَأنّهم ... أُسُودٌ لَهَا في غِيل[1] خَفَّانَ[2] أَشبُلُ
هُمُ يَمْنَعُونَ الجَارَ حَتَّى كَأنّما ... لِجَارِهِمُ بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ[3] مَنْزِلُ
وَلاَ يَسْتَطِيعُ الفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ ... وَإِنْ أَحْسَنُوا في النَّائِبَاتِ[4] وَأَجْمَلُوا[5]
بَهَالِيلُ[6] فِي الإِسْلاَمِ سَادُوا وَلَم يَكُن ... كَأَوَّلِهِمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَوّلُ
هُمُ القَومُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا ... جَابُوا وَإِنْ أَعْطَوا أَطَابُوا وأَجْزَلُوا[7]

(١) «الغِيلُ، بِالكسر: الأَجَمَةُ. وموضع الأَسدِ غِيلٌ، وجمعُه: غُيُولٌ. قال الأصمعيُّ: الغِيلُ: الشَّجرُ الملتفُّ».

[مختار الصحاح: ٢٠٣].

(٢) «خَفَّانُ، كعَفَّانِ: مَأْسَدَةٌ قُربَ الكُوفة».

[القاموس المحيط: ٨٠٦].

(٣) «السِّمَاكُ، ككتاب: الأَعْزَلُ، والرَّامِحُ: نَجمانِ نَيِّرَانِ».

[نفسه ص٩٤٣].

(٤) «النَّائِبَةُ: المُصِيبَةُ واحدةُ نَوَائِبُ الدَّهر».

[مختار الصِّحاح: ٢٨٥].

(٥) «أَجْمَلَ الصَّنِيعَة: حَسَّنَهَا وكَثَّرَها».

[القاموس المحيط: ٩٧٩].

(٦) «البُهْلُولُ: السَّيِّدُ الجَامِعُ لِكُلِّ خَيرٍ».

[نفسه ص٩٧٠].

(٧) «الجَزْلُ: الكَثِيرُ مِن الشَّيء، كالجَزيلِ، الجمع: كجِبَالٍ».

[القاموس المحيط: ٩٧٦].

أخذ البيت الأوّل ابن الرُّومي، وزاد فِيه، فَقال:

تَلقاهُمُ وَرِمَاحُ الخطّ بَينَهُمُ   كَالأُسْدِ أَلْبَسَهَا الآجَامَ[1] خَفَّانُ

ودخل رجل من شَيبان على معن بن زائدة، فقال: ما هذه الغيبة؟ فقال: أيّها الأمير، ما غاب عن العَين من يذكره القلب، وما زال شوقي إلى الأمير شَديداً، وهو دُون ما يَجب له، وذكرى له كَثيراً، وهو دُون قَدره، ولكن جفوة الحُجَّاب، وقلّة بشر الغِلمان، منعاني من الإتيان! فأمر بتسهيل إذنه، وأجزل صلته.

[نفسه ص٩١١ ـ ٩١٢].

❋ ❋ ❋

بين أعرابي وبعض الولاة

دخل أعرابيّ على بعض الوُلاةِ فَقال: أصلح الله الأمير، اجعلني زِمَاماً[2] مِن أزمّتك، فإنّي مِسْعَرُ حَرب[3]، ورَكّاب نُجُب[4]، شَديدٌ على الأعداء، لَيّنٌ على الأصدقاء، مُنْطَوي الخَصيلة[5]، قَليل

---

(١) «الأَجَمَةُ، مُحرّكة: الشَّجرُ الكَثِيرُ المُلتفُّ، الجمع: أُجُمٌ، بِالضَّمِّ وبِضَمَّتين وبِالتّحريك، وآجَامٌ وإِجَامٌ وأَجَمَاتٌ».

[نفسه ص١٠٧٤].

(٢) «الزِّمَامُ، ككتاب: مَا يُزَمُّ بِه، الجمع: أزمَّة».

[القاموس المحيط: ١١١٨].

(٣) «سَعَرَ النَّارَ والحَرْبَ، كمنع: أوقدها، كسَعَّرَ وأَسْعَرَ».

[نفسه ص٤٠٧].

(٤) «النَّجِيبُ، وكُهمزة: الكريم الحسيبُ، الجمع: أَنْجَابٌ ونُجَبَاءُ ونُجُبٌ. ونَاقَة نَجِيبٌ ونَجِيبَةٌ، الجمع: نَجَائِب».

[نفسه ص١٣٦].

(٥) «الخَصِيلةُ: القِطعةُ مِن اللّحم، أو لَحمُ الفَخِذَين والعَضُدَينِ والذّراعين، أو كُلُّ عَصبة فيها لحمٌ غَلِيظٌ، الجمع: خَصِيلٌ وخَصَائل».

[القاموس المحيط: ٩٩٣].

الثَّميلة[١]، قليل غرار[٢] النّوم، قَد غذتني الحروبُ أفاويقها[٣]، وحلبت الدَّهر أشطره، فلا يمنعك منّي الدّمامة، فإنَّ تحتها لشهامة.

[نفسه ص٩٢٦].

❋ ❋ ❋

بين ابن المعتزِّ وبعض الوزراء

كتب ابن المعتزِّ إلى بعض الوزراء: ما زال الحاسِدُ لنا عليك أيّها الوزير يَنْصِبُ الحَبَائل[٤]، ويطلب الغَوائل[٥]، حتى انتهز فرصته، وأبلغك تشنيعاً زَخرفه، وكذباً زَوّره، وكيف الاحتراس ممّن يحضر وأغِيب، ويقول وأمسك؟ مرتصداً لا يغفل وماكِراً لا يفتر، وربّما استنصَح الغاش، وصدق الكاذب، والخطوة لا تُدرك بالحِيلة، ولا يجري أكثرها على حسب السَّبب والوَسيلة.

فأجابه: حصول الثّقة بِك ـ أعزّك الله ـ تُغني عن حضورك، وصدق حالتك يحتجّ عنك، وما تَقرَّر عندنا من نيّتك وطويّتك يُغني عن اعتذارك.

[نفسه ص٩٤٨].

❋ ❋ ❋

(١) «الثَّمِيلَةُ: مَا يكون فِيه الطَّعام والشَّرابُ في الجَوفِ».

[نفسه ص٩٧٣].

(٢) «الغِرَارُ، بالكسر: القَليلُ من النَّوم وغَيره».

[نفسه ص٤٥٠].

(٣) «الفِيقَةُ، بِالكسر: اسمُ اللَّبَنِ يَجتمع فِي الضَّرْع بين الحلبتين، الجمع: فِيَقٌ، بالكسر، وفِيَقٌ، كعِنَبٍ، وفِيقَاتٌ وأَفْوَاقٌ، جمع الجمع: أَفَاوِيقُ».

[نفسه ص٩٢٠].

(٤) «الحِبَالَةُ، ككتابة: المِصْيَدَةُ، كالأُحْبُولِ والأُحْبُولَةِ».

[القاموس المحيط: ٩٨١].

(٥) «الغَوَائِلُ: الدَّوَاهِي».

[نفسه ص١٠٤٠].

بين الحجّاج وأهل العراق

قال عبدالملك بن مروان للحجّاج: إنّي استعملتك على العِراق، فاخْرُج إليها كميش الإزَارِ[١]، شَدِيد الغِرَار، قليل العثار، منطوي الخصيلة، قَليل الثَّميلة، غرار النّوم، طويل اليوم، واضغط الكوفة ضغطة تحبق[٢] منها البَصرة.

وشكا الحجّاج يوماً سوءَ طاعة أهل العِراق، وسقم مَذهبهم، وسخط طريقتهم، فقال له جامع المحاربي: أمّا إنّهم لو أحبّوك لأطاعوك، على ما شَنِئُوك[٣] لبلدك، ولا لذات يَدك، إلاَّ لما نقموه مِن أفعالك، فَدع ما يُبعدهم عنك إلى ما يُدنيهم مِنك، والتمس العافية ممّن دُونك تُعطها ممّن فَوقك، وليكن إيقاعك بَعد وعيدك، ووعيدك[٤] بعد وَعدك[٥] ثَلاثاً.

فقال له الحَجّاج: والله ما أرى أن أَردّ بني اللّخناء إلى طاعتي إلا بِالسَّيف. فقال جامع: أيّها الأمير، إنّ السَّيف إذا لاقى السَّيف ذهب الخيار. قال الحجّاج: الخيار يَومئذ لله. قال جامع: أجل، ولكن لا ندري لمن يجعله الله. فغضب الحجَّاج وقال: يا هَنَاهُ، إنّك مِن مُحارب، فقال جَامع:

---

(١) «رَجُلٌ كَمِيشُ الإزارِ: مُشَمِّره».

[القاموس المحيط: ٦٠٤].

(٢) «الحِبْقُ، بِالكسر، وكَالغُرَاب: الضُّرَاطُ، وأكثر استعماله في الإبل والغَنَم. وقَد حَبَقَ يَحْبِقُ حَبْقاً وحَبِقاً، ككَتفٍ وغُراب».

[القاموس المحيط: ٨٧٢].

(٣) أبغضوك.

(٤) و(٥) «الوَعْدُ يُستعمل في الخَير والشَّرّ يُقال: وعَدَ يَعِدُ بالكسرِ وَعْداً. قال الفَرَّاءُ: يُقال: وَعَدْتُهُ خَيراً ووعدته شَرًّا فإذا أسقطوا الخَيرَ والشَّرّ قالوا في الخير: الوَعْدُ والعِدَةُ، وفي الشَّرّ الإِيعَادُ والوَعِيدُ فإن أدخلوا البَاء في الشَّرّ جَاؤوا بِالألف فقالوا: أوعده بِالسِّجن ونَحْوه».

[مختار الصِّحاح: ٣٠٣].

وَلِلْحَرْبِ سُمِّينَا وَكُنَّا محاربا   إِذَا مَا القَنَا[(١)] أَمْسَى مِن الطَّعْنِ أَحْمَرَا

فقال له الحجَّاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك، فأضرب به وجهك. فقال جَامع: إن صَدَقناك أغضبناك، وإن كذبناك أغضبنا الله. فقال الحجّاج: أجل، وسكن سلطانه، وشغل ببعض الأمر، وخرج جامع وانْسَلَّ من صُفوف النّاسِ، وانْحَاز إلى جبل العراق.

وكان جامع لَسِناً[(٢)] مُفَوَّهاً[(٣)]، وهو الذي يقول للحجَّاج حين بنى واسطاً: بنيتها في غير بلدك، وأورثتها غير ولدك.

[نفسه ص٩٧٥ ـ ٩٧٦].

* * *

بين خالد بن صفوان وعليّ بن الجهم

دخل خالد بن صفوان على عليّ بن الجهم بن أبي حُذيفة فألفاه يُريد الرّكوب فَقُرِّب إليه حمار ليركبه، فقال خالد: أما علمت أنّ العَيْرَ[(٤)] عار، والحِمار شَنار[(٥)]، مُنكر الصّوت، قبيح الفَوت[(٦)]، مُتَزَلِّج في الضَّحل،

(١) «القَنَاةُ: الرُّمْحُ. الجمع: قَنواتٌ وقَناً».
[القاموس المحيط: ١٣٢٦].

(٢) «اللَّسَنُ بفتحتين: الفصاحة، وقد لَسِنَ مِن باب طرِبَ فهو لَسِنٌ وألْسَنُ».
[مختار الصّحاح: ٢٤٩].

(٣) «مُفَوَّهٌ، كمُعَظَّمٍ، وفَيِّهٌ، ككَيِّس: مِنْطِيق».
[نفسه ص١٢٥١].

(٤) «العَيْرُ: الحِمَارُ، وغَلب على الوحشيّ الجمع: أَعْيَارٌ وعِيَارٌ وعُيُورٌ وعُيُورَةٌ».
[القاموس المحيط: ٤٤٧].

(٥) «الشَّنَارُ، بِالفتح: أقبح العيب، والعار، والأمرُ المشهور بِالشُّنْعَة».
[نفسه ص٤٢٠].

(٦) «فاتَهُ الأمرُ فَوْتاً وفَوَاتاً: ذَهَبَ عَنهُ، كافْتَاتَهُ».
[نفسه ص١٥٧].

مُرتطم في الوَحل، ليس بركوبة فحل، ولا بِمطيّة[١] رَحْل، راكبُه مُقرف[٢]، ومُسَايره مُشرف.

فاستوحش ابن أبي حُذيفة من ركوب الحِمار ونزل عنه، وركب فَرساً ودفع الحمار إلى خالد فَركبه، فقال له: ويحك يا خالد! أتنهى عن شيء وتأتي مِثله؟

فَقال: أصلحك الله! عَيْرٌ مِن بَناتِ الكِرْبَالِ[٣]، واضِحُ السِّرْبَال[٤] مُختلج القَوَائم، يَحمل الرَّجلة، ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكُون جَبَّاراً عَنِيداً، إن لم أعترف بِمكاني فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين.

[نفسه ص٩٨٣ ـ ٩٨٤].

❊ ❊ ❊

عَفو عَن ذي جَرِيرة

قال رجل لإبراهيم بن المهدي: اشفع لي إلى أمير المؤمنين في فَكِّ أخي من حَبْسِهِ، وكان مَحبوساً في عِداد العُصاة، فقال للمأمون: ليس للعاصي بعد القُدرة عليه ذَنب، وليس للمصاب بعد الملك عذر. فقال: صدقت، فَما طلبتك؟ قال: فُلان هَبْه لي. قال: هو لك.

[نفسه ص٩٩١].

---

(١) «المَطِيَّةُ: الدَّابَّةُ تَمطو في سَيرها الجمع: مطايا ومَطِيٌّ».
[القاموس المحيط: ١٣٣٥].

(٢) «المُقْرِفُ، كمُحْسِنٍ من الفَرسِ وغيره: ما يُداني الهجنة، أي أُمُّه عربيّة لا أبوه، لأنّ الإقرافَ من قِبَلِ الفُحل، والهُجنة من قِبل الأمّ».
[نفسه ص٨٤٤].

(٣) «الكِرْبَالُ، بِالكسر، مِنْدَفُ القُطنِ».
[القاموس المحيط: ١٠٥٢].

(٤) «السِّرْبَال، بِالكسر: القَمِيص، أو الدِّرع، أو كُلّ مَا لُبِسَ، وقد تَسَرْبَلَ بِه، وسَرْبَلته».
[نفسه ص١٠١٤].

بين ابن السمّاك والرَّشيد

قال ابن السمّاك للرَّشيد ـ وقد عجب من رقّته وحُسن إصاخته[1] لموعظته وبليغ قبوله لقوله وسرعة دمعته على وجنته ـ: «يا أمير المؤمنين، لتواضعك في شَرفك أَشْرَفُ من شَرفك، وإنّي أظنّ أنّ دمعتك هذه قد أطفأت أودية من النّار وجعلتها بَرداً وسلاماً.

[«الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيّان التوحيدي، تحقيق: محمد الفاضلي، ص٢٣].

❋ ❋ ❋

محادثة الإخوان

لفوائد الحديث مَا صَنَّف أبو زيد رسالة لطيفة الحجم في المنظر، شريفة الفوائد في المَخْبَر، تجمع أصناف مَا يقتبس من العلم والحكمة والتَّجربة في الأخبار والأحاديث، وقد أحصاها واستقصاها وأفاد بِها، وهي حاضرة، فقال: احملها واكتبها، ولا تَمِل إلى البخل بها على عادة أصحابنا الغِثاث. قُلت: السمع والطّاعة.

ثمَّ رويت أنّ عبدالملك بن مروان قال لبعض جُلسائه: قد قضيت الوطر مِن كُلّ شيء إلاّ مِن محادثة الإخوان في اللّيالي الزُّهر، على التِّلال العُفر.

وأحسن من هذا ما قال عمر بن عبدالعزيز قال:

والله إنّي لأشتري ليلة مِن ليالي عُبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود بألف دينار من بيت مال المسلمين. فقيل: يا أمير المؤمنين، أتقول هذا مع تحرّيك وشدّة تحفُّظك وتنزّهك؟ فقال: أين يُذهب بكم؟ والله إنّي لأعود

---

(١) «أَصَاخَ له: استمع».

[القاموس المحيط: ٢٥٥].

بِرأيه ونُصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف الدَّنانير، إنّ في المحادثة تلقيحاً للعقول، وتَرويحاً للقلب، وتَسريحاً للهَمِّ، وتنقيحاً للأدب.

قال: صدق هذا الإمام في هذا الوصف، إنَّ فيه هذا كلّه.

قُلت: وسمعت أبا سعيد السّيرافيَّ يقول: سمعت ابن السَّرَّاج يقول: دخلنا على ابن الرُّومي في مرضه الذي قضى فيه، فأنشدنا قوله:

ولقد سَئِمْتُ مآربي[1] فكأنَّ أطيبها خَبِيثُ
إلاّ الحديثَ فإنَّهُ مثل اسْمِه أبداً حَدِيثُ

وقال سليمان بن عبدالملك: «قَد ركبنا الفَارِهَ[2]، وتَبَطَّنَّا الحسناء، ولبسنا اللَّيِّنَ، وأكلنا الطَّيِّب حتى أجمناه[3]، وما أنا اليوم إلى شيء أحوج منّي إلى جَليس يضع عَنّي مؤونة التَّحَفّظ ويُحدِّثني بما لا يَمُجُّه[4] السَّمع، ويطرب إليه القلب».

وهذا أيضاً حَقّ وصواب، لأنَّ النّفس تَمَلّ، كما أنّ البدن يَكِلُّ، وكما أنّ البدن إذا كَلَّ طلب الرّاحة، كذلك النّفس إذا مَلّت طلبت الرَّوْحَ[5]، وكما لا بُدَّ للبدن أن يَستمدّ ويَستفيد بِالجَمَام[6] الذَّاهب بِالحركة الجالبة

---

(١) «الإرْبُ، بالكسرِ: الحَاجَة، كالإرْبَةِ بالكسر والضَّمّ، والأَرَبِ، محرّكة، والمَأْرَبَة، مثلّثة الرّاء».

[القاموس المحيط: ٥٨].

(٢) «الفَارِهُ مِن الدَّواب: الجَيِّدُ السَّيْرِ».

[مختار الصّحاح: ٢١٠].

(٣) «أَجَمَ الطَّعَام وغَيْرَهُ يَأْجِمُهُ: كَرِهَهُ ومَلَّهُ».

[القاموس المحيط: ١٠٧٤].

(٤) «مَجَّ الشَّرَابَ مِنْ فيه: رَمَى بِهِ وبابه رَدَّ».

[مختار الصّحاح: ٢٥٧].

(٥) «الرَّوْحُ، بالفتح: الرَّاحَة».

[القاموس المحيط: ٢٢٠].

(٦) «الجَمَامُ، كسَحَابٍ: الرَّاحة».

[نفسه ص١٠٨٩].

للنَّصَبِ[1] والضَّجَر، كذلك لا بُدّ للنفس من أن تطلب الرَّوح عند تَكَاثُف المَلَلِ الدَّاعي إلى الحَرج فإنّ البدن كثيف النَّفس، ولهذا يُرى بالعين، كما أنّ النَّفسِ لطيفة البدن، ولهذا لا تُوجد إلاَّ بِالعقل، والنَّفس صفاء البدن، والبدن كَدر النَّفس.

فقال: أحسنت في هذه الروايات على هذه التّوشيحات وأعجبني ترحمّك على شيخك أبي سعيد، فما كلّ أحد يسمح بهذا في مثل هذا المقام، ومَا كلّ أحد يأبه لهذا الفعل، هات ملحة الوداع حتى نفترق عنها، ثُمّ نأخذ ليلة أُخرى في شُجون الحَدِيث.

قُلت: حدّثنا ابن سيف الكاتب الرَّاوية، قال: رأيت جَحظة قد دعا بَنَّاءَ ليبني له حائطاً، فحضر فلمّا أمسى اقتضى البنّاء الأجرة، فتمَاكسا وذلك أن الرّجل طلب عشرين درهماً، فقال جحظة: إنّما عملت يا هذا نصف يوم وتطلب عشرين درهماً؟ قال: أنت لا تدري، إنّي قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة، فبينما هما كذلك وَجَبَ الحائط وسقط، فقال جحظة: هذا عملك الحَسَن؟ قال: فأردتَ أَن يبقى ألف سَنة؟ قال: لا، ولكن كان يبقى إلى أَن يستوفي أجرتك. فضحك ـ أضحك الله سنّه ـ.

[نفسه ص٢٥ ـ ٢٦].

* * *

من رَسائل عبدالملك إلى الحَجّاج

حدّثنا أبو بكر، قال: حَدّثنا أبو حاتم، عن الأصمعيّ، قال: كتب عبدالملك بن مروان إلى الحجّاج: أنت عندي كَسالم، فَلم يَدْرِ مَا هُوَ، فكتب إلى قتيبة يسأله، فكتب إليه: إنّ الشاعر يقول:

يُـدِيـرُونَـنِـي عَـنْ سَـالِـمٍ وَأُدِيـرُهُـمْ ... وَجِـلْـدَةُ بَـيْـنَ الأَنْـفِ وَالـعَـيْـنِ سَـالِـمُ

---

(١) النَّصَبُ: التَّعَبُ.

ثُمّ كتب إليه مَرّة أخرى: أنت عندي قِدحُ ابن مُقبل، فلم يَدرِ ما هو، فكتب إلى قُتيبة يَسأله ـ وكان قُتيبة قَد روى الشّعر ـ فكتب إليه: إنّ ابن مُقبل نَعت قِدْحاً له فَقال:

غَـدَا وَهْـوَ مَـجْـدُولٌ[1] وراحَ كَـأنَّـهُ ... مِنَ المَشِّ وَالتَّقليبِ بِالكَفِّ أفْطَحُ
خروجٌ مِنَ الغُمَّى إِذَا صُكَّ صَكَّةً ... بَدَا والعُيُونُ المُسْتَكِفَّةُ تَلْمَحُ

قال أبو علي: المَشُّ: المَسْحُ، والمَشُوشُ: المِنْدِيلُ، قال امرؤ القَيس:

نَمُشُّ بِأَعْرَافِ الجِيَادِ أَكُفَّنَا ... إِذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضَهَّبِ[2]

والغُمّى: الشّدَّةُ الّتي تَغُمُّ، أي: تُغَطّي. والمُسْتَكِفَّةُ مِن قَولهم: استَكْفَفْتُ الشَّيء إذا وضعت يدك على حاجبك تنظر هل تَراه كالذي يَستظلّ مِن الشّمس.

[«الأمالي» لأبي علي القالي، تحقيق: الشيخ صلاح الدين بن فتحي هلل، والشيخ سيّد بن عبّاس الجليمي ص٢٧ ـ ٢٨].

❋ ❋ ❋

عبدالملك بن مروان وكُثَيِّرُ عَزَّة

قال أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي: وأخبرنا أبو بكر، قال: أخبرنا السّكن بن سعيد، قال: أخبرنا علي بن نصر الجهضمي، قال: دخل

(١) «رَجلٌ مَجْدُولٌ: لطِيفُ القَصَب، مُحكمُ الفَتْلِ، وسَاعِدٌ أجْدَلُ. وسَاقٌ مَجْدُولَةٌ وجَدْلاَءُ: حَسَنَةُ الطَّيّ».

[القاموس المحيط: ٩٧٥].

(٢) «ضَهَّبَهُ تَضهِيباً: شَوَاهُ على حِجَارة مُحْمَاةٍ، وشَواه ولم يُبَالغ في نُضجه».

[القاموس المحيط: ١٠٨].

كُثَيِّر على عبدالملك بن مروان رحمه الله! فقال عبدالملك بن مروان: أأنت كُثيِّر عزّة؟ قال: نَعم، قال: أَنْ تَسمع بِالمُعِيدِيِّ خير مِن أَنْ تَرَاه، فَقال: يا أمير المؤمنين، كُلٌّ عند مَحلِّه رحب الفِناء، شامِخ البِناء، عالي السَّناء، ثُمّ أنشأ يقول:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ[١] ... وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَصُورُ[٢]
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ[٣] إِذَا تَرَاه ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
بُغَاثُ[٤] الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا رِقَاباً ... وَلَمْ تَطُلِ البُزَاةُ وَلاَ الصُّقُورُ
خَشَاشُ[٥] الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاخاً ... وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاَتٌ[٦] نَزُورُ[٧]
ضِعَافُ الأُسْدِ أَكْثَرُهَا زَئِيراً ... وَأَصْرَمُهَا اللَّوَاتِي لاَ تَزِيرُ[٨]
وَقَدْ عَظُمَ البَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ[٩] ... فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالعِظَمِ البَعِيرِ

---

(١) «المُزْدَرِي: المُحْتَقِرُ».
[القاموس المحيط: ١٢٩٢].

(٢) «الهَصْرُ: الكَسْرُ، والدَّفع، وعطفُ شيء رَطب كالغُصْنِ ونَحوه، وكَسْرُهُ من غَيْرِ بَيْنُونَة، أو عطفُ أيِّ شَيء كانَ. هَصَرَهُ وبِهِ يَهْصِرُه فانْهَصَرَ واهْتَصَرَهُ فاهْتَصَرَ».
[نفسه ص٤٩٨].

(٣) «الطَّرُّ: طُلوع النَّبْتِ والشَّارِبِ، يَطُرُّ ويَطِرُّ، وغُلامٌ طارٌّ وطَرِيرٌ، كَمَا طَرَّ شَارِبُهُ».
[نفسه ص٤٣٠].

(٤) «البُغَاثُ، مُثلَّثة: طائرٌ أغْبَرُ، الجمع: كَغِزْلان، وشِرَارُ الطَّير».
[القاموس المحيط: ١٦٥].

(٥) «الخشَاشُ، مُثَلَّثة: حَشَرَاتُ الأرض، والعصافِير ونحوها».
[نفسه ص٥٩٢].

(٦) «المِقْلاَتُ: ناقَةٌ تَضع واحِداً ثُمَّ لا تَحْمِلُ، وامرأةٌ لا يَعِيش لها وَلَدٌ».
[نفسه ص١٥٨].

(٧) «النَّزُورُ: المرأةُ القَلِيلة الوَلَدِ».
[نفسه ص٤٨١].

(٨) «الزَّأْرُ والزَّئِيرُ: صوتُ الأَسَدِ مِن صَوْتِه، كالتَّزَؤُّرِ، وقَد زأَرَ، كضَرَبَ ومَنَعَ وسَمِعَ، وأَزْأَرَ».
[القاموس المحيط: ٣٩٨].

(٩) «اللُّبُّ: العَقْلُ، الجمع: أَلْبَابٌ وأَلُبٌّ وأَلْبُبٌ».
[نفسه ص١٣٣].

يُنَوَّخُ(١) ثُمَّ يُضْرَبُ بِالهَرَاوَى(٢) فَلاَ عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلاَ نَكِيرُ
يُقَوِّدُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ وَيَنْحَرُهُ عَلَى التُّربِ الصَّغِيرُ
فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِزَيْنٍ وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ كَرَمٌ وَخِيرُ

فقال عبدالملك: لله دَرُّهُ، ما أفصح لسانه، وأضبط جَنانه(٣)، وأطول عِنانه! والله إنّي لأظنّه كما وصف نفسه.

[نفسه ص٥٧].

* * *

شعر حجيّة بن مضرِّب في مدح بعض الملوك

وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال: أنشدني عَمّي، عن أبيه، عن ابن الكلبي لحجيّة بن المضرّب يمدح يعفر بن زرعة أحد الأملوك(٤)، أملوك رِدمان:

إِذَا كُنْتَ سَائِلاً عَنِ المَجْدِ وَالعُلاَ وَأَيْنَ العَطَاءُ الجَزْلُ والنَّائِلُ الغَمْرُ(٥)
فَنَقِّبْ عَنِ الأُمْلُوكِ وَاهْتِفْ بِيَعْفُرٍ(٦) وَعِشْ جَارَ ظِلٍّ لا يُغَالِبُهُ الدَّهْرُ
أُولَئِكَ قَوْمٌ شَيَّدَ اللَّهُ فَخْرَهُمْ فَمَا فَوْقَهُ فَخْرٌ وَإِنْ عَظُمَ الفَخْرُ

---

(١) «تَنَوَّخَ الجملُ النَّاقة: أبْرَكَهَا للسِّفَادِ، كأَنَاخها، فاسْتَنَاخَتْ وتَنَوَّخَت، ولا يُقَالُ: نَاخَتْ ولا أناخَتْ».

[القاموس المحيط: ٢٦٢].

(٢) «الهِرَاوَةُ، بالكسر: العَصَا الجَمعُ: هَرَاوَى وهُرِيٌّ وهِرِيٌّ».

[نفسه ص١٣٤٦].

(٣) «الجَنَانُ: القَلْبُ، أوْ رَوْعُهُ، والرُّوحُ الجمع: أَجْنَانٌ».

[القاموس المحيط: ١١٨٧].

(٤) الأملوكُ: اسم جمع بمعنى الملوك وهم مَقاول حمير، أي: ملوكها.

(٥) الكَثِيرُ.

(٦) يَعفر: اسم ملك مِن ملوك اليمن.

أُنَـاسٌ إِذَا مَـا الـدَّهْـرُ أَظْـلَـمَ وَجْـهُـهُ فَـأَيْـدِيـهِـمُ بِـيـضٌ وَأَوْجُـهُـهُـمْ زُهْـرُ[1]
يَصُـونُـونَ أَحْسَـابـاً ومَجْـداً مُـؤَثَّـلاً[2] بِـبَذْلِ أَكُـفٍّ دُونَـهَـا الـمُـزْنُ[3] وَالـبَـحْـرُ
سَـمَـوْا فِـي الـمَـعَـالِـي رُتْـبَـةً فَـوْقَ رُتْـبَـةٍ أَحَـلَّـتْـهُـمُ حَـيْـثُ الـنَّـعَـائِـمُ وَالـنَّـسْـرُ
أَضَـاءَتْ لَـهُـمْ أَحْسَـابُـهُـمْ فَـتَـضَـاءَلَـتْ لِـنُـورِهِـمُ الـشَّـمْـسُ الـمُـنِـيـرَةُ والـبَـدْرُ
فَـلَـوْ لامَـسَ الـصَّـخْـرُ الأَصَـمُّ[4] أَكُـفَّـهُـمْ لَـفَـاضَـتْ يَـنَـابِـيـعُ الـنَّـدَى ذٰلِـكَ الـصَّـخْـرُ
وَلَـوْ كَـانَ فِـي الأَرْضِ الـبَـسِـيـطَـةِ مِـنْـهُـمْ لِـمُـخْـتَـبِـطٍ عَـافٍ لَـمـا عُـرِفَ الـفَـقْـرُ
شَـكَـرْتُ لَـكُـمْ آلاءَكُـمْ[5] وَبَـلاءَكُـمْ وَمَـا ضَـاعَ مَـعْـرُوفٌ يُـكَـافِـئُـهُ شُـكْـرُ

[نفسه ص٦٣].

* * *

خبر هشام بن عبدالملك

حَدَّثنا أبو الميّاس الرَّاوية، قال: حَدّثني أحمد بن عبيد، عن بَعض شُيوخه، قال: كانت وَليمة في قُريش تَوَلّى أَمرها مَقَّاسٌ الفَقْعَسِيّ، فأجلس عُمارة الكلبيّ فَوق هشام بن عبدالملك، فأحفظه ذٰلك وآلى على نفسه أنّه متى أَفْضَت[6] الخلافة إليه عاقبهُ، فلمّا جَلس في الخلافة أمر أن يُؤتى بِه وتُقلع أَضراسه وأظفار يديه ففعل ذٰلك بِه، فأنشأ يقول:

---

(١) «الزُّهْرُ، بِالضَّمّ: البَيَاضُ، والحُسْنُ، وقد زَهِرَ، كَفرِحَ وكَرُمَ، وهو أَزْهَرُ».
[القاموس المحيط: ٤٠٣].

(٢) «تَأَثَّلَ: تَأَصَّلَ».
[القاموس المحيط: ٩٦٠].

(٣) «المُزْنُ، بِالضَّمّ: السَّحَابُ، أَو أَبْيَضُهُ، أَو ذُو الماءِ، القِطْعَة: مُزْنَةٌ».
[نفسه ص١٢٣٤].

(٤) «حَجَرٌ أَصَمُّ. وصَخْرَةٌ صَمَّاءُ: صُلْبٌ مُصْمَتٌ».
[القاموس المحيط: ١١٣٠].

(٥) «الآلاءُ: النِّعَمُ، واحِدُها: إِلْيٌ وأَلْوٌ وأَلْيٌ وأَلًى وإِلًى».
[نفسه ص١٢٦٠].

(٦) آلَتْ إِليهِ.

عَـذَّبُـونِـي بِـعَـذَابٍ ... قَـلَـعُـوا جَـوْهَـرَ رَاسِـي
ثُـمَّ زَادُونِـي عَـذَابـاً ... نَـزَعُـوا عَـنِّـي طِـسَـاسِـي
بِـالـمُـدَى حُـزِّزَ لـحـمِـي ... وبِـأَطْـرَافِ الـمَـوَاسِـي

قال أبو علي: قال أبو العَبّاس قال لي أبو المياس: الطِّسَاسُ: الأظفار، ولم أر أحداً مِن أصحابنا يعرفه، ثمَّ أخبرني رجل مِن أهل اليمن قال: يُقال عندنا طَسَّهُ إذا تناوله بأطراف أصابعه.

[نفسه ص٦٥ ـ ٦٦].

* * *

شعر الأحوص في سؤال يَزيد بن عبدالملك، وفطنته في ذلك

حدّثنا أبو بكر بن دُريد، قال: أخبرنا الرّياشي، عن ابن سلام، قال: بلغني أنّ الأحوص دخل على يزيد بن عبدالملك فقال له يَزيد: لو لم تَمُتَّ[1] إلينا بِحرمة، ولا تَوَسّلت بِدَالَّة[2]، ولا جَدَّدت لنا مَدْحاً، غير أنّك مقتصر على بيتيك لاسْتَوْجَبت عندنا جَزيل الصّلة، ثُمّ أنشد يَزيد:

وَإِنّـي لأَسْـتَـحْـيِـيـكُـمْ أَن يَـقُـودَنِـي ... إلى غَيْرِكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ
وَأَنْ أَجْـتَـدِي لِـلـنَّـفْـعِ غَـيْـرَكَ مِـنْـهُـمُ ... وَأَنْـتَ إِمَـامٌ لِـلـبَـرِيَّـةِ مَـقْـنَـعُ

وقال الرّياشي: وإنّما قال هٰذين البَيتين في عمر بن عبدالعَزيز رضي الله عنه.

[نفسه ص٧٧ ـ ٧٨].

---

(١) «المَتُّ: التَّوَسُّلُ بِقَرابَةٍ، كالمَتْمَتَةِ».

[القاموس المحيط: ٤٦٠].

(٢) «الدَّالَّةُ: مَا تَدِلُّ بِهِ على حميمك».

[نفسه ص١٠٠٠].

خَبر كرم يَحيى بن طالب الحنفي وركوب الدّين له، واضطراره لسؤال السُّلطان

حدّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني أبو محمد بن سعيد، قال: كان يحيى بن طالب الحنفي شيخاً كريماً يَقْرِي[١] الأَضياف ويُطعم الطَّعام. فركبه الدَّيْنُ الفَادِحُ، فَجلا عن اليمامة إلى بغداد يسأل السُّلطان قضاء دينه، فأراد رجل من أهل اليمامة الشُّخوص من بغداد إلى اليَمامة، فَشيّعه يحيى بن طالب، فَلمّا جَلس الرَّجل في الزَّوْرَقِ ذرفت عينا يحيى وأنشأ يقول:

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاظِراً ... إِلَى قَرْقَرَى يَوْماً وَأَعْلاَمِهَا الخُضْرُ
إِذَا ارْتَحَلَتْ نَحْوَ اليَمامَةِ رُفْقَةٌ ... دَعَاكَ الهَوَى وَاهْتَاجَ[٢] قَلْبَكَ الذِّكْرُ
أَقُولُ لِمُوسَى وَالدُّمُوعُ كَأَنَّهَا ... جَدَاوِلُ مَاءٍ في مَسَارِبِهَا[٣] تَجْرِي
أَلاَ هَلْ لِشَيْخٍ وَابْنِ سِتِّينَ حِجَّةً ... بَكَى طَرَباً[٤] نَحْوَ اليَمَامَةِ مِنْ عُذْرِ
كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ ... جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضاً إِلَى وَكْرِ
يُزَهِّدُنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ صَنَعْتُهُ ... إِلَى النَّاسِ ما جَرَّبْتُ مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ
فَيَا حَزَناً مَاذَا أُجِنُّ[٥] مِنَ الهَوَى ... وَمِنْ مُضْمَرِ الشَّوقِ الدَّخِيلِ[٦] إلى حِجْرِ

---

(١) «قَرَى الضَّيفَ قِرًى، بِالكسرِ والقَصْرِ والفتح والمَدّ: أَضَافَهُ».
[القاموس المحيط: ١٣٢٤].

(٢) «هَاجَ يَهِيجُ هَيْجاً وهَيَجَاناً وهِيَاجاً، بِالكسر: ثَارَ، كاهْتَاجَ وتَهَيَّجَ».
[القاموس المحيط: ٢١١].

(٣) «المَسْرَبَةُ: المَرْعَى، الجمع: مَسَارِبُ».
[القاموس المحيط: ٩٦].

(٤) «الطَّرَبُ، محرَّكة: الفَرَحُ، والحُزْنُ، ضِدٌّ، أو خِفَّةٌ تَلحقك، تَسُرُّكَ أو تَحزنك، وتَخصيصه بِالفَرح وهم».
[نفسه ص١٠٩].

(٥) «جَنَّهُ اللَّيْلُ، وعليهِ جَنًّا وجُنوناً وأَجَنَّهُ: سَتَرَهُ، وكُلُّ ما سُتِرَ عنك فقد جُنَّ عنك».
[القاموس المحيط: ١١٨٧].

(٦) «حُبٌّ دَخِيلٌ: دَاخِلٌ».
[نفسه ص٩٩٨].

تَعَزَّبْتُ(١) عَنْهَا كَارِهاً فَتَرَكْتُهَا وَكَانَ فِرَاقِيهَا أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ
لَعَلَّ الذِي يَقْضِي الأُمُورَ بِعِلْمِهِ سَيَصْرِفُنِي يَوْماً إِلَيْهَا عَلَى قَدْرِ
فَتَفْتُرَ(٢) عَيْنٌ مَا تَمَلُّ مِنَ البُكَا وَيَصْحُوَ قَلْبٌ مَا يُنَهْنَهُ(٣) بِالزَّجْرِ

[نفسه ص١٢٦].

***

خُطبة بعض القرشيين عند هشام بن عبدالملك

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا عبدالرحمن، عن عَمِّه، قال: قَدم وَفد على أمير المؤمنين هشام بن عبدالملك وفيهم رجل مِن قُريش يقال له: إسماعيل بن أبي الجَهم، وكان أكبرهم سِنًّا، وأفضلهم رأياً وحِلماً، فقام متوكّئاً على عَصاً وقال: يا أمير المؤمنين، إن خُطباء قريش قد قالت فيك فأصنبت، وأَثنت عليك فأحسنت، ووالله ما بلغ قائلهم قَدرك، ولا أحصى مُثنيهم فضلك، أفتأذن لي في الكلام؟ قال: تكلّم، قال: أفأوجِزُ أم أُطْنِبُ(٤)؟ قال: بَل أَوْجِز. قال: تَولاّك الله أمير المؤمنين بِالحسنى، وزَيّنك بِالتُّقى، وجمع لك خير الآخرة والأولى، إنّ لي حوائج فأذكرها؟ قال: نَعم، كَبِرت سِنّي، وضَعفت قُواي، واشتدّت حاجتي، فإن رأى أمير المؤمنين أَن يَجْبُرَ كَسري، وينفي فَقري، قال: يا ابن أبي الجهم، ما يجبر كسرك وينفي فقرك؟ قال: ألف دينار وألف دِينار وألف دِينار، قال: هيهات

---

(١) «العُزُوبُ: الغَيْبَةُ، يَعْزُبُ ويَعزِبُ، والذَّهَابُ».
[نفسه ص١١٤].
(٢) «فَتَرَ يَفْتُرُ ويَفتِرُ فُتوراً وفُتَاراً: سَكَنَ بَعد حِدَّةٍ، ولاَنَ بعدَ شِدّةٍ».
[القاموس المحيط: ٤٥٤].
(٣) «نَهْنَهَهُ عن الأَمرِ فَتَنَهْنَهَ: كَفَّهُ، وزجَرَهُ فكَفَّ. وأصلها: نَهَّهَهُ».
[نفسه ص١٢٥٥].
(٤) «أَطْنَبَ الرَّجُلُ: أَتَى بالبلاغة في الوصف، مَدْحاً كانَ أو ذَمًّا».
[القاموس المحيط: ١١٠].

يا ابن أبي الجهم! بيت المال لا يحتمل هٰذا، قال: كأنّك آليت يا أمير المؤمنين ألاّ تقضي لي حاجَة مقامي هذا، قال: ألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بها دَيْناً قد فَدَحَنِي[1] حمله، وأرهقني[2] أهله، قال: نِعم المسلك أسلكتها، ديناً قَضيت، وأمانة أدّيت، قال: وألف دِينار لماذا؟ قال: أزوّج بِها من أدرك مِن ولدي، فأشدّ بِهم عَضُدِي، ويكثر بهم عددي، قال: ولا بأس، أغْضَضْتَ طَرفاً، وحَصَّنتَ فَرجاً، وأَمَّرْتَ نَسلاً، وألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بِها أرضاً فأعود بفضلها على ولدي، وبفضل فضلها على ذوي قُراباتِي، قال: ولا بَأس، أردت ذُخْراً، ورجوت أجراً، ووصلتَ رحماً قَد أمرنا لك بِها، فَقال: الله المحمود على ذٰلك، وجَزاك الله يا أمير المؤمنين والرَّحِمَ خَيراً، فقال هشام: تالله ما رأيت رجلاً ألطف في سُؤال، ولا أرفق في مقالٍ مِن هٰذا، هكذا فليكن القُرَشِيّ.

[نفسه ص١٤٧].

❋ ❋ ❋

حسن سؤال رجل لعبدالملك

حَدَّثَنا أبو بكر قال: أخبرنا أبو حاتم، عن العتبي، قال: قال رجل لعبدالملك بن مروان ـ رحمه الله تعالى ـ: يَا أمير المؤمنين، هَزَزت ذَوَائب الرِّحال إليك، فَلم أَجِد معوَّلاً إلاّ عليك، أمتطي[3] اللَّيل بعد النَّهار، وأقطع المجاهل بِالآثار، يقودوني نَحوك رَجاء، وتَسوقني إليك بَلْوَى، والنّفس

(١) «فَدَحَهُ الدَّيْنُ، كمَنَع: أثقله».

[القاموس المحيط: ٢٣٣].

(٢) «رَهِقَهُ، كفرِحَ: غشِيَهُ ولحقه، أو دَنَا مِنْهُ، سَوَاءٌ أَخَذَه أو لم يَأْخذه».

[نفسه ص٨٨٩].

(٣) «المَطِيَّةُ: الدَّابَّةُ تَمْطُو في سَيرها، الجمع: مَطَايَا ومَطِيٌّ. وامتَطَاها وأَمطاها: جَعلها مَطِيَّة».

[القاموس المحيط: ١٣٣٥].

راغبة، والاجتهاد عار، وإذَا بَلغتك فَقَدْني[١]، قال: احطُطْ عن راحلتك فَقد بَلغت.

[نفسه ص١٩٢].

❋ ❋ ❋

مِن أخبار المأمون

حدّثنا الأخفش، قال: بلغني أنَّ إبراهيم بن المهدي دخلَ على المأمون قبل رِضاه عنه فقال: يا أمير المؤمنين، وَلِيُّ الثَّأرِ مُحَكَّمٌ في القِصاص، ومَنْ تناوله الاغترار بِما مُدّ لَهُ من أسباب الرَّخاء أَمِنَ عَادِية الدَّهْرِ، وقد جَعلك الله فوق كلِّ ذِي ذَنب، كما جَعل كلّ ذي ذَنب دُونك، فإن تَأخذ فَبِحقِّك، وإنْ تَعْفُ فَبِفَضْلِك، ثُمّ قال:

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ ... وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوْ لاَ ... فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
إنْ لَمْ أَكُنْ في فِعَالِي ... مِنَ الكِرَامِ فَكُنْهُ

فقال: القُدرة تُذهب الحَفِيظَة[٢]، والنَّدَمُ تَوبة، وعفوُ الله بينهما، وهو أكبر ما يُحَاوَلُ، يا إبراهيم! لقد حبّبت إِليَّ العَفْوَ حتّى خِفْتُ ألاَّ أُوجَرَ عليه، لا تَثْرِيب عَليك، يَغْفِر الله لك، وعفا عَنه وأمرَ بِرَدِّ ماله وضِياعه، فَقال:

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ ... وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
فَأُبْتُ مِنْكَ ومَا كَافَأْتُهَا بِيَدٍ ... هُمَا الحَيَاتَانِ مِنْ وَفْرٍ[٣] وَمِنْ عَدَمِ

---

(١) اكفني.
(٢) «الحَفِيظَةُ: الحَمِيَّةُ، والغَضَبُ».

[القاموس المحيط: ٦٩٥].

(٣) «الوَفْرُ: الغِنى».

[القاموس المحيط: ٤٩٣].

وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي ... مَقَامَ شَاهِدِ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهَمِ
فَلو بَذَلْتُ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ ... وَالمَالَ حَتَّى أَسُلَّ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعَتْ ... إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تَهَبْهَا كُنْتَ لم تَلُم

[نفسه ص١٩٣ ـ ١٩٤].

❊ ❊ ❊

أدب الولاة

حدَّثنا أبو عبدالله نفطويه، قال: حدّثنا أبو العبّاس أحمد بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: حدّثني عمّي صَبّاح بن خاقان، قال:

قال خالد بن صفوان لبعض الوُلاة: قدمتَ فأعطيت كُلاً بقسطه مِن وجهك وكرامتك، حتّى كَأنّك لست مِنْ أحدٍ، أو حتّى كأنّك مِن كُلِّ أحد.

[نفسه ص٢٠٦].

❊ ❊ ❊

بيت الرَّعيّة والسَّلاطين

حَدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا أبو عثمان، عن العُتبي، عن أبيه، عن هشام بن صالح، عن سعيد، قال:

حجّ عتبة سنة إحدى وأربعين ـ والنّاسُ قَريب عهدهم بِفتنة ـ فَصلّى بِمكّة الجُمعة، ثمّ قال: أيها النّاس، إنَّا قد وَلينا هٰذا المقام الذي يُضاعف فِيه للمحسن الأجر، وعلى المُسيء فيه الوزر، ونحن على طريق ما قصدنا، فلا تَمدّوا الأعناق إلى غيرنا، فإنّها تنقطع دوننا، ورُبَّ مُتمنٍّ حَتْفُه في أمنيته، فاقبلوا العافية ما قَبلناها فِيكم وقَبلناها مِنكم، وإيّاكم ولَوًّا فإنّها أتعبت مَن كان قبلكم، ولن تريح من بَعدكم، وأنا أسأل الله أن يعين كُلاً على كُلٍّ. فصاح بِه أعرابيّ: أيّها الخَليفة، فقال: لستُ به ولم تُبْعِد، فقال: يا أخاه، فَقال: سمعت فَقُل، فَقال: تالله أَن تُحْسِنُوا وقد أسأنا، خير مِن أن تُسيئوا وقد أحسنّا، فإن كان الإحسان لكم دُوننا فَما أحقّكم باستتمامه، وإن

كَان منّا فما أولاكم بمكافأتنا، رجل مِن بني عامر بن صعصعة يلقاكم بِالعمومة، ويقرب إليكم بالخُؤولة، قَد كَثره العِيال، ووطئه الزَّمان، وبِه فَقر، وفيه أجر، وعندَهُ شُكر. فقال عتبة: أستغفر الله منكم، وأستعينه عليكم، قد أمرنا لك بِغناك، فَليت إسراعنا إليك، يقوم بإبطائنا عنك.

[نفسه ص٢٢٧].

❊ ❊ ❊

بين الرَّعيّة والسَّلاطين

حدّثنا أبو بكر قال: حدّثنا أبو عثمان، عن العُتبي، عن أبِيه، عن هشام بن صالح، عن سعد، قال: كُنّا بِمصر فَبلغنا أمور عن أهلها، فَصعد عُتبة المنبر مُغضباً فَقال: أيا حَامِلين أَلأم أُنوف رُكّبت بين أعين، إنّما قَلّمت أظفاري عنكم لِيَلِين مَسّي إيّاكم، وسألتكم صلاحكم لكم إذ كان فَسادكم راجعاً عليكم، فأمّا إذ أبيتم إلاّ الطّعن في الولاة والتّنقّص للسَّلف، فوالله لأقطّعنَّ على ظُهوركم بُطون السّياط، فإن حَسَمَتْ داءكم وإلاّ فالسَّيف من وَرائكم، فكم مِن موعظة منّا لكم مَجَّتها[1] قلوبكم، وزجرة صمّت عنها آذانُكم، ولست أبخل عليكم بِالعقُوبة إذ جُدتم لنا بِالمعصية، ولا أوسِيكُم من مُراجعة الحُسنى إن صِرتم إلى التّي هي أبرّ وأتقى.

[نفسه ص٢٣١ ـ ٢٣٢].

❊ ❊ ❊

مدح أبي العتاهية لبعض الأُمراء

حدّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدّثنا عبدالله بن خَلف، قال: حدَّثنا إسحاق بن محمد النَّخعي، قال: حَدّثني محمد بن سهل، قال:

---

(١) «مَجَّ الشَّرَابَ مِن فِيهِ: رَمَاهُ».

[القاموس المحيط: ٢٠٤].

حَدّثني المدائني، قال: امتدح أبو العتاهية عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي، فأمر له بسبعين ألف درهم، وأمر مَن حضره مِن خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه، فخلعوا عليه حتّى لم يقدر على القِيام لما عليه من الثِّياب، ثُمّ إنّ جَماعة مِن الشُّعراء كانوا بباب عمر، فقال بعضهم: يا عَجباً للأمير، يُعطي أبا العتاهية سبعين ألف دِرهم! فبلغ ذٰلك عمر فَقال: عليّ بِهم، فَأدخلوا عليه، فَقال: ما أحسد بعضكم لبعض يا معشر الشُّعراء! إنّ أحدكم يأتِينا يُريد مدحنا فَيُشَبِّبُ في قَصيدته بِصديقته بخمسين بَيتاً، فَما يَبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شِعره، وقد أتانا أبو العتاهية فَشبّب ببيتين ثُمّ قال:

إنِّـي أَمِـنْـتُ مِـنَ الـزَّمَـانِ وَرَيْـبِـهِ ... لَـمَّـا عَـلِـقْـتُ مِـنَ الأَمِـيـرِ حـبـالا

لَـوْ يَـسْـتَـطِـيعُ الـنَّـاسُ مِـنْ إجْـلالِـهِ ... لـحَـذَوْا لَـهُ حُـرَّ الـوُجُـوه نِـعَـالاَ

مَـا كَـانَ هٰـذَا الـجُـودُ حَـتَّـى كُـنْـتَ يَـا ... عُـمَـراً وَلَـوْ يَـوْمـاً تَـزُولُ لَـزَالاَ

إنَّ الـمَـطَـايَـا تَـشْـتَـكِـيـكَ لأَنَّـهَـا ... قَـطَـعَـتْ إلَـيْـكَ سَـبَـاسِـباً[1] وَرِمَـالاَ

فَـإذَا أَتَـيْـنَ بِـنَـا أَتَـيْـنَ مُـخِـفَّـةً ... وَإذَا رَجَـعْـنَ بِـنَـا رَجَـعْـنَ ثِـقَـالاَ

فقال له عمر حين مدحه: أقم حتى أنظر في أمرك، فأقام أيّاماً ولم ير شَيئاً، وكان عُمر يَنتظر ما لا يَجيء مِن وجه فأبطأ عليه:

يَا ابْنَ العَلاَءِ وَيَا ابْنَ القَرْم مِرْدَاسِ ... إنّي امْتَدَحْتُكَ فِي صَحْبِي وجُلاَّسِي

أُثْنِي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي ... فِيمَا أَقُولُ فَأَسْتَحْيِي مِن النَّاسِ

حَتَّى إذَا قِيلَ مَا أَعْطَاكَ مِن صَفَدٍ[2] ... طَأْطَأْتُ مِنْ سُوءِ حَالٍ عِنْدَهَا رَاسي

فقال عمر لحاجبه: اكفنيه أيّاماً، فقال له الحاجِب كلاماً دفعه بِه، وقال له: تنتظر، فكتب إليه أبو العتاهية:

---

(١) «السَّبْسَبُ: المفازَةُ، أو الأرض المَسْتَوِيةُ البعيدَةُ، بَلَدٌ سَبْسَبٌ وسَبَاسِبُ».
[القاموس المحيط: ٩٦].

(٢) «الصَّفَدُ، محرّكة: العَطاءُ».
[القاموس المحيط: ٢٩٣].

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ العَيْنُ يَا عُمَرُ ... فَنَحْنُ لَهَا نَبْغِي التَّمَائِمَ[١] والنُّشَرْ[٢]
أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فِي سَخَائِكَ صُلْبَةٌ ... وَيَا رُبَّ عَيْنٍ صُلْبَةٍ تَفْلِقُ الحَجَرْ
سَنَرْقِيكَ بِالأَشْعَارِ حَتَّى تَمَلَّهَا ... فإنْ لَمْ تُفِقْ مِنْهَا رَقَيْنَاكَ بِالسُّوَرْ

قال: فضحك عُمر، وقال لصاحب بيت ماله: كم عندك؟ قال: سبعون ألف درهم، قال: ادفعها إليه، ويُقال: إنّه قال له: اعذرني عنده ولا تُدخله عليّ فإنّي أستحي منه.

[نفسه ص٢٣٣ ـ ٢٣٤].

* * *

وصية رجل لبعض الملوك

حدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا أبو الحسن بن خَضر، عن حمّاد بن إسحاق الموصلي، قال: سمعت أبي يقول: قال رجل مِن العَجم لملك كَان في دهره: أُوصيك بأربع خِلال تُرضي بهنّ ربّك، وتُصلح بهنَّ رعيّتك، لا يَغُرَّنَّك ارتقاء السَّهل إذا كَان المنحدرُ وَعْراً، ولا تَعِدَنَّ عِدَةً ليس في يَدك وفاؤها. واعلم أَنّ لله نَقمات فكُن على حَذَرٍ، واعلم أَنّ للأعمال جَزاء فاتَّق العواقب.

[نفسه ص٢٤٣].

* * *

جَزاء الإحسان

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حَدّثنا السَّكن بن سَعِيد، عن محمد بن

(١) «التَّمِيمُ: جمعُ تَمِيمَة، كالتَّمائِم، لخَرَزة رَقْطَاءَ تُنظَم في السَّيرِ، ثُمّ يُعقدُ في العُنق».
[القاموس المحيط: ١٠٨٣].

(٢) «النُّشْرَةُ، بِالضَّمِّ: رُقْيَة يُعالج بها المجنون، والمريضُ، وقد نَشَّرَ عنه».
[نفسه ص٤٨٢].

عبّاد المهلّبي، قال: قِيل للمهلّب: إنّ فُلاناً عَيْنٌ للخوارج في عسكرك، وإنّه يتكفّن بالسّلاح إذا دُعُوا للحرب ليغتالك ويلحق بِالخوارج، فبعث إليه، فأُتي بِه فَقال له: قد تَقرّر عندنا كيدك لنا، ولم نُقدم من أمرك على مَا عَزَمنا عليه إلاّ بَعد ما لم يدع اليقين للشّكّ معترضاً، فاخْتَرْ أيّ قتلة تُحبّ أَنْ أقتلك؟

فقال: سَيْفٌ مُجْهِزٌ[1] أو عطفة كريم مُحتقر لِضِغْنِ[2] ذَوي الضَّغائن، قال: فإنّها عطفة كريم محتقر للذّنوب، فَخَلّى سَبِيله، فكان بَعد ذٰلك مِن أوثق أصحابه عنده.

وحدّثنا أيضاً قال: حدّثنا السَّكَنُ بن سَعيد، عن محمّد بن عبّاد، قال: أَوفد المهلّب كعبَ بن معدان الأشقري حين هزم عبد ربّه الأصغر وأجلى قَطريًا حتّى أخرجه من كرمان نحو أرض خراسان، فقال له الحجّاج: كيف كانت محاربة المهلّب للقوم؟ قال: كانَ إذا وجدَ الفُرصة سَارَ[3] كما يَسُورُ اللَّيث، وإذا دهمته[4] الطَّخْمَةُ[5] راغ كما يَرُوغ الثَّعلب، وإذا مَاده[6] القوم صَبَرَ صَبْرَ الدَّهر، قال: وكيف كان فِيكم؟ قال: كان لنا منه إشفاق الوالد الحَدِبِ[7]، وله مِنّا طاعة الولد البَرّ، قال: كادنا ببعض مَا كِدْنَاهُ بِه،

---

(١) «جَهَزَ على الجَرِيحِ، كمَنَعَ، وأَجْهَزَ: أثبت قَتله، وأسرعه، وتَمَّمَ عليه. ومَوْتٌ مُجْهِزٌ وجَهِيزٌ: سَرِيعٌ».

[القاموس المحيط: ٥٠٧].

(٢) «الضِّغْنُ: الحِقدُ، كالضَّغِينَة».

[نفسه ص١٢١١].

(٣) «سَارَ الرَّجُلُ إليك: وَثَبَ وثَارَ».

[القاموس المحيط: ٤١١].

(٤) «دَهمك، كسَمِعَ ومَنَعَ: غَشِيَك».

[نفسه ص١١٠٩].

(٥) «طَخْمَةُ الوَادي واللَّيل والسَّيْلِ، مثلّثة: دُفعته، ومِنَ النّاسِ: جَماعتهم».

[نفسه ص١١٣٢].

(٦) «مَادَ يميدُ مَيْداً ومَيَدَاناً: تَحرَّكَ».

[نفسه ص٣٢١].

(٧) «تَحَدَّبَ عليهِ: تَعطَّفَ، كَحَدِبَ، بِالكسرِ».

والأجلُ أحصن جُنّةٍ[١] وأنْفَذُ عُدّة، قال: فكيف اتَّبعتم عَبدَ ربِّه وتركتموه؟ قال: آثَرْنَا الحَدَّ على الفَلِّ، وكانت سلامة الجُند أحبّ إلينا مِن شَجَب[٢] العدوّ، فقال له الحَجَّاج: أكنت أعددت هٰذا الجواب قبل لقائي؟ قال: لا يعلم الغيب إلاّ الله.

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا أبو حاتم، قال: أتيت أبا عُبيدة ومَعِي شعر عروة بن الورد فقال لي: ما مَعَك؟ فقلت: شِعرُ عروة، فَقال: فارغ حَمَل شِعر فقير لِيقرأه على فَقير، فقلت له: ما معي غيره، فأنشدني أنت مَا شئت، فأنشدني:

يَا رُبَّ ظِلِّ عُقَابٍ[٣] قَدْ وَقَيْتُ بِهَا ... مُهْرِي[٤] مِنَ الشَّمْسِ وَالأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ[٥]

وربَّ يَوْمِ حِمَى أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ[٦] ... خَيْلِي اقْتِصَاراً وَأَطْرَافُ القَنَا قِصَدُ[٧]

وَيوم لَهْوٍ لأَهْلِ الخَفْضِ[٨] ظَلَّ بِهِ ... لَهْوِي اصْطِلاَءَ الوَغَى ونَارُهُ تَقِدُ

مُشَهَّراً مَوْقِفِي وَالحَرْبُ كَاشِفَةٌ ... عَنْهَا القِنَاعَ وبَحْرُ المَوْتِ يَطَّرِدُ

---

(١) وقاية.

(٢) «شَجَبَهُ: أهلكه، وحَزَنَهُ، وشَغَلَهُ، وجَذَبَهُ».

[القاموس المحيط: ٩٩].

(٣) العُقَابُ: الرَّاية.

(٤) «المُهْرُ، بِالضَّمِّ: ولَدُ الفَرَسِ، أَوْ أَوَّلُ مَا يُنْتَجُ منه ومِن غيره. الجمع: أَمْهَارٌ ومِهَارٌ ومِهَارَةٌ».

[القاموس المحيط: ٤٧٨].

(٥) «جَالدُوا بِالسُّيوفِ: تَضَاربوا».

[نفسه ص٢٧٣].

(٦) «العَقْوَةُ: شَجَرٌ، ومَا حَوْلَ الدَّار والمَحَلَّةِ، كالعَقَاةِ الجمع: عِقَاءٌ».

[القاموس المحيط: ١٣١٣].

(٧) «رُمْحٌ قَصِدٌ، ككَتِفٍ، وقَصِيدٌ وأَقْصَادٌ: مُتَكَسِّرٌ».

[نفسه ص٣١٠].

(٨) «الخَفْضُ: الدَّعَةُ، وعَيْشٌ خافِضٌ، وقد خَفُضَ، ككَرُمَ».

[نفسه ص٦٤١].

وَرُبَّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلُهَا[١] مَخَرْتُهَا[٢] بِمَطَايَا[٣] غَارَةٍ تَخِدُ[٤]
تَجْتَابُ[٥] أَوْدِيَةَ الأَفْزَاعِ آمِنَةً كَأَنَّهَا أُسُدٌ تَقْتَادُهَا أُسُدُ
فَإِنْ أَمُتْ حَتْفَ أَنْفِي[٦] لاَ أَمُتْ كَمَداً[٧] عَلَى الطِّعَانِ وَقَصْرُ العَاجِزِ الكَمَدُ
وَلَمْ أَقُلْ لَمْ أُسَاقِ المَوْتَ شَارِبَهُ فِي كَأْسِهِ وَالمَنَايَا شُرَّعٌ وُرُدُ

ثُمّ قال: هٰذا الشّعر! لا ما تُعَلِّلُونَ[٨] بِه أنفسكم من أشعار المخَانِيث[٩]! قال أبو بكر، والشّعر لِقطريّ بن الفُجَاءَة.

[نفسه ص٢٥٢ ـ ٢٥٣].

* * *

(١) «المِرْجَلُ، كمِنْبَرٍ: القِدْرُ مِن الحِجَارَة والنّحاس، مُذَكَّرٌ».
[القاموس المحيط: ١٠٠٤].
(٢) «مَخَرَتِ السَّفِينَة، كمَنَعَ مَخراً ومُخُوراً: جَرَتْ، أَو اسْتَقْبَلَتِ الرِّيحَ في جَرْيِهَا، والسَّابِحُ: شَقَّ الماءَ بيديه».
[نفسه ص٤٧٣].
(٣) جمع مطيّة: الرَّاحلة.
(٤) «الوَخْدُ للبَعِيرِ: الإِسْرَاعُ، أَو أَنْ يرمي بِقوائمه كمَشْي النَّعام، أَو سَعَةُ الخَطْوِ، كَالوَخْدَان والوَخِيدِ، وَقَدْ وَخَدَ، كَوَعَدَ، فَهو وَاخِدٌ ووَخَّادٌ ووَخُودٌ».
[نفسه ص٣٢٥].
(٥) «جُبْتُ البِلاد بِضَمِّ الجِيمِ وكسرها مِنْ بَابِ قَالَ وبَاعَ. واجْتَبْتُهَا: قَطعتها».
[مُختار الصِّحاح: ٤٩].
(٦) «الحَتْفُ: الموتُ والجمعُ: حُتُوفٌ. ومَاتَ فُلاَنٌ حَتْفَ أَنْفِهِ إذا مَاتَ مِنْ غيرِ قَتْلٍ ولا ضَرْبٍ. ولا يُبْنَى منه فِعْلٌ».
[نفسه ص٥٢].
(٧) «الكَمَدُ: الحُزْنُ المكتومُ وبَابُهُ طَرِبَ فَهو كَمِدٌ وكَمِيدٌ».
[نفسه ص٢٤١].
(٨) «تَعَلَّلَ بِالأمرِ؛ تَشاغَلَ أو تَجزَّأ، كاعْتَلَّ».
[القاموس المحيط: ١٠٣٥].
(٩) «الخَنِثُ، ككَتِفٍ: مَنْ فِيهِ انْخِناثٌ، أي: تَكَسُّرٌ وتَثَنٍّ، وقَد خَنِثَ كفَرِحَ، وتَخَنَّثَ وانْخَنَثَ».
[نفسه ص١٦٨].

اعتذار رجل لبعض الملوك

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا أبو عثمان، عن سعيد بن مسعدة الأخفش، قال: اعتذر رجل مِن العرب إلى بعض ملوكهم فَقال: إنَّ زلَّتي وإنْ دانَت قَد أحاطت بِحُرمتي، فإنَّ فَضلك يُحيط بِها، وكَرَمَك يُوفي عليها، ثُمّ قال:

إنِّي إلَيْكَ سَلِمْتَ كَانَتْ رِحْلَتِي ... أَرْجُو الإِلَهَ وَصَفْحَكَ المَبْذُولاَ
إنْ كَانَ ذَنْبِي قَدْ أَحَاطَ بِحُرْمَتِي ... فَأَحِطْ بِذَنْبِي عَفْوَكَ المأْمُولاَ

[نفسه ص٢٥٦].

❋ ❋ ❋

أسباب السِّيَادة

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: أخبرنا الرّياشي، عن العُتبي، عن رجل مِن الأنصار مِن أهل المدينة، قال: قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ لعرابة بن أَوس بن حارثة الأنصاري، بأيّ شيء سُدْتَ قَومك يا عرابة؟ قال: أخبرك يا معاوية بِأنّي كنت لهم كما كان حاتم لِقومه، قال: وكيف كان؟ فأنشدته:

وَأَصْبَحْتُ فِي أَمْرِ العَشِيرَةِ كُلِّهَا ... كَذِي الحِلْمِ يُرْضَى مَا يَقُولُ وَيُعْرَفُ
وَذَاكَ لأَنِّي لاَ أُعَادِي سَرَاتَهُمْ(١) ... وَلاَ عَنْ أَخِي ضَرَّائِهِمْ أَتَنَكَّفُ(٢)
وَإِنِّي لأُعْطِي سَائِلِي وَلَرُبَّمَا ... أُكَلَّفُ مَا لاَ أَسْتَطِيعُ فَأُكَلَّفُ
وَإِنِّي لَمَذْمُومٌ إِذَا قِيلَ حَاتِمٌ ... نَبَا نَبْوَةً إِنَّ الكَرِيمَ يُعَنَّفُ

(١) «السَّرْوُ: المُرُوءَةُ في شَرَفٍ، سَرُوَ، كَكَرُمَ ودَعَا ورَضِيَ، سَرَاوَةً وسَرْواً وسَراً وسَرَاءً، فَهو سَرِيٌّ الجمع: أَسْرِيَاءُ وسُرَوَاءُ وسُرّى. والسَّرَاةُ: اسم جَمع الجمع: سَرَواتٌ».
[القاموس المحيط: ١٢٩٥].

(٢) «نَكَفَ عَنْهُ، كفَرِحَ ونَصَرَ: أَنِفَ منه وامْتَنَعَ».

[نفسه ص٨٥٨].

ووالله إنّي لأعفو عن سفيههم وأحلُمُ عن جَاهلهم، وأسعى في حوائجهم، وأُعطي سائلهم، فَمن فَعَلَ فِعلي فَهو مثلي، ومن فَعل أحسنَ مِن فعلي فهو أفضل منّي، ومَن قصَّر عَن فِعلي فأنا خَير منه، فَقال معاوية: لقد صدق الشماخ حيث يقول فِيك:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيّ يَسْمُو إِلَى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
إذا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِاليَمِينِ

[نفسه ص٢٦١].

❋ ❋ ❋

ثناء وفد العراق على أميرهم مُصعب

حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا أبو عثمان، عن التَّوزيّ، عن أبي عُبيدة، قال: قَدِمَ وَفدُ العِراقِ على ابن الزُّبير وهو في المسجد الحرام فسلّموا عليه فسألهم عَن مُصعب، فَقالوا: أحسن النّاس سِيرة، وأقضاه بِحقّ، وأعدله في حُكم، فَلمّا صَلّى الجُمعة صَعِد المنبر فَحمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

قَد جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي مِن غَلْوَتَيْنِ ومِنَ المِئِينِ
حَتَّى إذا شَابُوا وَشَيَّبُونِي خَلَّوا عِنَانِي ثُمَّ سَيَّبُونِي

أيّها النّاس، إنّي سألت الوفد عن مُصعب فأحسنوا الثَّناء عليه وذكروا ما أحِبُّه، وإنّ مصعباً أطبى القُلوب حتى ما تعدل بِه، والأهواء حتى ما تَحُول عنه، واسْتَمَالَ[1] الألسن بثنائها، والقُلوب بِنُصْحِها، والنُّفوس بِمحبّتها، فهو المحبوب في خاصّته، المحمود في عامّته، بِما أطلق الله بِه لسانه من الخَير، وبَسط يَده منَ البَذل، ثُمَّ نَزل.

[نفسه ص٢٦٩].

(١) «اسْتَمَالَ فُلاناً، وبِقلبِه: أَمَالَهُ».
[القاموس المحيط: ١٠٥٩].

قول جحدر في سجنه حِين حبسه الحجّاج

أنشدنا أبو بكر، عن الأشناندانى لِجَحْدَر ـ وكان لِصًّا مُبِرًّا فأخذه الحجَّاج فَحبسه ـ، فقال في الحَبس:

تَـأَوَّبَنِي[١] فَبِـتُّ لَـهَـا كَـنِـيعـاً[٢] ... هُـمُـومٌ مَـا تُـفَـارِقُـنِـي حَـوَانِـي
هِـيَ الـعُـوَّادُ لاَ عُـوّاد قَـوْمِـي ... أَطَـلْـنَ عِـيَـادَتِـي فـي ذَا الـمَـكَـانِ
إِذَا مَـا قُـلْـتُ قَـدْ أَجْـلَـيْـنَ عَـنِّـي ... ثَـنَـى رَيْـعَـانُـهُـنَّ[٣] عَـلَـيَّ ثَـانِـي
وكَـانَ مَـقَـرُّ مَـنْـزِلِـهِـنَّ قَـلْـبِـي ... فَـقَـدْ أَنْـفَـهْـنَـهُ[٤] والـهَـمُّ آنِـي
أَلَـيْـسَ الـلَّـهُ يَـعْـلَـمُ أَنّ قَـلْـبِـي ... يُـحِـبُّـكَ أَيُّـهَـا الـبَـرْقُ الـيَـمَـانِـي
وَأَهْـوَى أَنْ أَرُدَّ إِلَـيْـكَ طَـرْفِـي ... عَلَى عُدَوَاءَ[٥] مِنْ شُغُلِي وَشَانِي
نَـظَـرْتُ وَنَـاقَـتَـايَ عَـلَـى تَـعَـادٍ ... مُـطَـاوِعَـةِ الأَزِمّـةِ[٦] تُـرْحَـلاَنِ
إِلَـى نَـارَيْـهِـمَـا وهُـمَـا بَـعِـيـدٌ ... تَـشُـوقَـانِ[٧] الـمُـحِـبَّ وَتُـوقَـدَانِ

---

(١) «تَأَوَّبَهُ وتَأَيَّبَهُ: أتاهُ لَيْلاً، والمصدرُ: المُتَأَوَّبُ والمُتَأَيَّبُ».
[القاموس المحيط: ٦٠].

(٢) «الكَنِيعُ: المَكْسُورُ اليَدِ، والعَادِلُ عن طريق إلى غيره».
[نفسه ص٧٦٠].

(٣) «الرَّيْعُ مِنْ كُلِّ شيء: أَوّلُهُ وأَفْضَلُه، كَرَيْعَانِه».
[القاموس المحيط: ٧٢٤].

(٤) «المَنْفُوهُ: الضَّعِيفُ الفُؤادِ الجَبَانُ، ومَا كانَ نافِهاً فَنَفَهَ، كَمَنَعَ، نُفُوهاً».
[نفسه ص١٢٥٤].

(٥) «العُدَوَاءُ، كالغُلَوَاءِ: الأرضُ اليَابِسَةُ الصُّلْبَةُ».
[القاموس المحيط: ١٣٠٩].

(٦) «زَمَّهُ فانْزَمَ: شَدَّهُ، وككِتَاب: مَا يُزَمُّ بِهِ، الجمع: أَزِمَّةٌ».
[نفسه ص١١١٨].

(٧) «الشَّوْقُ: نِزَاعُ النَّفْسِ، وحَرَكَةُ الهَوَى، الجمع: أَشْوَاقٌ، وقد شَاقَني حُبُّهَا: هَاجَنِي، كَشَوَّقَنِي».
[القاموس المحيط: ٨٩٩].

وَمِمَّا هَاجَنِي[١] فَازْدَدْتُ شَوْقاً ... بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ[٢]
تَجَاوَبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ ... عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرَبٍ[٣] وَبَانِ[٤]
فَكَانَ البَانُ أَنْ بَانَتْ[٥] سُلَيْمَى ... وَفِي الغَرَبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِي
أَلَيْسَ اللَّيلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو ... وَإِيَّانَا فَذَاكَ لَنَا تَدَانِي
نَعَمْ وَتَرَى الهِلاَلَ كَمَا أَرَاهُ ... ويَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلاَنِي
فَمَا بَيْنَ التَّفَرُّقِ غَيْرَ سَبْعٍ ... بَقِينَ مِنَ المُحَرَّمِ أَوْ بِثَمَانِ
فَيَا أَخَوَيَّ مِنْ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو ... أَقِلاً اللَّوْمَ إِنْ لَمْ تَنْفَعَانِي
إِذَا جَاوَزْتُمَا سَعَفَاتِ[٦] حَجْرٍ[٧] ... وَأَوْدِيَةَ اليَمَامَةِ فَانْعَيَانِي[٨]
وقُولاَ جَحْدَرٌ أَمْسَى رَهِيناً ... يُحَاذِرُ وَقْعَ مَصْقُولٍ[٩] يَمَانِي
حَاذَرَ صَوْلَةَ الحَجَّاجِ ظُلْماً ... وَمَا الحَجَّاجُ ظَلاَّمٌ لِجَانِي

---

(١) «هَاجَ يَهِيجُ هَيْجاً وهَيَجَاناً وهِيَاجاً، بالكسر: ثَارَ، كاهْتَاجَ وتَهَيَّجَ».

[نفسه ص٢١١].

(٢) «تَجاوَبُوا: جَاوَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً».

[نفسه ص٧٠].

(٣) «الغَرَبُ: شَجَرَةٌ حِجَازِيَّةٌ ضَخْمَةٌ شَاكَةٌ».

[القاموس المحيط ١١٩].

(٤) «البَانُ: شَجَرٌ، ولِحَبِّ ثَمَرِهِ دُهْنٌ طَيِّبٌ...».

[نفسه ص١١٨٢].

(٥) بَانَتْ: فَارَقَتْ.

(٦) «السَّعَفُ، محرّكة: جَرِيدُ النَّخْلِ، أَوْ وَرَقُهُ، وأكثرُ مَا يُقال إذا يَبِسَتْ، وإذا كانت رَطْبَةً: فَشَطْبَة».

[القاموس المحيط: ٨١٩].

(٧) اسم موضع.

(٨) «نَعَاهُ لَهُ نَعْياً ونَعِيًا ونُعْيَاناً، بِالضَّمِّ: أَخْبره بِموته».

[نفسه، ص١٣٣٩].

(٩) «صَقَلَهُ: جَلاهُ، فهو مَصْقُولٌ وصَقِيلٌ، والاسم: ككتابٍ، وهو صَاقِلٌ، الجمع: ككتبة».

[القاموس المحيط: ١٠٢٢].

إِلَـى قَـوْمٍ إِذَا سَـمِـعُـوا بِـقَـتْـلِـي بَكَى شُبَّانُهُمْ وبَكَى الغَـوَانِـي[١]
فَـإِنْ أَهْـلِـكْ فَـرُبَّ فَـتًـى سَيَـبْـكِـي عَـلَـيَّ مُـهَـذَّبٍ رَخْـصِ الـبَـنَـانِ
وَلَـمْ أَكُ قَـدْ قَـضَـيْـتُ حُـقُـوقَ قَـوْمِـي وَلاَ حَـقَّ الـمُـهَـنَّـدِ[٢] وَالـسِّـنَـانِ[٣]

قال أبو علي: المُبرُّ: الغَالِبُ. والكَنِيعُ: المُنقبضُ. وأَنْفَهْنَهُ: أعيينه.
[نفسه ص٢٦٨].

❋ ❋ ❋

موعظة القرظي لعمر بن عبدالعزيز في أوصاف بطانته

حدّثنا أبو بكر ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا أبو عثمان، عن التَّوزيِّ، عن أبي عُبيدةَ، قال: بلغني أنّ محمد بن كعب القُرظي قال لعمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ: لا تَتَّخذنَّ وزيراً إلاَّ عالماً، ولا أميناً إلا بالجَميلِ معروفاً، وبالمعروف موصوفاً، فإنّهم شُركاؤك في أمانتك، وأعوانك على أمورك، فإن صلحوا أصلحوا، وإن فسدوا أفسدوا.
[نفسه ص٢٩٦].

❋ ❋ ❋

نَصيحة بليغة لعبدالملك بن مروان

وبهذا الإسناد قال: قال عبدالملك بن مروان ـ رحمه الله ـ: يا بني أُميّة، ابذلوا نداكم[٤]، وكفّوا أذاكم، واعفوا إذا قَدرتم، ولا تبخلوا إذا

---

(١) «الغَانِيَةُ: المرأةُ التي تُطلَبُ ولا تَطلُبُ، أَو الغَنِيَّةُ بِحُسنها عن الزِّينة».
[نفسه ص١٣١٩].
(٢) «المُهَنَّدُ: السَّيْفُ المَطْبُوعُ مِن حَدِيدِ الهند».
[مختار الصّحاح: ٢٩٢].
(٣) «السِّنَانُ: نَصْلُ الرُّمْحِ الجمع: أَسِنَّةٌ».
[القاموس المحيط: ١٢٠٧].
(٤) جُودكم.

سُئلتم، فإنَّ خير المال ما أفادَ حَمْداً أو نفى ذَمًّا، ولا يَقولنّ أحدكم ابْدَأْ بِمن تَعُولُ، فإنّما النّاس عيال الله قد تَكفّل الله بِأرزاقهم، فَمن وَسَّعَ أخلف الله عليه، ومَنْ ضَيّق ضَيَّق الله عليه.

[نفسه ص٢٩٦].

❋ ❋ ❋

خبر الأحنف مع معاوية في مدح الولد

حدّثنا أبو يعقوب ـ ورّاق أبي بكر بن دريد ـ قال: أخبرنا أحمد بن عمرو، قال: حَدّثني أبي عمرو بن محمد، عن أبي عُبيدة، قال: دخل الأحنف بن قَيس على معاوية ويزيد بين يَديه، وهو ينظر إليه إعجاباً به، فَقال: يا أبا بَحر، ما تَقول في الوَلَد؟ فَعلم ما أراد، فقال: يا أمير المؤمنين! هُم عِماد ظُهورنا، وثَمَرُ قُلوبنا، وقُرَّة(١) أعيننا، بهم نَصُولُ على أعدائنا، وهم الخَلف مِنّا لمن بَعدنا، فكن لهم أرضاً ذَلِيلة، وسماء ظَليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك(٢) فأعتبهم، لا تمنعهم رِفْدَك(٣) فيملّوا قُربك، ويَكرهوا حياتك، ويستبطِئوا وفاتك، فقال: لله دَرّك يا أبا بحر! هم كما وصفت.

[نفسه ص٣٠٦].

❋ ❋ ❋

نصيحة الحسن لعمر بن عبدالعزيز

قال أبو علي: وحدّثنا أبو عبدالله إبراهيم بن محمّد بن عرفة النّحويّ، قال: حَدّثنا عبدالله بن محمّد، عن المدائني، قال: كتب الحَسن إلى عمر بن

---

(١) «قَرَّتْ عَيْنُهُ تَقَرُّ، بِالكسر والفَتح: قَرَّةً، وتُضَم، وقُرُوراً: بَرَدَتْ، وانقطع بُكاؤها». [القاموس المحيط: ٤٦١].

(٢) «العُتْبَى، بِالضَّمّ: الرِّضا. واسْتَعْتَبَهُ: أَعْطَاهُ العُتْبَى، كَأَعْتَبَهُ، وطَلَبَ إليه العُتْبَى، ضِدٌّ». [نفسه ص١١٢].

(٣) عطاءك.

عبدالعزيز ـ رحمةُ الله عليهما ـ: كُنْ كالمُدَاوِي جُرْحَه، صبرَ على شِدّة الدَّواء، مخافة طول البلاء.

[نفسه ص٣١٠].

❋ ❋ ❋

موعظة لعمر بن عبدالعزيز في ذَمِّ الدُّنيا

وحدَّثنا قال: أخبرنا عبدالله بن محمّد، عن المدائني، عن عليّ بن حمَّاد، قال: كَتب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إلى رجل: اتَّق الدُّنْيَا فإنَّ مَسَّها لَيِّنٌ، وارفُض نَعيمها لِقِلّة مَا يتبعك منه، واترك مَا يُعجبك منها لسرعة مفارقتها.

وحدّثنا أبو بكر بن الأنباري قال: عمر بن عبدالعَزيز رحمه الله قبل خلافته:

انْـهَ الـفُـؤَادَ عَـنِ الـصّـبـا[1] ... وَعَـنِ انْـقِـيَـادٍ لِـلْـهَـوَى
فَـلَـعَـمْـرُ رَبِّـكَ إنَّ فِـي ... شَـيْـبِ الـمَـفَـارِقِ[2] وَالـجَـلَـى[3]
لَـكَ وَاعِـظـاً لَـوْ كُـنْـتَ تَـتَّـ ... ـعِـظُ اتِّـعَـاظ ذَوِي الـنُّـهَـى[4]
حَـتَّـى مَـتَـى لاَ تَـرْعَـوِي[5] ... وَإلَـى مَـتَـى وَإلَـى مَـتَـى

(١) «صَبِيَ إِلَيْهَا: حَنَّ، كصَبَا صَبْوَةً وصُبْوَةً وصُبُوًّا».
[القاموس المحيط: ١٣٠٢].
(٢) «المَفرِقُ، كمَقْعَدٍ ومَجْلِسٍ: وَسَطُ الرَّأسِ، وهو الذِي يُفْرَقُ فِيه الشَّعَرُ».
[نفسه ص٩١٧].
(٣) «الجَلاَ، مقصورة: انحسارُ مُقدَّمِ الشَّعرِ أو نصف الرَّأس».
[نفسه ص١٢٧١].
(٤) «النُّهْيَةُ: العَقْلُ، كالنُّهَى، وهو يَكونُ جمعَ نُهيةٍ أيضاً. ورجلٌ مَنْهَاةٌ: عَاقِلٌ. ونَهُوَ، ككَرُمَ، فَهو نَهيٌّ مِنْ أنْهِيَاءَ».
[القاموس المحيط: ١٣٤١].
(٥) «الرَّغوَةُ والرَّغوَةُ، ويُثَلَّثانِ، والرَّعْوَى، ويُضَمُّ، والارعِوَاء والرُّعْيَا، بِالضَّمِّ: النُّزُوع عن الجَهل، وحُسنُ الرُّجوع عنه، وقد ارْعَوَى».
[نفسه ص١٢٨٩].

مَـا بَـعْـدَ أَنْ سُـمِّـيـتَ كَـهْـ ـلاً وَاسْـتُـلِـبْـتَ اسْـمَ الـفَـتَـى
بَـلِـيَ الـشَّـبَـابُ وَأَنْـتَ إِنْ عُـمِّـرْتَ رَهْـنٌ لِـلْـبِـلَـى
وَكَـفَـى بِـذَلِـكَ زَاجِـراً لِـلْـمَـرْءِ عَـنْ غَـيٍّ كَـفَـى

[نفسه ص٣١٠].

* * *

خَبر في الوُشاة، وحفظ السِّرِّ

حدّثنا أبو بكر بن دريد قال: أخبرنا عبدالرَّحمن، عن عَمّه، قال: وَشَى واش بعبدالله بن هَمّام السَّلُولي إلى زِياد، فَقال له: إنَّه هَجاك، فقال: أأجمع بينك وبينه؟ قال: نَعم، فبعث زياد إلى ابن هَمّام فأُتِي بِه، وأدخل الرجل بَيتاً، فقال زياد: يا بن هَمّام، بلغني أنَّك هجوتني، فَقال: كَلاًّ، أصلحك الله! ما فعلت ولا أنت لذلك بِأهل، فَقال: إنّ هٰذا الرَّجل أخبرني وأخرج الرَّجل، فأطرق[1] ابن هَمَّامٍ هُنَيْهَة ثُمّ أقبل على الرَّجل فَقال:

أَنْـتَ امْـرُؤٌ إِمَّـا ائْـتَـمَـنْـتُـكَ خَـالِـيـاً فَـخُـنْـتَ وَإِمَّـا قُـلْـتَ قَـوْلاً بِـلاَ عِـلْـمِ
فَـأَنْـتَ مِـنَ الأَمْـرِ الـذِي كَـانَ بَـيْـنَـنَـا بِـمَـنْـزِلَـةٍ بَـيْـنَ الـخِـيَـانَـةِ وَالإِثْـمِ

فأعجب زِياد بِجوابه، وأقصى الوَاشِي ولم يقبل منه.

[نفسه ص٣١١].

* * *

خبر الأعرابي الذي سأل خالد بن عبدالله القَسريّ

حدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبدالرَّحمن، عن عَمّه، قال: دخل أعرابيّ

---

(١) «أَطْرَقَ: سَكَتَ ولم يَتكَلّم، وأَرْخَى عَينيهِ يَنظُر إلى الأرض».
[القاموس المحيط: ٩٠٤].

على خالد بن عبدالله القَسريّ فقال: أصلح الله الأمير، شيخ كَبير حَدَتْهُ[١] إليك بَارِية العظام، ومؤرِّثة الأسقام، ومطوّلَة الأعوام، فذهبت أمواله، وذُعْذِعَتْ آبالُهُ[٢]، وتغيّرت أحواله، فإن رَأى الأمير أن يَجبره بِفَضْلِه، وينعشه بِسجله، ويردّه إِلى أهله، فقال: كُلّ ذٰلك، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال أبو علي: بَارِيَة العظام: التي تَبري العظام. وذعذعت: فُرِّقت. والسَّجل: الدَّلْوُ الذي فِيه ماء، وهو هاهنا مَثَلٌ.

[نفسه ص٣١١].

❋ ❋ ❋

قول عبدالملك حين حضرته الوفاة في ذمِّ الدُّنيا

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا أبو حاتم، عن الأصمعيّ عن يُونس، قال: لمّا حضرت عبدالملك الوفاة قال ـ وهو يعني الدُّنيا ـ: إنَّ طَويلك لقصير، وإنّ كَثيرك لقَليل، وإنْ كنّا منك لفي غَرُور.

[نفسه ص٣٢١].

❋ ❋ ❋

خبر بعض الأعراب في سؤال بعض الملوك

حَدّثنا أبو عبدالله قال: حدّثنا أحمد بن يَحيى، عن ابن الأعرابيّ قال: أتى أعرابيّ باب بعض الملوك فأقام بِه حولاً ثُمّ كَتب إليه: الأَمَلُ والعُدْمُ

---

(١) «حَدَا الإِبِلَ، وبِها حَدْواً وحُدَاءً وحِدَاءً: زَجَرَهَا وسَاقها».

[القاموس المحيط: ١٢٧٣].

(٢) «الإِبِلُ: لا واحد لها مِن لفظها وهي مُؤنَّثة لأنَّ أسماءَ الجموعِ التي لا واحد لَها مِن لفظها إذا كانت لِغيرِ الآدميين فالتَّأنيثُ لها لازِمٌ ورُبّما قالوا: إِبْلٌ بِسُكون الباء للتَّخفيف والجمعُ: آبَالٌ».

[مختار الصّحاح: ١].

أقدماني عليك. وفي السّطر الثاني: الإقلال لا صبر معه. وفي الثالث: الانصرافُ بِلا فائدة شَماتةُ الأعداء. وفي السّطر الرّابع: إمّا نَعَمٌ سَرِيحٌ[١]، وإمّا يَأسٌ مُرِيح.

[نفسه ص٣٣٣].

❋ ❋ ❋

من أخبار أبي العتاهية مع الخُلفاء والأمراء

قال حينما نقض نقفور ملك الرُّوم مَا كان أعطى الرَّشيد من الانقياد، وتجهّز الرّشيد وغزاه فنزل على هرقلة ودخلها بالسَّيف:

أَلاَ نَادَتْ هِرَقْلَةُ بِالخَرَابِ ... مِنَ المَلِكِ المُوَفَّقِ لِلصَّوَابِ
غَدَا هَارُونُ يُرْعِدُ بِالمَنَايَا ... وَيُبْرِقُ بِالمُذَكَّرَةِ[٢] القِضَابِ[٣]
وَرَايَاتٍ يَحُلّ النَّصْرُ فِيهَا ... تَمُرُّ كَأَنَّهَا قِطَعُ السَّحَابِ
أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ظَفِرْتَ فاسْلَمْ ... وأَبْشِرِ بِالغَنِيمَةِ والإِيَابِ

حدّث أبو خَيثم العنزي، وكان صديقاً لأبي العتاهية، قال: حدّثني أبو العتاهية قال: أخرجني المهدي معه إلى الصَّيد. فوقعنا منه على شيء كثير فتفرّق أصحابه في طلبه، وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يَلتفتوا. وعرض لنا واد جَرّار وتغيّمت السَّماء وبدأت بِمطر، فتحيّرنا وأشرفنا على الوادي، فإذا فِيه ملاّح يعبّر النّاس فَجاء إلينا فَسألناه عن الطريق فجعل يضعف رأينا ويعجزنا في بذلنا أنفسنا في ذٰلك الغيم للصَّيد حتى أبعدنا. ثُمّ أدخلنا كُوخاً له وكاد المهدي يموت بَرداً. فقال له: أغطيك بِجُبّتي هٰذه الصُّوف. فَقال: نَعم، فَغطّاه بِها فتماسك قَليلاً ونام. فافتقده غلمانه وتبعوا

(١) سَرِيحٌ: سرِيعٌ غير بَطيء.
(٢) المذكَّرَة: جمع مذكّر وهو السَّيف الحَادُّ.
(٣) القضاب: الشّديدة القَطع.

أثره حتى جَاؤونا. فلمّا رأى الملاّح كثرتهم علم أنّه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان فنحّوا الجُبّة عنه، وألقوا عليه الخزّ[١] والوَشي[٢]، فلمّا انتبه قال لي: ويحك ما فعل الملاّح فقد وجب حقّه عَلينا، فقلت: هرب خوفاً من قُبح ما خاطبنا به. قال: إنّا لله إنّي لقد أردت أن أغنيه وبِأيّ شَيء خاطبنا نحن مستحقُّون لأقبح ممّا خاطبنا بِه.

بحياتي عليك إلاّ ما هجوتني. فقلت يا أمير المؤمنين كَيف تطيب نفسي بأن أهجوك! قال: إنّك لتفعلنّ فإنّي ضعيف الرّأي مُغرم بِالصّيد. فَقُلْت:

يَا لاَبِسَ الوَشْي عَلَى ثَوْبِهِ ... مَا أَقْبَحَ الأَشْيَبَ فِي الرَّاحِ[٣]
لَوْ شِئْتَ أَيْضاً جُلْتَ في خَامَةٍ[٤] ... وَفِي وِشَاحَيْنِ[٥] وَأَوْضَاحِ[٦]
كَمْ مِنْ عَظِيمِ القَدْرِ فِي نَفْسِهِ ... قَدْ نَامَ فِي جُبَّةِ مَلاَّحِ

. . . وقال في المهدي:

أَنْتَ المُقَابِلُ والمُدَا ... بِرُ فِي المَنَاسِبِ والعَدِيد
بَيْنَ العُمُومَةِ والخُؤو ... لَةِ والأُبُوَّة وَالجُدُود
فَإِذَا انْتَمَيْتَ إلى أبِيـ ... ـكَ فَأَنْتَ فِي المَجْدِ المَشِيد
وَإِذَا انْتَمَى خَالٌ فَمَا ... خَالٌ بِأَكْرَمَ مِنْ يَزِيد

حدّث أحمد بن معاوية القرشيّ قال: لمّا عقد الرّشيد ولاية العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية:

---

(١) «الخَزُّ وَاحِدُ الخُزُوزِ مِن الثِّيَابِ».

[مختَار الصِّحاح: ٧٣].

(٢) «الوَشْيُ: نَقْشُ الثَّوْبِ مَعروف، ويكون مِن كُلِّ لونٍ».

[القاموس المحيط: ١٣٤٣].

(٣) الرَّاح: الخمر.
(٤) الخامَةُ: نَسِج من القُطن.
(٥) الوشاح: نسيج عريض تشدّه المرأة بين عاتقيها وكشحيها.
(٦) الأوضاح: جمع وَضَح وهو ضَربٌ من الحُلِيّ.

رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ[(١)] المَحِيلِ قَعُودي[(٢)] إلى ذِي زُحُوفٍ[(٣)] جَمَّةٍ[(٤)] وجُنُودِ
وَرَاعٍ يُرَاعِي اللَّيْلَ في حِفْظِ أُمَّةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرَ رَقُودِ
بِأَلْوِيَةٍ جِبْرِيلُ يَقْدُمُ أَهْلَهَا وَرَايَاتِ نَصْرٍ حَوْلَهُ وبُنُودِ
تَجَافَى[(٥)] عَنِ الدُّنْيَا فَأَيْقَنَ أَنَّهَا مُفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
وَشَدَّ عُرَى الإِسْلاَمِ مِنْهُ بِفِتْيَةٍ ثَلاثَةِ أَمْلاَكٍ وُلاَةِ عُهُودِ
هُمُ خَيْرُ أَوْلاَدٍ لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودِ
بَنُو المُصْطَفَى هارُونُ حَوْلَ سَرِيرِهِ فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وقُعُودِ
تُقَلِّبُ أَلْحَاظُ[(٦)] المَهَابَةِ بَيْنَهُمْ عُيُونَ ظِبَاءٍ فِي قُلُوبِ أُسُودِ
جُدُودٌ هُمُ شَمْسٌ أَتَتْ فِي أَهِلَّةٍ تَبَدَّتْ لِرَاءٍ في نُجُومِ سُعُودِ[(٧)]

فوصله الرَّشيد بِصِلَةٍ مَا وَصَل مثلها شاعراً قَطّ.

...وقال يستغيث الرَّشيد لمّا حبسه:

يَا رَشِيدَ الأَمْرِ أَرْشِدْنِي إِلَى وَجْهِ نُجْحِي[(٨)] لا عُدِمْتَ الرَّشَدَا

---

(١) «الرَّبْعُ: الدَّارُ بِعينها حيث كَانَت، الجمع: رِبَاعٌ ورُبُوعٌ وأَرْبُعٌ وأَرْبَاعٌ، والمَحَلَّةُ والمنزل». [القاموس المحيط: ٧١٨].

(٢) «القَعُودُ: القَلُوصُ، والبَكْرُ إلى أَنْ يُثْنِيَ، والفَصِيل». [نفسه ص٣١١].

(٣) «زَحَفَ إليه، كمنَعَ، زَحْفاً وزُحُوفاً وزَحَفَاناً: مَشَى». [نفسه ص٨١٥].

(٤) كثيرة.

(٥) «تَجَافَى جَنْبُه عن الفِرَاشِ أي نَبَا واسْتَجْفَاهُ عَدَّهُ جَافِياً». [مُختار الصّحاح: ٤٥].

(٦) «اللَّحَاظُ، بالفتح: مُؤْخِرُ العَيْنِ وبِالكسرِ مَصْدَرُ لاحَظَهُ أي رَاعَاهُ». [مختار الصّحاح: ٢٤٧].

(٧) سعود النُّجوم: هي كواكب عشرة، يُقال لكلِّ واحدٍ منها سعد. (المحقّق).

(٨) «النُّجْحُ بوزن النُّصْح والنَّجَاحُ بالفتح: الظَّفَرُ بِالحوائج. وأَنْجَحَ الرَّجلُ فَهو مُنْجِحٌ صَارَ ذَا نُجْحٍ». [مُختار الصّحاح: ٢٦٩].

لاَ أَرَاكَ اللَّهُ سُوءاً أَبَداً مَا رَأَتْ مِثْلَكَ عَيْنٌ أَحَدَا
أعِنِ الخَائِفَ وَارْحَمْ صَوْتَهُ رَافِعاً نَحْوَكَ يَدْعُوكَ يَدَا
وَابَلاَئِي مِنْ دَعَاوِي آمِلٍ كُلَّمَا قُلْتُ تَدَانَى بَعُدَا
كَمْ أُمَنِّي بِغَدٍ بَعْدَ غَدٍ يَنْفَدُ العُمْرُ وَلَمْ أَلْقَ غَدَا

. . . وروي أنّه لمّا قتل الأمين أرسلت زبيدة إلى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتاً يَستعطف بِها المأمون فأرسل إليها هٰذه الأبيات:

أَلاَ إِنَّ صَرْفَ[1] الدَّهْرِ يُدْنِي ويُبْعِدُ وَيُمْتِعُ بِالآلاَفِ طَوْراً ويُنْفِدُ
أَصَابَتْ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنِّي يَدِي يَدِي فَسَلَّمْتُ بِالأَقْدَارِ وَاللَّهَ أَحْمَدُ
أَقُولُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ إِنْ ذَهَبَتْ يَدٌ فَقَدْ بَقِيَتْ وَالحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدُ
إِذَا بَقِيَ المَأْمُونُ لِي فَالرَّشِيدُ لِي وَلِي جَعْفَرٌ لَمْ يُفْتَقَدْ وَمُحَمَّدُ

. . . حدّث حَبيب بن الجهم النّميري قال: حضرت الفَضل بن الرَّبيع متنجِّزاً جَائزتي، وفَرضي، فلم يدخل عليه أحد قبلي، فإذا عون حاجبه قد جَاء فَقال: هٰذا أبو العتاهية يسلم عليك وقد قدم مِن مكّة فَقال: أعفني منه السَّاعة يشغلني عن رُكوبي. فخرج إليه عون فَقال: إنّه على الركوب إلى أمير المؤمنين، فأخرج من كُمِّه نَعلاً عليها شِراك، فَقال: قل له: إنّ أبا العتاهية قد أهداها إليك جعلت فداءك. قال: فَدخلت بِها، فَقال: ما هٰذه؟ فقلت: نَعْلٌ وعلى شراكها مكتوب كِتاب. فقال: يَا حبيب اقرأ ما عَليها. فقرأته فإذا هُو:

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لِيَلْبِسَهَا قَدَمٌ بِهَا يَمْشِي إِلَى المَجْدِ
لَوْ كَانَ يَصْلُحُ أَنْ أُشَرِّكَهَا خَدِّي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدِّي

. . . قال الأصمعي: صنع الرَّشيد طعاماً وزخرف مجالسه، وأحضر

---

(١) «صَرْفُ الدَّهرِ: حَدَثانُهُ ونَوَائِبُه».
[مختار الصّحاح: ١٥٢].

أبا العتاهية وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هٰذه الدُّنيا. فقال أبو العتاهية:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِماً فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ القُصُور
يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْـ ـتَ لَدَى الرَّوَاح[1] أو البُكُورِ
فإذا النُّفوسُ تَقَعْقَعَتْ[2] فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ[3] الصُّدُور
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِناً مَا كُنْتَ إلاَّ فِي غُرُور

. . . حَدَّث عمر بن شبة قال: كان الهادي واجِداً[4] على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون في خِلافة المهدي. فَلمّا ولي موسى الخِلافة قال أبو العتاهية يمدحه:

يَضْطَرِبُ الخَوْفُ والرَّجَاءُ إِذَا حَرَّكَ مُوسَى القَضِيبَ أَوْ فَكَّرْ
مَا أَبْيَنَ الفَضْلَ في مَغِيبِ ومَا أَوْرَدَ مِنْ رَأْيِهِ وَمَا أَصْدَرْ
فكَمْ تَرَى عَزَّ عِنْدَ ذٰلِكَ مِنْ مَعْشَرِ قَوْم وَذَلَّ مِنْ مَعْشَرْ
يُثْمِرُ مِنْ مَسِّهِ القَضِيبُ وَلَوْ يَمَسُّهُ غَيْرُهُ لَمَا أَثْمَرْ
مَنْ مِثْلُ مُوسَى وَمِثْلُ وَالِدِهِ الـ ـمَهْدِيِّ أو مِثْلُ جَدِّه جَعْفَرْ

. . . دخل أبو العتاهية على موسى الهادي بعد أَنْ رضي عنه لمدحه إيّاه في الأبيات السابقة «يضطرب الخوف» فأنشده:

---

(١) «الرَّوَاحُ: ضِدُّ الصَّبَاح وهو اسْمٌ للوقتِ مِن زَوَالِ الشَّمسِ إلى اللَّيْلِ وهو أيضاً مَصدرُ رَاحَ يَرُوحُ ضِدُّ غَدَا يَغْدُو. وسَرَحَتِ الماشِيَةُ بِالغَدَاةِ ورَاحَتْ بِالعَشِيِّ تَرُوحُ رَوَاحاً أي رجعت».

[مختار الصّحاح: ١١٠].

(٢) «القَعْقَعَةُ: تَحرِيكُ الشَّيء اليَابِسِ الصُّلْبِ مَعَ صَوْتٍ».

[القاموس المحيط: ٧٥٤].

(٣) «الحَشْرَجَةُ: الغَرْغَرَةُ عند الموتِ، وتَرَدُّدُ النَّفَس».

[نفسه ص١٨٤].

(٤) «وَجَدَ عَليه في الغَضَبِ مَوْجِدَةً بِكسر الجِيمِ ووِجْدَاناً أيضاً بِكسر الوَاو».

[مختار الصّحاح: ٢٩٦].

لَـهْـفِـي عَـلَـى الـزَّمَـنِ الـقَـصِـيـر بَـيْـنَ الـخَـوَرْنَـقِ[١] والـسَّـدِيـر[٢]

إِذْ نَـحْـنُ فـي غُـرَفِ الـجِـنَـا نِ نَـعُـومُ فـي بَـحْـرِ الـسُّـرُور

وَإِلَـى أَمِـيـنِ الـلَّـهِ مَـهْـ ـرَبُـنَـا مِـنَ الـدَّهْـرِ الـعَـثُـور

وَإِلَـيْـهِ أَتْـعَـبْـنَـا الـمَـطَـا يَـا بِـالـرَّوَاحِ وَبِـالـبُـكُـور

صُـعْـرَ[٣] الـخُـدُودِ كَـأَنَّـمَـا جُـنِّـحْـنَ أَجْـنِـحَـةَ الـنُّـسُـور

مُـتَـسَـرْبِـلاتٍ[٤] بِـالـظَّـلاَ مِ عَـلَـى الـسُّـهُـولَـةِ وَالـوُعُـور

مَـا زَالَ قَـبْـلَ فِـطَـامِـهِ فـي سِـنِّ مُـكْـتَـهِـلٍ كَـبِـيـر

. . . وقال يمدح الرَّشيد:

جَرَى لَكَ مِنْ هَارُونَ بِالسَّعْدِ طَائِرُهْ إِمَـامُ اعْـتِـزَامٍ لا تُـخَـافُ بَـوَادِرُهْ

إِمَـامٌ لَـهُ رَأْيٌ حَـمِـيـدٌ وَرَحْـمَـةٌ مَـوَارِدُهُ مَـحْـمُـودَةٌ ومَـصَـادِرُهْ

هُوَ المَلِكُ المَجْبُولُ[٥] نَفْساً عَلَى التُّقى مُسَـلَّـمَـةٌ مِـنْ كُـلِّ سُوءٍ عَـسَـاكِـرُهْ

لِيَغْمُدَ[٦] سَيْفَ الحَرْبِ فَاللَّهُ وَحْدَهُ وَلِـيُّ أَمِـيـرِ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ وَنَـاصِـرُهْ

وَهَارُونُ مَاءُ المُزْنِ[٧] يَشْفِي مِن الصَّدَى[٨] إِذَا مَا الصَّدَى بِالرِّيقِ غَصَّتْ حَنَاجِرُهْ

---

(١) الخَورنق: قَصر في العِراق بَناه النُّعمان اللَّخميّ ووسَّعهُ العبَّاسِيُّون.

(٢) السَّدِيرُ: قَصْرٌ في الحِيرَة قَريب مِن الخَوَرْنَق.

(٣) «الصَّعَرُ، محرّكة، والتَّصَعُّرُ: مَيْلٌ في الوَجْهِ، أو في أَحَدِ الشَّفَتَيْنِ، أو دَاءٌ في البَعيرِ، يلوي عُنُقَهُ مِنه، صَعِرَ، كَفرِحَ، فَهو أَصْعَرُ».

[القاموس المحيط: ٤٢٤].

(٤) «السِّرْبَالُ: كُلُّ مَا لُبِسَ، وقَد تَسَرْبَلَ بِه، وسَرْبَلْتُه».

[نفسه ص١٠١٤].

(٥) الجِبِلَّةُ: الخِلقَةُ والطَّبيعة.

(٦) «الغِمْدُ، بِالكسر: جَفْنُ السَّيفِ، كالغُمْدَانِ، بِضَمَّتين والشَّدِّ، الجمع: أغْمَادٌ وغُمُودٌ، وبالفتح: مَصدرُ غَمَدَهُ يَغمِدُهُ ويَغمُدُهُ: جَعله في الغِمدِ، كَأَغْمَدَهُ».

[القاموس المحيط: ٣٠٤].

(٧) «المُزْنُ، بِالضَّمِّ: السَّحَابُ، أَو أَبيَضُهُ، أَو ذو الماءِ، القِطْعَةُ: مُزْنَةٌ».

[القاموس المحيط: ١٢٣٤].

(٨) «الصَّدَى: العَطَشُ، صَدِيَ، كَرَضِيَ، صَدًى، فَهو صَدٍ وصَادٍ وصَدْيَانُ».

[نفسه ص١٣٠٢].

وَأَوْسَطُ بَيْتٍ في قُرَيْشٍ لَبَيْتُهُ ... وَأَوَّلُ عِزٍّ في قُرَيْشٍ وآخِرُهْ
وَزَحْفٌ لَهُ تَحْكِي البُروقَ سُيوفُه ... وَتَحْكِي الرُّعُودَ القَاصِفَاتِ حَوَافِرُهْ
إذَا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَاحَكَتْ ... إلى الشَّمْسِ فِيهِ بِيضُهُ[1] وَمَغَافِرُهْ[2]
إِذَا نُكِبَ الإِسْلاَمُ يَوْماً بِنَكْبَةٍ ... فَهَارُونُ مِنْ بَيْنِ البَرِيَّةِ ثائِرُهْ
وَمَنْ ذَا يَفُوتُ المَوْتَ وَالمَوْتُ مُدْرِكٌ ... كَذَا لَمْ يَفُتْ هَارُونَ ضِدٌّ يُنَافِرُهْ

...تأخّر المهدي عن أن ينيل أَبا العتاهية ما سأله، فبعث إليه بهذين البيتين، فأعطاه خمسين ألف درهم:

لَيتَ شِعْرِي[3] مَا عِنْدَكُمْ لَيتَ شِعْرِي ... فَلَقَدْ أُخِّرَ الجَوَابُ لأَمْرِ
مَا جَوَابٌ أَوْلَى بِكُلِّ جَمِيلٍ ... مِنْ جَوَادٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرِ

...وقال أبو العتاهية عندما أمرَ الرَّشيد بِحبسِهِ:

أَنَا اليَوْمَ لِي والحَمْدُ لِلَّهِ أَشْهُرُ ... يَرُوحُ عَلَيَّ الغَمُّ مِنْكُمْ ويَبْكُرُ
تَذَكَّرْ أمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي ... ومَا كُنْتَ تُولِينِي لَعَلَّكَ تَذْكُرُ
لَيَالِيَ تُدْنِي مِنْكَ بِالقُرْبِ مَجْلِسِي ... وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ البَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِيَ بِالعَيْنِ التِي كُنْتَ مَرَّةً ... إِلَيَّ بِهَا في سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

...نظم أبو العتاهية هٰذه الأبيات لزبيدة زوج الرَّشيد بعد مقتل ابنها الأمين فبعثت بِها إلى المأمون:

لِخَيْرِ إِمَامٍ قَامَ مِنْ خَيْرِ عُنْصُرِ ... وَأَفْضَلِ رَاقٍ فَوْقَ أَعْوَادِ مِنْبَرِ

---

(١) «الأبْيَضُ: السَّيْفُ وجَمْعُه: بِيضٌ».
[مختار الصِّحاح: ٢٩].

(٢) «الغَفْرُ: التَّغطيةُ وبَابُه ضَرَبَ. والمِغْفَرُ بِوزنِ المِبْضَعِ: زَرَدٌ يُنْسَجُ على قَدْرِ الرَّأْسِ يُلبسُ تحت القَلنسوة».
[نفسه ص١٩٩].

(٣) «لَيتَ شِعْرِي فُلاناً، ولَهُ، وعَنه مَا صَنَعَ؟ أي: ليتني شَعَرْتُ».
[القاموس المحيط: ٤١٦].

وَوَارِثِ عِلْمِ الأَوَّلِينَ وَمُلْكِهِمْ هُوَ المَلِكُ المَأْمُونُ مِنْ أُمِّ جَعْفَرِ
كَتَبْتُ وَعَيْنِي تَسْتَهِلُّ[1] دُمُوعُهَا إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّي مِنْ جُفُونِي وَمَحْجِرِي[2]
أُصِبْتُ بِأَدْنَى النَّاسِ مِنْكَ قَرَابَةً وَمَنْ هُوَ لِي رُوحِي فَعِيلَ تَصَبُّرِي[3]
أَتَى طَاهِرٌ لاَ طَهَّرَ اللَّهُ طَاهِراً فَمَا طَاهِرٌ فِي فِعْلِهِ بِمُطَهَّرِ
فَأَبْرَزَنِي مَكْشُوفَةَ الوَجْهِ حَاسِراً وَأَنْهَبَ أَمْوَالِي وخَرَّبَ أَدْوُرِي
يَعِزُّ عَلَى هَارُونَ مَا قَدْ لَقِيتُهُ وَمَا مَرَّ لِي مِنْ نَاقِصِ الخَلْقِ أَعْوَرِ
تَذَكَّرْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَرَابَتِي فَدَيْتُكَ مِنْ ذِي قُرْبَةٍ مُتَذَكِّرِ
فَإِنْ يَكُ مَا أَسْدَى لأَمْرٍ أَمَرْتَهُ صَبَرْتُ لأَمْرٍ مِنْ قَدِيرٍ مُدَبِّرِ
وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى فَغَيْرُ مُدَافِعٍ إِلَيْكَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَغَيِّرِ

. . .حدّث مُوسى بن عبدالملك قال: كَان أحمد بن يوسف أبو جَعفر صديقاً لأبي العتاهية، فَلمّا خدم المأمون وخصّ بِه رأى منه أبو العتاهية جَفوة، فكتب إليه:

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الشَّرِيفَ يَشِينُهُ[4] تَتَايُهُهُ[5] عَلَى الأَخِلاَّءِ في الوَفْرِ[6]
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الغِنَى وَأَنَّ الغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الفَقْرِ
فَإِنْ نِلْتَ تيهاً بِالذِي نِلْتَ مِنْ غِنًى فَإِنَّ غِنَايَ فِي التَّجَمُّلِ والصَّبْرِ

---

(١) سَالَتْ.

(٢) «المَحْجِرُ ـ كَمَجْلِس ومِنْبَرٍ ـ مِن العَين: ما دَارَ بها».
[القاموس المحيط: ٣٧٢].

(٣) «الصَّبْرُ: نَقِيضُ الجزَعِ، صَبَرَ يَصْبِرُ، فَهو صَابِرٌ وصَبِيرٌ وصَبُورٌ، وتَصَبَّرَ واصْطَبَرَ واصَّبَرَ».
[القاموس المحيط: ٤٢٢].

(٤) «شَانَهُ يَشِينُهُ: ضِدُّ زَانَهُ».
[القاموس المحيط: ١٢١٠].

(٥) التِّيهُ، بِالكسر: الصَّلَفُ، والكِبْرُ. تاهَ، فهو تائِهٌ وتَيَّاهٌ وتَيْهَانُ وتَيِّهَانُ.

(٦) «الوَفْرُ: الغِنى، ومن المال والمتاع: الكَثِيرُ الوَاسِعُ، أو العَامُّ مِن كُلِّ شيء الجمع: وُفُورٌ».
[القاموس المحيط: ٤٩٣].

فبعث إليه بألفي درهم وكتب إليه يعتذر ممّا أنكره.

...وقال أبو العتاهية يرثي يزيد بن مَنصور خال المهديّ:

أَنْعَى يَزِيدَ بْنَ مَنْصُورٍ إِلَى البَشَرِ ... أَنْعَى يَزِيدَ لأَهْلِ البَدْوِ وَالحَضَرِ
يَا سَاكِنَ الحُفْرَةِ المَهْجُورِ سَاكِنُهَا ... بَعْدَ المَقَاصِرِ[1] وَالأَبْوَابِ والحُجَرِ
وَجَدْتُ فَقْدَكَ في مَالِي وَفي نَشَبِي[2] ... وَجَدْتُ فَقْدَكَ في شِعْرِي وَفي نَثْرِي
فَلَسْتُ أَدْرِي جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً ... أَمَنْظَرِي أَسْوَأُ هُو فِيكَ أَمْ خَبَرِي

[«ديوان أبي العتاهية» شرح: د. وفاء الباني قَمر].

❋ ❋ ❋

خبر أعرابي دخل على بعض الملوك يمدحه

حدّثنا أبو بكر قالَ رحمه الله: حدّثنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: دخل أعرابيّ على بعض الملوك فَقال: رأيتُني فيما أتعاطى مِنْ مَدْحِك كالمُخْبِرِ عن ضوء النّهار البَاهر، والقَمر الزَّاهر، الذي لا يخفى على النّاظر، وأيقنت أنّي حيث انتهى بي القول مَنسوب إلى العَجز مُقصِّر عن الغاية، فانصرفت عن الثّناء عليك إلى الدُّعاء لك، ووكلتُ الإخبار عنك إلى علم النّاسِ بك.

[«الأمالي» ص٣٣٤].

❋ ❋ ❋

(١) «المَقْصُورَةُ: الدّارُ الواسِعَةُ المُحَصَّنَةُ، أو هي أَصْغَرُ مِنَ الدّارِ، كالقُصَارَةِ، بِالضَّمِّ، ولا يدخُلُها إلا صَاحِبها».

[القاموس المحيط: ٤٦٢].

(٢) «النَّشَبُ والنَّشَبَةُ، مُحرّكتين، والمَنْشَبَةُ: المالُ الأصِيلُ من النَّاطق والصَّامت».

[نفسه ص١٣٨].

قول عبدالملك في السِّياسة

حدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبي زَيد قال: سأل الوليدُ بن عبدالملك أباه عن السياسة، فَقال: هيبة الخاصَّة مع صدق مودّتها، واقتياد قُلوب العامّة بالإنصاف لها، واحتمال هَفوات الصّنائع، فإنّ شُكرها أقرب الأيادي إليها.

[نفسه ص٣٤١].

❋ ❋ ❋

وصيّة زيّاد لعمّاله

حدّثنا أبو بكر قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبي عُبيدة، عن يُونس، قال: كان زياد إذا ولّى رَجلاً عَمَلاً قال له: خُذْ عهدك وسِرْ إلى عَمَلِك، واعلم أنّك مصروف رأس سَنَتِك، وأنّك تصير إلى أربع خِلال فاختر لنفسك: إنّا إنْ وَجَدناك قَويًا خائِناً اسْتَهَنّا بِقوّتك، وأحسنّا على خيانتك أدَبك، وأوجعنا ظهرك وثَقّلْنَا غُرمك، وإن جمعت علينا الجُرْمَين جَمعنا عليك المضرّتين، وإن وجدناك أميناً قَويًا زدنا في عملك ورفعنا ذكرك، وكثّرنا مالك وأوطأنا عقبك.

[نفسه ص٣٤٢].

❋ ❋ ❋

خطبة عمر بن عبدالعزيز في الجزع والدُّنيا

حدّثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدّثني أبي قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد قال: حَدّثنا الزنادي، قال: يُقال: إنّ عُمر بن عبدالعَزيز رحمه الله تكلّم بهذا الكلام في خُطبته: ما الجَزَع ممّا لا بُدَّ منه، وما الطّمع فِيما لا

يُرجَى، وما الحِيلة فِيما سَيَزُول! وإنّما الشَّيء مِن أصله، فَقد مَضَتْ قَبلنا أصول نحن فُروعها، فَما بَقاء فَرع بَعد أصله، إنّما النّاسُ في الدُّنيا أغراض تَنتضل فِيهم المنَايا، وهُم فيها نَهب للمصائب، مع كلّ جرعة شَرق، وفي أكلة غصص، لا ينالون نِعمة إلا بِفراق أُخرى، ولا يُعمّر مُعمّر يَوماً من عُمْرِه إلا بِهدم آخر مِن أجله، وأَنتم أعوان الحُتوف على أنفسكم، فأين المهرب ممّا هو كائِن! وإنَّما نتقلّب في قُدرة الطّالب، فما أصغر المُصيبة اليَوم مع عظيم الفائدة غَداً، وأكبر خَيبة الخائب فيه! والسَّلام.

[نفسه ص٣٥٩].

***

خبر عبدالملك بن مروان وبطانته في أحسن ما قِيل في الشّعر

حدّثنا أبو بكر، قال: حدَّثنا أبو حاتم، عن أبي عُبيدة قال: كان عبدالملك بن مروان ذات ليلة في سَمَرِهِ[1] مع ولده وأهل بيته وخاصَّته، فقال لهم: لِيقُل كُلّ واحد مِنكم أحسن مَا قِيل في الشّعر ولِيُفضّل من رأى تفضيله، فأنشدوا وفَضّلوا، فقال بعضهم: امرؤ القيس، وقال بعضهم: النّابغة، وقال بعضهم: الأعشى، فلمّا فرغوا قال: أَشعر والله مِن هؤلاء جَميعاً عندي الذي يَقول: قال أبو علي: أنشد عبدالملك بعض هٰذه الأبيات التي أنا ذاكرها وضممت إليها ما اخترتُ من القَصيدة وقت قِراءتي شِعر معن بن أوس على أبي بكر بن دريد وما رواه ابن الأعرابي في نَوادره:

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ[2] ... بِحِلْمِيَ عَنْهُ وَهْوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ

(١) «السَّمَرُ، محرّكة: اللَّيْلُ، وحَدِيثُهُ، كالسَّمِيرِ».
[القاموس المحيط: ٤٠٩].

(٢) «الضِّغْنُ، بالكسر: الحِقْدُ، كالضَّغِينَةِ، وقَد ضَغِنَ، كفرِح».
[القاموس المحيط: ١٢١١].

يُحَاوِلُ رَغْمِي[١] لاَ يُحَاوِلُ غَيْرَهِ وَكَالمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحُلَّ بِهِ الرَّغْمُ
فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أُغْضِ عَيْناً عَلى قَذًى وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمُ
وَإِنْ أَنْتَصِرْ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَائِشٍ[٢] سِهَامَ عَدُوٍّ يُسْتَهَاضُ[٣] بِهَا العَظْمُ
صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَمَا تَسْتَوِي حَرْبُ الأَقَارِبِ وَالسِّلْمُ
وبَادَرْتُ مِنْهُ النَّأْيَ[٤] وَالمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ في كَفِّه السَّهْمُ
وَيَشْتِمُ عِرْضِي فِي المُغَيَّبِ جَاهِداً وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلاَ شَتْمُ
إِذَا سُمْتُهُ وَصْلَ القَرابَةِ سَامَنِي[٥] قَطِيعَتَهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ والإِثْمُ
وَإِنْ أَدْعُهُ لِلنّصْفِ[٦] يَأْبَ ويَعْصِنِي وَيَدْعُو لِحُكْمٍ جائِرٍ غَيْرُهُ الحُكْمُ
فَلَوْلاَ اتّقَاءُ اللَّهِ والرَّحِمُ التِي رِعَايَتُهَا حَقٌّ وتَعْطِيلُهَا ظُلْمُ
إذاً لَعَلاَهُ بَارِقِي[٧] وخَطَمْتُهُ[٨] بِوَسْمِ شَنَارٍ[٩] لا يُشَاكِهُهُ[١٠] وَسْمُ

---

(١) «الرُّغْمُ: الكُرْهُ، ويُثَلَّثُ، كالمَرْغَمَةِ، ورَغِمَهُ، كعَلِمَهُ ومَنَعَهُ: كَرِهَهُ».
[نفسه ص١١١٤].
(٢) «راشَ السَّهْمَ يَرِيشُهُ: أَلْزَقَ عَليهِ الرِّيش، كَرَيَّشَهُ، فهو مَرِيشٌ ومُرَيَّشٌ».
[القاموس المحيط: ٥٩٥].
(٣) «هَاضَ العَظْمَ يَهِيضُهُ: كَسَرَهُ بَعْدَ الجُبُورِ، كاهْتَاضَهُ، وهو مَهِيض».
[نفسه ص٦٥٧].
(٤) النَّأْيُ: البُعْدُ.
(٥) «سَامَ فُلاناً الأَمْرَ: كَلَّفَهُ إِيَّاهُ، أَو أَوْلاَهُ إِيَّاهُ، كَسَوَّمَهُ، وأكثرُ ما يُستعمل في العذَاب والشَّرّ».
[القاموس المحيط: ١١٢٤].
(٦) «الإِنْصَافُ: العَدْلُ، والاسمُ: النَّصَفُ والنَّصَفَةُ، مُحرّكتين».
[نفسه ص٨٥٦].
(٧) «البَارِقَةُ: السُّيُوفُ».
[القاموس المحيط: ٨٦٦].
(٨) «خَطَمَهُ يَخْطِمُهُ: ضَرَبَ أنفه».
[نفسه ص١١٠٤].
(٩) «الشَّنَارُ، بالفتح: أقبحُ العَيب، والعارُ، والأمرُ المشهُور بِالشُّنْعَةِ».
[نفسه ص٤٢٠].
(١٠) «شَاكَهَهُ مُشَاكَهَةً وشِكَاها: شابَهَهُ وشاكَلَهُ وقارَبَهُ».
[نفسه ص١٢٤٨].

وَيَسْعَى إذَا أَبْنِي لِيَهْدِمَ صَالِحِي وَلَيْسَ الذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الهَدْمُ
يَوَدُّ لَوَ انِّي مُعْدِمٌ[1] ذُو خَصَاصَةٍ[2] وَأَكْرَهُ جُهْدِي أَنْ يُخَالِطَهُ العُدْمُ
وَيَعْتَدُّ غُنْماً فِي الحَوَادِثِ نَكْبَتِي وَمَا إِنْ لَهُ فِيهَا سَنَاءٌ[3] ولا غُنْمُ
فَما زلت في لِيني له وتعطّفي عليه كما تحنو على الولد الأمّ

وروى:

فَما زلت في رفق به وتعطّف عليه ....

وزاد ابن الأعرابي:

وخَفضٍ لَهُ منّي الجَنَاحَ تألُّفاً لِتُدْنِيَهُ مِنّي القَرَابَةُ وَالرّحِمُ
وَقَوْلِي إِذَا أَخْشَى عَلَيْهِ مُصِيبَةً أَلاَ اسْلَمْ فِدَاكَ الخَالُ ذُو العَقْدِ والعَمُّ

وروى:

وَقَوْلِي إِذَا أَخْشَى عَلَيْهِ مُلِمَّةً[4] ألا اسْلَمْ.......
وَصَبْرِي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تُرِيبُنِي وَكَظْمِي[5] عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ الكَظْمُ
لأَسْتَلَّ مِنْهُ الضِّغْنَ حَتَّى اسْتَلَلْتُهُ وَقَدْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الجِزْمُ
رَأَيتُ انْثِلاَماً[6] بَيْنَنَا فَرَقَعْتُهُ بِرِفْقِي وَإِحْيَائِي وَقَدْ يُرْقَعُ الثَّلْمُ

---

(١) «أعْدَمَ إعْدَاماً وعُدْماً، بِالضَّمْ: افتقر».
[القاموس المحيط: ١١٣٦].

(٢) «الخَصَاصُ والخَصَاصَةُ والخَصَاصَاءُ، بفتحهنّ: الفَقْرُ».
[نفسه ص٦١٨].

(٣) «السَّنَاءُ، بالمَدِّ: الرِّفْعَةُ».
[نفسه ص١٢٩٦].

(٤) «المُلِمَّةُ: النَّازِلَةُ مِن نوازل الدُّنيا».
[مختار الصّحاح: ٢٥٢].

(٥) «كَظَمَ غَيْظَهُ: اجترعه وبَابُه ضَرَب فهو رَجُلٌ كَظِيمٌ والغَيْظُ مكظُومٌ».
[نفسه ص٢٣٨].

(٦) «ثَلَمَ الإناءَ والسَّيفَ ونَحوه، كضَربَ وفَرِحَ، وثَلَّمَهُ فانْثَلَمَ وتَثَلَّمَ: كَسَرَ حَرْفَهُ فانْكسر».
[القاموس المحيط: ١٠٨٤].

وَأَبْرَأْتُ غِلَّ[١] الصَّدْرِ مِنْهُ تَوَسُّعاً ... بِحِلْمِي كَمَا يُشْفَى بِالأَدْوِيَةِ الكَلْمُ[٢]

وزاد ابن الأعرابي:

فَدَاوَيْتُهُ حَتَّى ارْفَأَنَّ[٣] نِفَارُهُ ... فَعُدْنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا صَرْمُ[٤]

وَأَطْفَأَ نَارَ الحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... فَأَصْبَحَ بَعْدَ الحَرْبِ وَهْوَ لَنَا سَلْمُ

وروى: فأطفأت نار الحرب. فقيل له: يا أمير المؤمنين، من قائل هذه الأبيات؟ قال: مَعنُ بن أوس المزني.

[نفسه ص٣٦٠ ـ ٣٦١].

* * *

خَبر عزّة كُثَيِّر مع عبدالملك بن مروان

حدّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدّثني أبي عِكرمة الضّبّي، قال: قال العُتبي: دخلت عزّة علي عبدالملك بن مروان فقال لها: يا عَزَّة، أَنت عَزّة كُثيِّر؟ فقالت: أنا أُمّ بكر الضَّمريّة، فقال لها: أتروين قَول كُثيِّر:

وَقَدْ زَعَمَتْ أَنِّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا ... وَمَنْ ذَا الذِي يَا عَزُّ لاَ يَتَغَيَّرُ

تغيَّر جسمي والخَلِيفة كالّتي ... عهدت ولم يُخبر بِسرّك مُخبرُ

---

(١) «الغَلِيلُ: الحِقْدُ، كالغِلّ، بِالكسرِ، والضِّغْنُ، وقد غَلَّ صدرُهُ يَغِلُّ».

[نفسه ص١٠٣٩].

(٢) «الكَلْمُ: الجَرْحُ، الجمع: كُلومٌ وكِلامٌ».

[نفسه ص١١٥٥].

(٣) «أرْفَأَنَّ ارفِئْنَاناً: نَفَرَ ثُمَّ سَكَنَ، وضَعُفَ، واسترخى».

[القاموس المحيط: ١٢٠١].

(٤) «صَرَمَهُ يَصْرِمُهُ صَرْماً، ويُضَمُّ: قَطعه بائِناً».

[نفسه ص١١٢٩].

فقالت: لا أروي هذا، ولكن أروي قوله:

كَأنّي أُنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ ... مِنَ الصُّمِّ[١] لَوْ تَمْشِي بِهَا العُصْمُ[٢] زَلَّتِ
صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إلاّ بَخِيلَةً ... فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الوَصْلَ مَلَّتِ

[نفسه ص٣٦٥].

* * *

وصف الحجّاج لنفسه

وحدّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا العكلي، عن أبيه، قال: سأل عبدالملك الحَجَّاج عن عيبه فَتلكَّأ[٣] عليه، فأبَى إلاّ أن يُخبره، فقال: أنا حَدِيدٌ حَسُودٌ حَقُودٌ لَجُوجٌ[٤] ذُو قَسوة، فبلغ هذا الكلام خالد بن صفوان فقال: لقد انْتَحلَ[٥] الشَرَّ بِحَذَافِرِه[٦]، والمُروق[٧] من جَميع الخَير بِزَوْبَرِه[٨].

(١) «الصَّمَّاءُ: الأرضُ الغَليظةُ، الجمع: صُمٌّ».
[القاموس المحيط: ١١٣٠].
(٢) «الأَعْصَمُ مِنَ الظِّبَاء والوُعُولِ: ما في ذِرَاعَيهِ أو في أحدهما بَياض وسَائِره أسوَدُ أو أحمرُ، وهي عَصْمَاءُ».
[نفسه ص١١٣٨].
(٣) «تلَكَّأَ عليهِ: اعْتَلَّ، وعنه: أَبْطَأ».
[القاموس المحيط: ٥٢].
(٤) مُتمادي في الخُصُومة.
(٥) «انْتَحَلَهُ وتَنَحَّلَهُ: ادَّعَاهُ لنفسه وهو لِغيره».
[القاموس المحيط: ١٠٦١].
(٦) «أَخَذَهُ بِحُذْفُورِهِ وبِحِذْفَارِهِ وبِحَذَافِيرِهِ: بِأَسْرِهِ، أو بِجوانبه، أو بأعاليه».
[نفسه ص٣٨٤].
(٧) «مَرَقَ السَّهْمُ مِن الرَّمِيةِ مُرُوقاً: خَرَج مِن الجَانب الآخر».
[نفسه ص٩٢٣].
(٨) «أَخَذَهُ بِزَوْبَرِهِ وَزَأْبِرِهِ وزَبِرِهِ وزَبَوْبَرِه أي: أجمع».
[نفسه ص٣٩٨].

ولقد تأنّق[١] في ذمّ نفسه، وتَجوّد في الدَّلالة على لؤم طبعه، وفي إقامة البُرهان على إفراط كُفره، والخُروج مِن كَنَفِ رَبّه، وشِدّة المُشاكلة لِشيطانه الذي أغواه.

[نفسه ص٣٦٨].

❋ ❋ ❋

لسان الفتى نِصْفٌ ونِصف فُؤاده

كَتب عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ إلى أبي موسى: أمّا بعد، فتفقَّهُوا في السُّنّة، وتَعلّموا العَربيّة.

ورُوي عنه رحمه الله أنّه قال: رَحِم الله امرَأً أصلح مِنْ لِسانه.

وقال عليّ بن محمّد العلوي:

رَأَيتُ لِسَانَ المَرْءِ رَائِدَ عَقْلِهِ ... وَعُنْوَانُهُ فَانْظُرْ بِمَاذَا تُعَنْوِنُ

وَلاَ تَعْدُ إِصْلاَحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ ... يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ ويُبَيِّنُ

ويُعْجِبُنِي زِيُّ الفَتَى وجَمَالُهُ ... فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنَيَّ سَاعَةَ يَلْحَنُ[٢]

كان عبدالله بن عمر يضرب ولده على اللَّحن.

قال شعبة: مثل الذي يتعلّم الحدِيث، ولا يتعلّم النّحو مثل البُرْنس لا رأس له.

قال المأمون لأحد أولاده ـ وقد سَمِع منه لَحْناً ـ: ما على أحدكم أَنْ

(١) «شَيْءٌ أَنِيقٌ، كأمير: حَسَنٌ مُعجِبٌ، ولهُ أَنَاقَةٌ، ويُكسر. وأَنَّق تَأْنِيقاً: عَجَّبَ».
[القاموس المحيط: ٨٦٥].

(٢) «اللَّحْنُ: الخَطأُ في الإعْرَاب وبَابُهُ قَطع. ويقال: فُلانٌ لَحَّانٌ ولَحَّانَةٌ أيضاً أي يُخْطِيءُ».
[مختار الصِّحاح: ٢٤٨].

يتعلّم العربيّة فيقيم بِها أَوَدَهُ[١]، ويَزين بِها مَشهده، ويَفِلَّ[٢] بها حُجج خَصْمِه بِمُسْكتات حُكمه، ويَملك مجلس سلطانه بِظاهر بيانه. أَوَيَسُرُّ أحدكم أَنْ يكون لسانه كلسانِ عبده أو أَمَتَه، فلا يزال الدَّهر أسير كلمته، قاتل الله الذِي يقول:

أَلَـمْ تَـرَ مِـفْـتَـاحَ الـفُـؤَادِ لِـسَـانَـهُ ... إِذَا هُـوَ أَبْـدَى مَـا يَـقُـولُ مِـنَ الـفَـمِ
وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَـادَتُـهُ أَوْ نَـقْـصُـهُ فـي الـتَّـكَـلُّـمِ
لِـسَـانُ الـفَـتَـى نِـصْـفٌ وَنِـصْـفٌ فُـؤَادُهُ ... فَـلَـمْ يَـبْـقَ إِلاَّ صُـورَةُ الـلَّـحْـمِ والـدَّمِ

وقال الخليل بن أحمد:

لاَ يَكُـونُ الـسَّـرِيُّ[٣] مِـثْـلَ الـدَّنِـيِّ[٤] ... لاَ وَلاَ ذُو الـذَّكَـاءِ مِـثْـلَ الـغَـبِـيّ
لا يَكُونُ الأَلَدُّ[٥] ذُو المِقْوَلِ[٦] المُر ... هَفِ[٧] عِنْدَ القِيَاسِ مِثْلَ العَيِيِّ[٨]

---

(١) «أَوِدَ الشَّيءُ اعْوَجّ وبَابُهُ طَرِبَ، وتَأَوَّدَ تَعوَّجَ».
[نفسه ص١٣].

(٢) «فَلَّ الجَيْشَ: هَزَمَهُ وبَابُه رَدَّ يُقال: فَلَّهُ فانْفَلَّ أي كسره فانْكَسَرَ».
[مختار الصّحاح: ٢١٤].

(٣) «السَّرْوُ: المُرُوءَةُ في شَرَفٍ سَرُوَ، ككَرُمَ وَدَعَا ورَضِيَ، سَرَاوَةً وسَرْواً وسَراً وسَرَاءً، فَهو سَرِيٌّ الجمع: أَسْرِيَاءُ وسُرَوَاءُ وسُرًى».
[القاموس المحيط: ١٢٩٥].

(٤) «الدَّنِيُّ: السّاقِطُ الضَّعِيف».
[نفسه ص١٢٨٣].

(٥) «الأَلَدُّ: الخَصْمُ الشَّحِيحُ الذي لاَ يزيغُ إِلى الحَقِّ، كالأَلَنْدَدِ واليَلَنْدَدِ، الجمع: لُدٌّ ولِدَادٌ».
[القاموس المحيط: ٣١٧].

(٦) «المِقْوَلُ، كمِنْبَرٍ: اللِّسَانُ».
[نفسه ص١٠٥١].

(٧) «أَرْهَفَ سَيْفَهُ: رَقَّقَهُ فَهو مُرْهَفٌ».
[مختار الصّحاح: ١٠٩].

(٨) «العِيُّ: ضِدُّ البَيَانِ. وقَدْ عَيّ في مَنطقه فَهو عَيٌّ على فَعْلٍ. وعَيِيَ يَعْيَا بِوزن رَضِيَ يَرْضَى فهو عَيِيٌّ على فعِيل».
[نفسه ص١٩٥].

أيُّ شَيْءٍ مِنَ اللِّبَاسِ عَلَى ذِي السَّرْ وِ أَبْهَى مِنَ اللِّسان البَهِيِّ
يَنْظِمُ الحُجَّةَ السَّنِيَّةَ[(١)] في السِّلْـ ـكِ مِنَ القَوْلِ مِثْلَ عِقْدِ الهَدِيِّ
وتَرَى اللَّحْنَ بِالحَسِيبِ[(٢)] أَخِي الهَيْـ ـأَةِ مِثْلَ الصَّدَا عَلَى المَشْرَفِيِّ[(٣)]
فاطْلُبِ النَّحْوَ للحِجَاجِ[(٤)] وللشِّعْـ ـرِ مُقِيماً والمُسْنَدِ المَرْوِيِّ
والخِطَابِ البَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الـ ـقَوْلِ تُزْهَى[(٥)] بِمِثْلِهِ في النَّدِيِّ[(٦)]
وارْفُضِ القَوْلَ مِنْ طَغَامٍ[(٧)] جَفَوْا عَنْـ ـهُ فَقَادُوا بَغْضَهُ لِلنَّسِيِّ
قِيمَةُ المَرْءِ كُلُّ مَا يُحْسِنُ المَرْ ءُ قَضَاءً مِنَ الإمَامِ عَلِيِّ

قال ثعلب: سمعت محمد بن سَلاّم يقول: ما أحدث النّاس مروءة أفضل مِن طلب النّحو.

قال عبدالله بن المبارك: اللّحن في الكلام أقبحُ مِن الجدريّ في الوَجه.

---

(١) «السَّنِيُّ: الرَّفِيعُ وأَسْنَاهُ رَفَعَهُ».
[مختار الصّحاح: ١٣٤].

(٢) «الحَسَبُ: مَا يَعُدُّهُ الإنسانُ مِنْ مفاخِرِ آبائه وقِيلَ: حَسَبُهُ دِينُهُ وقِيلَ: مالُهُ، والرَّجلُ حَسِيبٌ».
[نفسه ص٥٧].

(٣) «المَشْرَفِيَّةُ: سُيُوفٌ مَنْسُوبَة إلى مَشَارِفَ. وهي قُرًى مِن أرضِ العَرَبِ تَدْنُو مِن الرِّيف».
[نفسه ص١٤١].

(٤) «الحُجَّةُ: البُرْهَانُ وحَاجَّهُ فَحَجَّهُ مِن بَاب رَدَّ أي غَلَبَهُ بِالحُجَّةِ».
[مختار الصّحاح: ٥٢].

(٥) «زَهَا يَزْهُو زَهْواً أي تَكَبَّر».
[نفسه ص١١٧].

(٦) «النَّدِيُّ على فَعِيلٍ: مَجْلِسُ القَوْمِ ومُتَحَدَّثُهُم وكَذا النَّدْوَةُ والنَّادِي والمُنْتَدَى».
[مُختار الصّحاح: ٢٧٢].

(٧) «الطَّغَامُ: أَوْغَادُ النَّاسِ. الوَاحِدُ والجمعُ فِيهِ سَوَاءٌ».
[مختار الصّحاح: ١٦٥].

وقال عبدالملك: اللَّحن هُجْنَة[1] للشَّريف. قال ابن شُبرمة: إذا سرَّكَ أَن تَعظم في عين مَن كُنت في عينه صَغِيراً، ويصغر في عينك مَن كان فِيها كَبِيراً فتعلّم العربية، فإنّها تُجرّيك وتُدنيك مِن السُّلطان.

قال الشاعر:

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ[2] وَالمَرْءُ تُكْرِمُهُ إذَا لَمْ يَلْحَنِ
والنَّحْوُ مِثْلُ المِلْحِ إنْ أَلْقَيْتَهُ فِي كُلِّ ضِدٍّ مِن طَعَامِكَ يَحْسُنِ
وإِذَا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ

رأى أبو الأسود الدُّؤَلي أعدالاً[3] للتُّجار مكتوباً عليها: لأبو فلان!! فَقال: سبحان الله! يلحنون ويربحون.

قال رجل للحسن البصريّ: يا أبو سعيد! فَقال: كسب الدَّوانيق شغلك أن تقول: يا أبا سعيد.

مرَّ خالد بن صفوان بقوم مِنَ الموالي يتكلّمون في العربيّة، فَقال: لئن تَكلّمتم فيها لأنتم أوّل من أفسدها.

وقالوا: العربية تزيد في المُروءة.

[«بهجة المجالس وأنس المجالس» للإمام أبي عمر القُرطبي.
تحقيق: محمد مرسي الخُولي، ج١/٦٤ ـ ٦٦].

❊ ❊ ❊

(١) «الهُجْنَةُ في النّاسِ والخَيْلِ إنَّما تكون مِن قِبل الأُمّ فإذا كانَ الأَبُ عَتِيقاً أي كَريماً والأُمّ ليست كذٰلك كَانَ الولد هَجِيناً. والإقرافُ مِن قِبل الأَبِ».
[مختار الصِّحاح: ٢٨٨].

(٢) «اللُّكْنَةُ: عُجْمَةٌ في اللّسان وعِيٌّ».
[نفسه ص٢٥١].

(٣) «العِدْلُ، بِالكسرِ: نِصْفُ الحِمْلِ، الجمع: أعدَالٌ وعُدُولٌ».
[القاموس المحيط: ١٠٣٠].

المعتصم والفتح بن خاقان

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان: أيّما أحسن، دار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فَدار أبي أحسن.

[نفسه ص١٠٧].

❋ ❋ ❋

ما كان لِيعود إِليّ وقد خرج من عِندي

قال مالك بن أنس: قدم على عمر بن عبدالعزيز فَتيان، فَقالا: إنّ أبانا تُوفي فَترك مالاً عند عَمّنا حُميد، فأمر عمر بإحضاره، فَلمّا دخل عليه، قال له عمر: يا حميد! أنت القائل:

حُـمَـيْـدُ الَّـذِي أَرَجٌ[1] دَارُهُ ... أَخُـو الـخَـمْـرِ ذُو الشَّـيْـبَـةِ الأَصْـلَـعُ
أَتَـانِـي الـمَـشِـيـبُ عَـلَـى شُـرْبِـهَـا ... وَكَـانَ كَـرِيـمـاً فَـمَـا يَـنْـزِعُ[2]

فَقال: نَعم. قال: أمّا إذ أقررت، فأنى سأجلدك؟ قال: ولم؟ قال: لأنّك أقررت بشرب الخَمر، وزعمت أنّك لم تنزع عنها. فقال: هَيهات، أين يُذهب بك؟ ألم تَسمع قول الله يَقول: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦]؟

قال عمر: أولى لك يا حُميد، لقد أَفْلَت. ثُمّ قال: وَيحك يا حُميد، كان أبوك صَالِحاً، وأَنت رجل صالح، وكان أبوك رجل سوء، وما كلّ النّاسِ يُشبه أَباه، فَقال: إذن هؤلاء يزعمون أنّ أباهم تُوفّي، وترك عندك

(١) «الأَرَجُ، محرّكة، والأَرِيجُ والأرِيجةُ: تَوَهُّجُ رِيحِ الطِّيب. أرِجَ، كفَرِحَ».
[القاموس المحيط: ١٧٩].

(٢) «نَزَعَ عن الأُمورِ: انْتهى عنها».

[نفسه ص٧٦٦].

مَالاً. قال: صدقوا، وأنا أحضره الآن. فأحضره بخواتيم أبِيهم، ثمّ قال: إنّ هؤلاء تُوفّي أبوهم منذ كذا وكذا، وأنا أنفق عليهم من مالي وهٰذا مالهم. فقال عمر: ما أحد أحقّ أن يكون عنده مِنك.

قال: ما كان لِيعود إليَّ وقد خَرج مِن عِندي.

[نفسه ص١٠٧].

❋ ❋ ❋

وصية عبدالملك بن مروان

قال عبدالملك بن مروان لبنيه: يا بَنِيَّ لو عداكم ما أنتم فِيه ما كُنتم تُعوّلون عَليه؟ فَقال الوليد: أمّا أنا ففارس حرب، وقال سُليمان: أمّا أنا فكاتب سلطان، وقال ليزيد: فأنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين! ما تركا غاية لمختار، فقال عبدالملك: فأين أنتم يا بنيَّ من التّجارة التي هي أصلكم ونسبتكم؟ فَقالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذلّ الرّغبة والرّهبة، ولا يَنجو صاحبها من الدّخولِ في جملة الدَّهاء والرَّعية، قال: فعليكم إذاً بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكاً سُدتم، وإن كُنتم أوساطاً رأستم، وإِن أعوزتكم[1] المعيشة عِشتم.

[نفسه ص١١٤].

❋ ❋ ❋

أَذَلَّ الحِرْصُ أعناقَ الرِّجَال

كان المأمون يعجبه قول أبي العتاهية:

تَعَالَى اللّهُ يَا سَلْمُ بنُ عَمْرٍو ... أَذَلَّ الحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

---

(١) «عَوِز الرَّجُلُ: افتقرَ، كَأَعْوَزَ».

[القاموس المحيط: ٥١٩].

أخذه أبو الفتح المُلقب بِكشاجم فَقال:

بالحِرْصِ فِي الرِّزْقِ يذلّ الفَتَى وَفِي القُنُوعِ الشَّرَفُ الشَّامِخُ

قال أبو عمر: وشِعر أبي العتاهية الذي فِيه هذا البيت الذي أعجب المأمون:

نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي تَصَرَّفُهُنَّ حَالاً بَعْدَ حَالِ
فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولاً بِنَفْسِي وَمَا لِي لاَ أَخَافُ المَوْتَ مَا لِي
لَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنِّي غَيْرُ بَاقٍ وَلَكِنِّي أَرَانِي لاَ أُبَالِي
تَعَالَى اللَّهُ يا سَلمُ بنُ عَمْرٍو أذلَّ الحِرصُ أعناق الرِّجال
هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إلَيْكَ عَفْواً أَلَيْسَ مَصِيرَ ذَاكَ إلى زَوَالِ
فَمَا تَرْجُو بِشَيْءٍ لَيْس يَبْقَى وَشِيكاً مَا تُغَيِّرُهُ اللَّيالي

قال: فَلمّا بلغَ سَلماً الخاسِرَ قول أبي العتاهية، قال:

مَا أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ يُزَهِّدُ النَّاسَ وَلاَ يَزْهَدُ
لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقاً أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْتُهُ المَسْجِدُ
إِنْ رَفَضَ الدُّنْيَا فَمَا لَهُ يَكْتَنِزُ المَالَ ويَسْتَرْفِدُ[1]
يَخَافُ أَنْ تَنْفَدَ أَرْزَاقُهُ وَالرِّزْقُ عِنْدَ اللَّهِ لاَ يَنْفَدُ
الرِّزْقُ مَقْسُومٌ عَلَى مَنْ تَرَى يَسْعَى لَهُ الأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ

[نفسه ص١٥٤ ـ ١٥٥].

* * *

(١) «الرِّفْدُ: بِكسر الرَّاءِ: العَطاء والصِّلَةُ وبفتحها المصدرُ. ورَفَدَهُ أعطاه. ورَفَدَهُ أَعَانَهُ وبابهما ضَرَبَ. والإرْفَادُ أيضاً الإعْطَاءُ والإعَانَةُ».

[مختار الصِّحاح: ١٠٥].

والله لئن جاوزت قَدري فَما بلغت قَدرك

دخل أعرابيّ على داود بن مزيد المهلّبيّ، فَقال: إنّي لم أصن وجهي عن مسألتك، فَصُنْ وجهك عن رَدّي، وضَعْنِي مِن كَرمك بحيث وضعتك من أملي فِيك. قال: قد أمرت لك بِعشرة آلاف درهم، وهي أكثر من قدرك. قال: والله لئن جَاوزت قَدري فَما بلغت قَدرك.

[نفسه ص١٧٢].

❋ ❋ ❋

صَبِّر النَّفس عند كُلِّ مُلِمٍّ

ذكر الطّحاوي قال: حدّثنا أحمد بن أبي عمران، قال: حدَّثنا أبو نصر أحمد بن حاتم، قال: حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء، قال: استعمل الحجّاج أبي على بعض أعماله فنقم عليه، فتوارى أبي عنه في بادية قَومه وأنا معه، فبينا أنا في سَحَر من الأسحار إذ مَرَّ راكب وهو يقول:

صَبِّرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ[١] إنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ المُحتَالِ
لاَ تَضِقْ فِي الأُمُورِ ذَرْعاً[٢] فَقَدْ يُكْشَفُ غَمَّاؤُهَا[٣] بِغَيْرِ احْتِيَالِ
رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـ ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ[٤]

(١) «أَلَمَّ بِهِ: نَزَلَ، كَلَمٌ والتَمَّ».

[القاموس المحيط: ١١٥٩].

(٢) «ضَاقَ بِهِ ذَرْعاً: ضَعُفَتْ طاقته ولم يَجِد مِن المكروه فِيه مَخْلَصاً».

[نفسه ص٧١٧].

(٣) «الغَمَّاءُ والغُمَى، كُرُبًى: الدَّاهية».

[نفسه ص١١٤٣].

(٤) «عَقَلَ البَعِيرَ مِن باب ضَرَب أي ثَنَى وَظِيفَهُ مَعَ ذِرَاعِهِ فَشدّهما في وسط الذِّراع. وذلك الحبل هو العِقَالُ والجمعُ عُقُلٌ».

[مختار الصِّحاح: ١٨٨].

قال: فقلت: ما ذاك؟ قال: مات الحجّاج. فوالله ما أدري بأيّهما كنت أشدّ فرحاً، أبقوله: مات الحَجّاج، أم بقوله: فَرجة.

[نفسه ص١٨٤].

❋ ❋ ❋

هدية شمس المعالي إلى عضد الدولة

أهدى شمس المعالي إلى عضد الدّولة سبعة أقلام، وكتب إليه:

قَـدْ بَـعَـثْـنَـا إِلَـيْـكَ سَـبْـعَـةَ أَقْـلاَ ... مِ لَـهَـا فِـي الـبَـهَـاءِ حَـظٌّ عَـظِـيـمُ

مُـرْهَـفَـاتٍ[1] كَـأَنَّـهَـا أَلْـسُـنُ الـحَـيَّـا ... تِ قَـدْ جَـازَ حَـدَّهَـا الـتَّـقْـوِيـمُ

وَتَـفَـاءَلْـتُ أَنْ سَـتَـحْـوِي الأَقَـالِـيـ ... ـمَ بِـهَـا كُـلُّ وَاحِـدٍ إِقْـلِـيـمُ

[نفسه ص٢٨٨].

❋ ❋ ❋

وصية أرسطوطاليس إلى الإسكندر

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر: املك الرعيّة بالإحسان إليها تظفر بالمحبّة منها، وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء لإحسانك منه باعتسافك[2]، واعلم أنّك إنّما تملك الأبدان فتحطّها إلى القُلوب بالمعروف، واعلم أنّ الرَّعيّة إذا قدرت على أَن تقول، قدرت على أن تَفعل، فاجهد ألاّ تقول تسلم مِن أن تفعل.

[نفسه ص٣٠٦].

---

(١) «أَرْهَفَ سَيْفَهُ: رقَّقَهُ فهو مُرْهَفٌ».

[مختار الصِّحاح: ١٠٩].

(٢) «العَسْفُ: الأَخْذُ على غير الطَّريق وبَابه ضَرَبَ وكذا التَّعَسُّف والاعتساف».

[مختار الصحاح: ١٨١].

المأمون وبعض شيوخ الفُقهاء

استأذن على المأمون بعض شُيوخ الفقهاء، فأذن له، فلمّا دخل عليه رأى بين يديه رجلاً يَهوديّاً كَاتباً، كانت له عنده منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاّه من خدمته، فلمّا رآه الفَقيه ـ وقد كان المأمون أومأ إليه بِالجلوسِ ـ: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أَن أجلس، قال: نَعم، فأنشده:

إنَّ الَّذِي شُرِّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ ... يَزْعُمُ هٰذَا أَنَّهُ كَاذِبُ

وأشار إلى اليهوديّ، فخجل المأمون ووجم[1]، ثُمّ أَمر حاجبه بإخراج اليهوديّ مسحوباً على وَجهه، وأنفذ عهداً باطِّراحه وإبعاده، وألاّ يُستعان بِأحد مِن أهل الذِّمَّةِ في شيء مِن أعماله.

[نفسه ص٣٥٩].

❋ ❋ ❋

من عَفْوِ الأمراء

قال سعيد بن المسيّب: لأن يُخطىء الإمام في العفو خَير مِن أن يُخطىء في العُقوبة.

قال جعفر بن محمد: لأن أندم على العفو خير مِن أن أندم على العُقوبة.

طلب عبدالملك بن مروان رجلاً فأعجزه ثُمّ ظفر به، فقال رجاء بن حَيوة: يا أمير المؤمنين! قد صنع الله ما أحببت من ظفرك بِه، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه.

---

(١) «الوَجِمُ، ككتف وصَاحِب العَبُوس المُطرِقُ لِشدَّة الحُزن. وَجَمَ، كَوَعَدَ، وَجْماً وَوُجوماً: سكت على غَيْظٍ».

[القاموس المحيط: ١١٦٦].

قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشّام، وقد أجلبوا[1] عليه وخالفوه مع عبدالله بن علي: الانتقام عَدل، والتَّجاوز فَضْلٌ، ونحن نُعيذ أمير المؤمنين بِالله أن يَرضى لنفسه بِأوكس[2] النَّصيبين، ولا يبلغ أرفع الدَّرجتين.

كان يُقال: أولى النّاس بِالعفو أقدرهم على العُقوبة، وأنقص النّاس عقلاً من ظلم من هو دُونه.

قال المهلّب بن أبي صفرة: خَير مناقب الملوك العَفوُ.

قال المأمون: وددت أنّ أهل الجرائم عرفوا رأيي في العَفو، فسلمت لي صدورهم.

قال معاوية رحمه الله: ما وجدتُ شَيئاً ألذَّ عندي مِن غَيظ أتجرّعه، ولم يعرف قيمة الأُبّهة من لم يجرّعه غُصص الغَيظ.

اعتذر رجل إلى الهادي فَقال: يا أمير المؤمنين! إقراري بِما ذكرت يوجب عليّ ذنباً لم أجنه، وردّي عليك لا أقدم عليه لما فِيه من التّكذيب لك، ولكنّي أقول:

فإنْ كُنتَ تَرْجُو فِي العُقُوبَةِ رَاحَةً ... فَلاَ تَزْهَدَنْ عِنْدَ المُعَافَاةِ في الأَجْرِ

فَعفا عنه.

[نفسه ٣٧٠ ـ ٣٧٢].

* * *

(١) «جَلَبَ على فَرَسِهِ يَجلُبُ جَلَباً بوزن يَطْلُبُ طَلَباً: صَاحَ بِهِ مِن خَلْفِهِ واسْتَحَثَّهُ للسَّبْقِ وكَذا أجلب عليه. وأجلبوا: تَجمَّعُوا».

[مختار الصّحاح: ٤٥].

(٢) «الوَكْسُ: النَّقْصُ. وقَد وَكَسَ الشَّيء مِن بَاب وَعَدَ».

[نفسه ص٣٠٥].

الإعجاب بالرَّأي

قال بعض الحكماء: حَقيق أن يُوكّل إلى نفسه، من أُعجب بِرأيه.

قال عبدالملك: اللَّحن هُجنة الشَّريف، والعُجب آفة الرَّأي.

قال قُتيبة بن مسلم: مَن أُعجب بِرأيه، لم يُسَاور كفياً، ولم يُوَاتِ نَصِيحاً.

قال بزرجمهر: أَفره[1] الدَّواب لا غنى به عن السَّوط، وأعفّ النّساء لا غنى بها عن الزّواج، وأعقل الرِّجال لا غنى بِه عن المشُورة.

قال قُتيبة بن مسلم: الخَطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفُرقة، وإن كانت الجماعة لا تُخطىء، والفرقة لا تصيب.

قال المأمون: ثلاث لا يعدم المرء الرُّشد فِيهنّ: مسَاورة ناصح، ومداراة حاسد، والتَّحبُّب إلى النّاس.

[نفسه ص٤٥٥].

❋ ❋ ❋

وصية أبي الأغرّ لابنه

بلغ أبا الأَغَرّ أنّ أصحابه وقع بينهم شَرٌّ، فوجه ابنه الأغرّ، وقال له: يا بُنيّ كُنْ يَداً لأصحابك على مَن قاتلهم، وإيّاك والسَّيف، فإنّه ظلّ الموت، واتّق الرُّمح، فإنّه رسالة المنيّة، ولا تقرّب السهام، فإنّها رسل لا تؤامر من يرسلها، قال: فَبِمَ أقاتل؟ قال: بِما قال الشاعر:

جَلاميد أملاء الأكفّ كَأنّها ... رُؤوس الرِّجال حُلّقت بِالمواسمِ

---

(١) «الفَارِهُ مِن النّاسِ: المليحُ الحَسَنُ ومِن الدَّوَاب الجَيِّدُ السَّيرِ».

[مختار الصِّحاح: ٢١٠].

وهٰذا الشّعر هو:

تُغَطِّي نُمَيْرٌ بِالعَمَائِمِ لُؤْمَهَا ... وَكَيْفَ يُغَطِّي اللُّؤْمَ طَيُّ العَمائِمِ
فَإِنْ تَضْرِبُونَا بِالسِّيَاطِ فإنَّنَا ... ضَرَبْنَاكُمْ بِالمُرْهَفَاتِ الصَّوارِمِ[1]
وَإِنْ تَحْلِقُوا مِنَّا الرُّؤُوسَ فإنَّنَا ... حَلَقْنَا رُؤُوساً بِاللِّحَى[2] وَالغَلاَصِمِ[3]
وَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السِّلاحَ فَعِنْدَنَا ... سِلاَحٌ لَنَا لاَ يُشْتَرَى بِالدَّرَاهِمِ
جَلاَمِيدُ[4] أَمْلاَءُ الأَكُفِّ كأنَّها ... رُؤوسُ رِجَالٍ حُلِّقَتْ بِالمَوَاسِمِ

ومِن أحسن ما قيل في الصَّبر على الحرب قول نهشل بن حرّى بن ضَمرة:

وَيَوْم كَأَنَّ المُصْطَلِينَ[5] بِحَرِّهِ ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قِيَامٌ عَلَى الجَمْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَقَضَّى وَإِنَّما ... تُفَرَّجُ أَيَّامُ الكَرِيهَةِ[6] بِالصَّبْرِ

ومثله قول الآخر:

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى المَوْتَ مُوقِناً ... مُطِلاً كَإِطْلاَلِ السَّحَابِ إِذَا اكْفَهَرْ[7]
فَقُلْتُ لَهُ: لاَ تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّما ... يَكُونُ غَداً حُسْنُ الثَّنَاءِ لِمَنْ صَبَرْ

---

(١) «صَرَمَ الشَّيء: قَطَعه. والصَّارِمُ: السَّيْفُ القاطِعُ».
[مختار الصِّحاح: ١٥٢].
(٢) جمع لِحية.
(٣) «الغَلْصُومُ: رأسُ الحُلقُومِ وهو الموضعُ النَّاتِىءُ في الحَلقِ».
[نفسه ص٢٠٠].
(٤) «الجَلْمَدُ: الصَّخرُ، كَالجُلْمودِ».
[القاموس المحيط: ٢٧٤].
(٥) «اصْطلَى: اسْتَدْفَأَ».
[القاموس المحيط: ١٣٠٣].
(٦) «الكَرِيهَةُ: الحَرْبُ، أو الشّدَّةُ في الحرب، والنَّازِلَةُ».
[نفسه ص١٢٥٢].
(٧) «المُكْفَهِرُّ، كَمُطْمَئِنٌ: السَّحَابُ الغَلِيظُ الأَسْوَدُ، وكُلُّ مُتَراكِب».
[مختار الصِّحاح: ٤٧١].

فَمَا أَخَّرَ الإخجَامُ[1] يَوْماً مُقَدَّماً ... وَلاَ عَجَّلَ الإِقْدَامُ مَا أَخَّرَ القَدَرْ

[نفسه ص٤٧٠ ـ ٤٧١].

* * *

مدح عمر بن عبدالعَزيز

من عُيون ما قِيل في المدح نظماً، قَول حسّان بن ثابت في بني جَفنة:

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهِرُّ[2] كِلاَبُهُمْ ... لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ[3] المُقْبِلِ

بِيضُ الوُجُوه أَعِفَّةٌ أَحْسَابُهُمْ ... شُمُّ[4] الأُنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ

قال جبلة بن الأيهم لحسان بن ثابت: أين أنا مِن النُّعمان؟ فَقال: والله لشمالك أندى من يَمينه، وقفاك أحسن من وجهه، ولأمّك أكرم مِن أَبيه.

وقول الأعرابي في عمر بن عبدالعزيز كأنّه مأخوذ من قول حسّان هٰذا، وذٰلك قوله حين دخل عليه، وهو خَليفة، فَقال:

وَأَنْتَ الذِي كِلْتَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ ... شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَا

بَلَغْتَ مَدَى الجَارِينَ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا ... وَلَمْ يَبْلُغِ الجَارُونَ بَعْدُ مَدَاكَا

فَجَدَّاكَ لاَ جَدَّيْنِ أَكْرَمَ منهما ... هُنَاكَ تنَاهَى المَجْدُ ثُمَّ هُنَاكَا

[نفسه ص٥٠٢].

---

(١) «أَخجَمَ عنه: كَفَّ، أَوْ نَكَصَ هَيْبَةً».

[القاموس المحيط: ١٠٩١].

(٢) «هَرَّ الكَلبُ يَهِرُّ هَرِيراً، وهو صوتُه دُون نُبَاحِهِ مِن قِلّةِ صَبْرِهِ على البَرْدِ».

[القاموس المحيط: ٤٩٧].

(٣) «السَّوَادُ: الشَّخص».

[نفسه ص٢٩٠].

(٤) «الشَّمَمُ: ارتفاعٌ في قَصَبَةِ الأنفِ مَعَ استواءِ أعلاه ورجلٌ أَشَمُّ الأنف».

[مختار الصّحاح: ١٤٦].

ثناء عمرو بن زياد العتكيّ على الحجّاج بن يُوسف

أثنى عمرو بن زياد العتكيّ على الحَجَّاج بن يوسف عند عبدالملك بن مروان فَقال: يا أمير المؤمنين! هو سيفك الذي لا يَنْبو[١]، وسهمك الذي لا يطيش، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم، وكان الحجّاج يُقصيه فلمّا قال ذٰلك أدناه.

[نفسه ص٥٠٨].

❊ ❊ ❊

أتانا بنو الأملاك

قال أبو جعفر محمد بن مناذر:

أَتَـانَـا بَـنُـو الأَمْـلاَكِ مِـنْ آلِ بَـرْمَـكٍ ... فَيَا طِيبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنْظَرِ

لَهُمْ رِحْلَةٌ في كُلِّ عَامٍ إلى العِدَى ... وَأُخْرَى إلى البَيْتِ الحَرَامِ المُسَتَّرِ

إذَا نَـزَلُـوا بَـطْـحَـاءَ مَـكَّـةَ أَشْـرَقَـتْ ... بِيَحْيَى وَبِالفَضْلِ بنِ يَحْيَى وجَعْفَرِ

فَتُظْلِمُ بَغْدَادٌ وَيَجْلُو[٢] لَنَا الدُّجَى[٣] ... بِـمَـكَّـةَ مَـا حَـجُّـوا ثَـلاَثَـةُ أَقْـمُـرِ

فَـمَـا خُـلِـقَـتْ إلاّ لِـجُـودٍ أَكُـفُّـهُـمْ ... وَأَقْـدَامُـهُـمْ إلاَّ لأَعْـوَادِ مِـنْـبَـرِ

إذَا رَاضَ[٤] يَحْيَى الأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ ... وَنَـاهِـيـكَ مِـنْ رَاعٍ لَـهُ ومُـدَبِّـرِ

---

(١) «نَبَا السَّيْفُ إذا لم يَعمل في الضَّريبة».

[مختار الصِّحاح: ٢٦٩].

(٢) «جَلاَ الهَمَّ عنه: أذهبه، وفُلاَناً الأَمْرُ: كَشَفَهُ عنه، كجَلاَّهُ، وجَلَّى عنه، وقد انْجَلَى، وتَجلَّى».

[القاموس المحيط: ١٢٧١].

(٣) «الدُّجْيَةُ: الظُّلمة. الجمع: دُجَى».

[نفسه ص١٢٨٢].

(٤) «رَاضَ المُهَرَ رِيَاضاً ورِيَاضَةً: ذَلَّلَهُ، فَهو رَائِض، مِن رَاضَةٍ ورُوَّاضٍ».

[القاموس المحيط: ٦٤٤].

تَـرَى الـنَّـاسَ إِجْـلاَلاً لَـهُـم وكَـأَنّـهـم غَـرَانِيقُ[١] مَاءٍ تـحت بازٍ مَصُرْصَرِ[٢]

[نفسه ص٥١٢ ـ ٥١٣].

❋ ❋ ❋

محمّد بن القاسم قاد الجُيوش وهو ابن سبع عشرة سنة

قال أبو اليقظان: ولّى الحَجّاج محمد بن القاسم بن محمّد بن القاسم بن محمد بن الحكم الثّقفي، قتال الأكراد فأبادهم، ثُمّ ولاّه السِّند والهند، وقاد الجُيوش وهو ابن سبع عشرة سنة، فقال فيه الشاعر:

إنَّ الـسَّـمَـاحَـةَ وَالـمُـرُوءَةَ وَالـنَّـدَى لِـمُـحَـمَّـدِ بـنِ الـقَـاسِـم بـنِ مُـحَـمَّـدِ

قَـادَ الـجُـيُـوشَ لِـسَـبْـعَ عَـشْـرَةَ حـجَّـةً يَـا قُـرْبَ سَـوْرَةِ[٣] سُـؤْدُدٍ مِـنْ مَـوْلِـدِ

قال أبو اليَقظان: وهو الذي جَعل شيراز معسكراً ومنزلاً لولاة فارس.

[نفسه ص٥١٥].

❋ ❋ ❋

ما تنقم مِن أميرك؟

قيل لأعرابيّ: ما تنقم مِن أميرك؟ قال: يقضي بِالعَشْوةِ[٤]، ويأكل

(١) «الغُرْنُوقُ، كزُنْبُورٍ وفِرْدَوْسٍ: طائِرٌ مَائيٌّ أسودُ، وقِيل: أبيضُ، كالغُرْنَيْقِ، بِالضَّمّ، أو الغُرْنُوقُ والغُرْنَيْقُ: الكُرْكِيُّ، أو طائِرٌ يُشْبِهه».

[القاموس المحيط ص٩١٤].

(٢) «صَرَّ، كَفَرَّ، يَصِرُّ صَرًّا وصَرِيراً: صَوَّتَ وصَاحَ شَدِيداً، كصَرْصَر».

[نفسه ص٤٢٣].

(٣) «سَوْرَةُ الخَمرِ وغيرها: حِدَّتُها، كسُوَارِهَا».

[القاموس المحيط: ٤١١].

(٤) «العشوة: ركوب الأمر عَلى غَير بَيَانٍ، ويُثَلَّث».

[القاموس المحيط: ١٣١١].

الرِّشوة، ويُطيل النَّشوة(١).

[نفسه ص٥١٨].

❋ ❋ ❋

وصيّة عمر بن عبدالعزيز إلى بعض عمّاله

كتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى بعض عُمّاله: أمّا بعد، فإنَّ العَقل المُفْرَدَ لا يُقوى بِه على أَمر العامّة، ولا يُكتفى بِه في أمر الخاصَّة، فَأَخْيِي عَقْلَك بِعلم العلماء والأَشراف من أهل التَّجارب والمروءات، والسَّلام.

[نفسه ص٥٣٤].

❋ ❋ ❋

تشاءم بعض أمراء خُراسان

كَان بعض أمراء خُراسان يتشاءم بالحُول. فَمتى رأى أحول ضَربه بِالسِّياط، ورُبّما ضرب بعضهم خمسمائة سوط، وحَدَث أنّه ركب في بعض الأَيَّام، فَرأى أحول فأمر بِضربه، وكان الأحول جَلداً، فَلمّا فَرغ من ضَربه، قال له: أيّها الأمير! أصلحك الله، لِمَ ضربتني؟ قال: لأنّي أتشاءم بالحُول. قال: فأيّنا أشدّ شُؤماً على صاحبه، أنت رأيتني ولم يصبك إلاّ خير، وأنا رأيتك فضربتني خَمسمائة سوط، فأنت إذاً أشدّ شُؤماً. فاسْتَحْيَا مِنه ولم يضرب بعده أحداً.

[نفسه ص٥٥٧].

---

(١) «رَجُلٌ نَشْوَانُ أي سَكْرَانُ بَيِّنُ النَّشْوَةِ بِالفتحِ. وزعمَ يُونُس أنّه سَمِع فِيه نِشْوَةٌ بِالكَسرِ. وقد انْتَشَى أي سَكِرَ».

[مُختار الصِّحاح: ٢٧٥].

الإسكندر والرّجل الأعرج

اعترض الإسكندر جَيشه يَوماً، فرأى فيهم رجلاً أعرج، فأمر بإسقاطه فضحك الأعرج. فقال له الإسكندر: ممّ ضحكك وقد أسقطتك؟ فقال: تعجّبا منك لحبّك آلة الهروب، وكراهتك آلة الوقوف، لأني معي آلة الوقوف في الحرب وتسقطني، فأمر بإثباته في خاصّته، وأسنى[1] رزقه.

[نفسه ص٥٦١].

❋ ❋ ❋

وصيّة قُتيبة بن مُسلم لِبَنيه

قال قُتيبة بن مُسلم لبنيه: لاَ تُمازحوا فَيُستخَفَّ بِكم، ولا تدخلوا الأسواق فَترقَّ أخلاقكم، ولا تبخلوا فيزدريكم[2] أكفاؤكم.

[نفسه ص٥٦٩].

❋ ❋ ❋

نصيحة إلى الأمير طاهر بن عبدالله

لمّا تُوفّي عبدالله بن طاهر صلّى عليه ابنه طاهر بن عبدالله ودفنه، وأعتق عند كُلِّ زاوية من زوايا قبره رقبة مِن غِلمانه، وفعل ذٰلك إخوته، ودفع كلّ نَجْلٍ[3] منهم إلى كلِّ غلام خمسمائة درهم، وكان عبدالله بن

---

(١) «السَّنَاءُ، بالمَدِّ: الرِّفْعَةُ. وأَسْنَاهُ: رفعه».

[القاموس المحيط: ١٢٩٧].

(٢) «الإِزْرَاءُ: التَّهَاوُنُ بِالشَّيء يُقال: أَزْرَى بِهِ إذا قَصَّر بِه، وازْدَرَاهُ أي حَقَّرَهُ».

[مختار الصِّحاح: ١١٤].

(٣) «النَّجْلُ: الوَلَدُ، والوالِدُ، ضِدٌّ».

[القاموس المحيط: ١٠٦٠].

طاهر قد خلف أربعين ولداً ذَكَراً، فَقال أبو العَمَيْثَلِ الشاعر لِمُصْعَبِ بن عبدالله وكان يختصّ بِطاهر ويُنادمه: ألا أدلّك على شَيء تفعله فتتقدّم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر؟ قال: بلى. فأنشده هٰذه الأبيات وقال: اكتب بها إلى الأمير، وهي:

يا مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ تَكُونَ خِلالُهُ[1] ... كَخِلالِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْصِتْ وَاسْمَعِ

فَلأَقْصِدَنَّكَ بِالنَّصِيحَةِ والذِي ... حَجَّ الحَجِيجُ إليهِ فاقْبَلْ أَوْ دَعِ

إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ أَنْ تَحِلَّ مَحَلَّهُ ... فِي المَجْدِ والشَرَفِ الأَشَمِّ[2] الأَرْفَعِ

فَاصْدُقْ وَعِفَّ وَبِرَّ وَارْفُقْ واتَّئِدْ[3] ... وَاحْلُمْ ودَارِ وكَافِ وَاصْبِرْ وَاشْجُعِ

وَالطُفْ وَلِنْ وَتأَنَّ وانْصُرْ وَاحْتَمِلْ ... وَاحْزَمْ وَجِدَّ وحَام واحمل وادْفَعِ

هٰذا الطَّرِيقُ إلى المكارِمِ مَهْيَعاً[4] ... فَاسْلُكْ فَقَدْ أَبْصَرْتَ قَصْدَ المَهيعِ

فاستحسن طاهر الأبيات، وقال: والله لقد أفدتني ما يَجب به شكرك، فقلّده نيسابور وأعمالها ثَلاث سنين، وأكسبه ألف ألف درهم.

[نفسه ص٦١٣ ـ ٦١٤].

* * *

ابن جريج ومعن بن زَائدة

روينا من وُجوه أنّ أبا خالد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جُرَيج فقيه مكّة رضي الله عنه، خرج إلى اليمن إلى معن بن زَائدة في دين ركبه، قال: فَلمّا نزلت عليه رحَّب بي وسهَّل، وقال: ما أقدمك هٰذه المَدَرة[5]؟ فقلت:

---

(١) خصاله.

(٢) الرّفيع.

(٣) «التُّؤَدَةُ، بفتح الهَمْزَة وسُكونها، والوَئِيدُ والتَّوْآدُ: الرَّزانَةُ».

[القاموس المحيط: ٣٣٣].

(٤) الطّريق الواسع الواضح.

(٥) «المَدَرُ: المُدُنُ، والحَضَرُ».

[القاموس المحيط: ٤٧٣].

دَين ركبني لم تَفِ بِه جائزة أمير المؤمنين، فضاق ذرعي فَلم أر له سواك، فخرجت إليك. فقال: قدمت خير مَقدم، يُقضى دينك وتنصرف محبوراً إلى وطنك. قال: فأقمت عنده شُهوراً في أحسن مَثْوَى[١] وأكرم ضيافة، فإنّي لخارج من عنده يوماً إذ رأيت النّاس يتأهبون إلى الحجّ، فأدركتني وحشة، ولم أملك العبرة، وحنّت نفسي إلى الوطن، فرجعت إليه وقد اغرورقت عيناي بِالدُّموع، فَقال لي: ما لك؟ قلت: رأيت النّاس في أهبة الحجّ والخروج إلى مكّة فذكرت أبياتاً لعمر بن أبي رَبيعة حملتني على ما تَرى.

قال: وأيّ أبيات عمر هي؟ فقلت: قَوله:

هَيْهَاتَ مِنْ أَمَةِ الوَهَّابِ مَنْزِلُنَا ... إِذَا نَزَلْنَا بِسِيفِ البَحْرِ[٢] مِنْ عَدَنِ
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ أَجْيَاداً فَلَيْسَ لَنَا ... إِلاَّ التَّذَكُّرُ أَوْ حَظٌّ مِنَ الحَزَنِ
بَلْ مَا نَسِيتُ غَدَاةَ الخَيْفِ مَوْقِفَهَا ... وَمَوْقِفِي وَكِلاَنَا ثَمّ ذُو شَجَنِ[٣]
وَقَولَهَا لِلثُّرَيَّا وَهِي بَاكِيَةٌ ... وَالدَّمْعُ مِنْهَا عَلَى الخَدَّيْنِ ذُو سَنَنِ
بِاللَّهِ قُولِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ ... مَاذَا أَرَدْتَ بِطُولِ المُكْثِ فِي اليَمَنِ
إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أو رَضِيتَ بِهَا ... فَمَا أَخَذْتَ بِتَرْكِ الحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

فقال: أتعزم على الرّحيل والرُّجوع إلى وطنك؟ قُلت: نَعم. قال: صحبتك السَّلامة، ورزقت العافِية. وخرجت مِن عنده فَما وصلت إلى موضعي حتى سبقني خمسة عشر بغلاً عليها عُصْبُ[٤] اليمن، ودراهم،

(١) «المَثْوَى: المَنْزِلُ. الجمع: المَثَاوِي».

[نفسه ص١٢٦٨].

(٢) «السِّيفُ، بِالكسر: سَاحِلُ البَحْرِ، وسَاحِلُ الوادِي، أو لِكُلّ سَاحِلٍ سِيفٌ، أو إنّما يُقال ذُلك لسِيفِ عُمَان».

[القاموس المحيط: ٨٢٢].

(٣) «الشَّجَنُ، مُحرّكة: الهَمُّ، والحَزَنُ».

[نفسه ص١٢٠٨].

(٤) «العَصْبُ: ضَرْبٌ مِنَ البُرُودِ».

[القاموس المحيط: ١١٥].

وضروب من الخير، فقضيت ديني وتَأَثَّلْتُ[١] منه كنزاً ممّا بِيدي اليوم.

[نفسه، ص٨٠٥ ـ ٨٠٧].

❋ ❋ ❋

خَبر خالد القَسريِّ مع المَنصور

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حَدّثنا عبد الأوّل بن مُريد، عن أبيه قال: حدّثني بعض موالي بني هاشم قال: قال المنصور لخالد بن عبدالله القَسريّ: إنّي لأعدّك لأمر كبِير، قال: يا أمير المؤمنين، قد أعدّ الله لك منّي قَلباً معقوداً بِنصيحتك، ويداً مبسوطة بطاعتك، وسَيْفاً مَشْحُوذاً على أعدائك.

[«الأمالي» ص٣٧٢].

❋ ❋ ❋

وصف بعض الأمراء حين عُزل عن عمله

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدّثنا أبو حاتم، عن العُتبيّ، قال: عُزل بعضُ الأمراء عن عَمَله، فقال له رجل: أصبحت والله فَاضِحاً مُتْعِباً: أمّا فَاضِحاً فَلِكُلِّ وَالٍ قَبلك بِحُسنِ سِيرتك، وأمّا مُتْعِباً فلِكُلِّ والٍ بَعدك أن يَلحقك.

[نفسه ص٣٧٧].

❋ ❋ ❋

(١) «أَثَلَ الرَّجُلُ: كَثُرَ مَالُهُ. وتأَثَّلَ: عَظُمَ، والمالَ: اكْتَسَبه».

[نفسه ص٩٦٠].

وصف صحبة السُّلطان

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: حَدَّثنا أبو حاتم، قال: قال بعض علماء الهند: صُحبة السُّلطان على ما فيها مِن العِزِّ والثَّروة عظيمة الخطار[١]، وإنَّما تُشبّه بالجبل الوَعْرِ[٢]، فيه السِّباع العادية، والثِّمار الطَّيّبة، فالارتقاء إليه شَديد، والمقام فِيه أَشدّ، وليس يتكافأ خير السُّلطان وشَرّه، لأنّ خَير السُّلطان لا يعدو مزيد الحال، وشَرّ السُّلطان يُزيل الحال ويُتلف النَّفس التي لها طُلب المَزيد، ولا خَير في الشَّيء الذي سلامته مال وَجاه، وفي نكبته الجَائِحة والتَّلف.

[نفسه ص٣٧٧].

* * *

خبر الكتنجي مع المتوكل

حدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال: حدّثنا عبدالأوّل، قال: سمعت الكتنجي، يقول: أَمْلَقْتُ[٣] حتّى لم يَبْقَ في مَنزلي إلاّ بارية، فدخلتُ إلى دار المتوكل فلم أزل مفكراً فحضرني بيتان، فأخذت قَصبة وكتبت على الحائط الذي كنت إلى جنبه:

الرِّزْقُ مَقْسُومٌ فَأَجْمِلْ[٤] في الطَّلَبْ يَأْتِي بِأَسْبَابٍ وَمِنْ غَيْرِ سَبَبْ

---

(١) «الخَطَرُ، بِالتَّحريك: الإشْرَافُ على الهلاكِ، والسَّبَقُ يُتَرَاهَنُ عليه الجمع: خِطار».
[القاموس المحيط: ٣٨٦].

(٢) «الوَعْرُ: ضِدُّ السَّهْل، كَالوَعِرِ والوَاعِرِ والوَعِيرِ والأَوْعَر».
[نفسه ص٤٩٢].

(٣) «أَمْلَقَ: افْتَقَرَ».
[القاموس المحيط: ٩٢٥].

(٤) «أَجْمَلَ في الطَّلَبِ: اتَّأَدَ واعْتَدَلَ فَلم يُفرِطْ».
[القاموس المحيط: ٩٧٩].

فَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ فَفِي اللَّهِ غِنًى اللَّهُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَبٍ حَدِبْ[١]

قال: فركب المتوكل في ذٰلك اليوم حِماراً وجعل يطوف في الحُجَر، ومعه الفتح بن خاقان، فوقف على البيتين وقال: من كتب هذين البيتين؟ وقال للفتح: اقرأ هذين البيتين، فاستحسنهما وقال: من كان في هٰذه الحُجْرَة؟ فقيل: الكتنجي، فقال: أغفلناه وأسأنا إليه، وأمر لي ببدرتين[٢].

قال أبو علي: العوام تقول: بَارية وهو خَطأ، والصَّواب باري وبوري، قال الرَّاجز:

كالخُصِّ[٣] إذَا جَلَّلَهُ البَارِيُّ[٤]

وهو بالفارسية «بُوريك» فأعرب على ما أنبأتك بِه.

[نفسه ص٣٨٢ ـ ٣٨٣].

* * *

قول الحسن بن سهل في الشّفاعة

حدَّثنا أبو بكر قال: حدّثنا عبدالأوّل، عن أبيه، قال: حضرت مجلس الحسن بن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعة، فجعل الرجل يشكرُ ويدعو

(١) «تَحَدَّب عليه: تَعَطَّفَ، كحَدِبَ، بِالكسر».
[نفسه ص٧٣].

(٢) «البَدْرُ، وبالهاءِ: كِيسٌ فِيه ألفٌ أَو عشرة آلاف دِرهم، أَو سَبعةُ آلاف دِينار».
[القاموس المحيط: ٣٤٨].

(٣) «الخُصُّ، بِالضَّمِّ: البيتُ مِن القَصَبِ، أو البيت يُسَقَّفُ بِخَشَبَةٍ كالأَزَجِ الجمع: خِصَاصٌ وخُصُوصٌ».
[القاموس المحيط: ٦١٧].

(٤) «البُورِيُّ والبُورِيَّةُ والبُورِيَاءُ والبَارِيّ والبَارِياءُ والبَارِيَّة: الحَصِيرُ المَنْسُوجُ».
[نفسه ص٣٥٤].

له، فقال الحسن: يا هٰذا، عَلامَ تشكرنا! إنّا نَرى الشَّفاعات زكاة مروءتنا، قال: وحضرته وهو يُمِلُّ كتاب شفاعة فكتب في آخره: إنّه بلغني أنّ الرَّجل يُسأل عن فضل جاهه يوم القيامة كما يُسأل عن فضل ماله.

[نفسه ص٣٨٣].

❋ ❋ ❋

أسباب السِّيادة

حدّثنا أبو بكر قال: وأخبرنا عبدالرحمن عن عمّه قال: قِيل لِعَرَابة الأوسيّ: بِمَ سُدْتَ قَومَك؟ قال: بِأربع: أَنْخَدِعُ لهم عن مالي، وأذلّ لهم في عِرضي، ولا أحقرُ صَغيرهم، ولا أحسد رَفيعهم.

وحدّثنا أبو بكر، قال: حَدّثنا الأشنانداني، عن التّوزي، عن أبي عبيدة، قال: قيل لقيس بن عاصم: بِم سُدْتَ قومك؟ قال: بِبَذْلِ القِرَى[1]، وترك المِرَا، ونَصر المولى.

[نفسه ص٤٠٩].

❋ ❋ ❋

السّيادة

وحدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا أبو حاتم سهل بن محمد السّجستاني، قال: قال عامرُ بن الظَّرب العَدْوَاني: يا مَعشر عدوان، الخيرُ ألوف عَرُوف، وإنّه لن يُفارق صاحِبه حتّى يُفارقه، وإنّي لم أكن حكيماً حتى صاحبت الحكماء، ولم أكن سَيِّدكم حتّى تَعبّدت لكم.

[نفسه ص٤٠٩].

---

(١) «قَرَى الضَّيْفَ يَقْرِيهِ قِرًى بِالكسرِ وقَرَاءً بالفتح والمَدِّ: أحسن إليه».
[مختار الصّحاح: ٢٢٣].

بين عبدالملك بن مروان وأميّة بن عبدالله بن خالد

حدّثنا أبو بكر قال: حدّثنا أبو حاتم، عن العتبي، قال: قال عبدالملك بن مروان لأميّة بن عبدالله بن خالد بن أسيد: ما لك ولحُرثان بن عمرو حيث يقول فيك:

إِذَا هَتَفَ[1] العُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ[2]

فقال: يا أمير المؤمنين، وجبَ عليه حَدٌّ فأقمته، فَقال: هَلاَّ دَرَأْتَ عنه بِالشُّبهات؟ فَقال: كان الحَدُّ أَبين، وكان رَغمُه عليّ أهون، فقال عبدالملك: يا بني أميَّة، أحسابكم أنسابكم لا تُعرّضوها للهجاء، وإيّاكم ومَا سار بِه الشّعر، فإنّه باقٍ ما بَقي الدَّهر، والله ما يَسرُّني أنّي هُجيت بِهٰذا البيت وأنّ لي ما طلعت عليه الشّمس:

يَبِيتُونَ في المَشْتَى[3] مِلاءً بُطُونُهُمْ وجَارَاتُهُمْ غَرْثَى[4] يَبِتْنَ خَمَائِصَا[5]

ومَا يبالي من مُدح بهذين البيتين ألاَّ يُمدح بِغيرهما:

---

(١) «الهَتْفُ: الصَّوْتُ. يُقال: هَتَفَتِ الحَمَامَةُ من بَابِ ضَرَبَ».

[مختار الصّحاح: ٢٨٧].

(٢) «ثَرَدَ الخُبْزَ: كَسَرَهُ مِن بَابِ نَصَرَ فَهو ثَرِيدٌ ومَثْرُودٌ. والاسمُ: الثُّرْدَةُ بوزن البُرْدَة».

[نفسه ص٣٥].

(٣) «الشّتَاءُ، ككساء، والشَّاتَاةُ: أَحَدُ أرباع الأَزْمِنَة الأولى، جمعُ شَتْوةٍ، أو هُما بِمعنى الجمع: شُتِيٌّ وأَشْتِيَةٌ، والموضع: المَشْتَا والمَشْتَاةُ، والنِّسْبَةُ: شَتْوِيٌّ، ويُحرَّك».

[القاموس المحيط: ١٢٩٨].

(٤) «غَرِثَ، كفَرِحَ: جَاعَ، فَهو غَرْثَانُ مِن غَرْثَى وغَراثَى وغِرَاثٍ، وهي غَرْثَى مِن غِرَاث».

[نفسه ص١٧٣].

(٥) «المَخْمَصَةُ: المجاعَةُ، وقَد خَمَصَهُ الجُوعُ خَمْصاً ومَخْمَصَة. وخَمِصَ البطن، مُثلَّثة المِيم: خَلا».

[نفسه ص٦١٨].

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا[1] المَالَ يُخْبِلُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا

[نفسه ص٤١٠].

❋ ❋ ❋

أحزم الملوك

حدّثنا أبو بكر رحمه الله قال: وحدّثنا عبدالرحمن، عن عمّه، قال: قال بعض الحكماء: أحزم الملوك مَن ملك جِدُّهُ هَزْلَهُ، ورأيُه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخدعه رضاه عن حَظِّه، ولا غضبه عن كَيده.

[نفسه ص٤٢٩].

❋ ❋ ❋

سؤال بعض خلفاء بني أميّة لجرير عن أشعر النّاس

قال: وحدّثنا أبو بكر، قال: حَدّثنا أبو حاتم، قال: حدّثني عمارة بن عُقيل، قال: حَدَّثني أبي - يعني عقيل بن بِلال، قال: سمعت أبي - يعني بلال بن جَرير، يَقول: سمعت جَريراً، يقول: دخلت على بعض خُلفاء بني أميّة، فَقال: ألا تُحدِّثني عنِ الشُّعراء؟ فَقلت: بَلَى، قال: فَمَنْ أشعر النّاس؟ قُلت: ابنُ العِشْرِين - يعني طرفة. قال: فمَا تقول في ابن أبي سُلمى والنّابغة؟ قلت: كانا يُنِيران الشّعر ويُسْدِيَانِهِ، قال: فَما تقول في امرىء القيس بن حُجر؟ قلت: اتَّخَذَ الخَبيث الشّعر نَعلين يطؤهما كيف شاء، قال: فما تقول في ذي الرّمّة؟ قلت: قدر من الشّعر على ما لم يقدر عليه أحد،

(١) «اسْتَخْبَلَنِي ناقَةً فأَخْبَلْتُها: اسْتَعَارنيها فأعرتها، أَو أعرتها لينتفع بلبنها ووَبرها».

[القاموس المحيط: ٩٩١].

قال: فَما تقول في الأخطل؟ قلت: ما بَاح بِما في صدره من الشِّعر حتى مات، قال: فما تقول في الفرزدق؟ قُلت: بِيده نَبْعَة الشِّعر قابضاً عليها، قال: فما أبقيت لنفسك شَيئاً! قُلت: بَلَى، والله يا أمير المؤمنين، أنا مَدينة يخرج منها ويعود إليها، ولأنَا سَبَّحتُ الشِّعر تَسبيحاً ما سَبَّحه أحدٌ قَبْلي، قال: ومَا التَّسبيح؟ قلت: نَسبت فأطرفت، وهجوت فأرذيت، ومدحت فأَسْنَيْتُ، ورملت فأغزرت، ورَجَزت فأبحرت، فأنا قُلت ضُروباً من الشِّعر لم يَقلها أَحدٌ قبلي.

قال أبو علي: كذا أملى علينا: أرذيت، وهو صحيح ومعناه أسقطت، لأنّه هاجَى في زمانه عدّة من الشُّعراء فأسقطهم غير الفَرزدق. والرَّذِيَّةُ: السَّاقِطة منَ الإبل من الهُزال أو مِنَ الإعياء.

[نفسه ص٤٢٩ ـ ٤٣٠].

❋ ❋ ❋

موعظة عمر بن عبدالعزيز في الاستعداد للموت

وحدّثنا أبو بكر رحمه الله، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن العُتبي، قال: كَتب عمر بن عبدالعزيز الوَرّاق رحمه الله إِلى أبي بكر بن حزم: إنَّ الطالبين الذين أَنجَحُوا[١]، والتُّجار الذين ربحوا، هم الذين اشتروا الباقي الذي يَدوم، بِالفاني المذموم، فاغْتَبَطوا[٢] ببيعهم، وأحمدوا عاقبة أمرهم، فالله الله، وبدنك صحيح، وقَلبك مُرِيح، قبل أن تنقضي أيّامك، ويَنزل بِك حِمَامُكَ، فإنّ العَيش الذي أنت فِيه يَتقلّص ظِلُّهُ، ويفارقه

(١) «النَّجاحُ، بِالفتح، والنُّجْحُ، بِالضَّمّ: الظَّفَرُ بالشَّيء، نَجَحَتِ الحَاجَةُ، كمنع، وأَنْجَحَتْ، وأَنْجَحَهَا اللهُ. وأَنْجَحَ زَيدٌ: صَارَ ذَا نُجحٍ».

[القاموس المحيط: ٢٤٣].

(٢) «الغِبْطَةُ، بِالكسر: حُسْنُ الحَالِ، والمَسَرَّةُ، وقَد اغْتَبَط».

[القاموس المحيط: ٦٧٩].

أهله، فالسَّعيدُ الموَفّق مَن أكل في عَاجِله قَصْداً، وقَدّم ليوم فَقره ذُخْراً، وخَرج من الدُّنيا محموداً، قد انقطع عنه علاج أمورها، وصار إلى الجَنّة وسرورها.

[نفسه ص٤٣٤].

❋ ❋ ❋

أدب الخُصومة والوفاء

حدّثنا أبو بكر، قال: حدّثنا السَّكَنُ بن سَعِيد، عن محمّد بن عَبَّاد، قال: دَخَل أعشى بني رَبيعة على عبدالملك بن مروان وعنده ابْنَاه الوليد وسُليمان، فقال له: يا أبا المُغيرة، مَا بَقي مِن شعرك؟ فَقال: والله لقد ذَهب أكثره، وأنا الذي أَقول:

وَما أَنَا فِي أَمْري وَلاَ فِي خُصُومَتِي ... بِمُهْتَضَمٍ[1] حَقِّي وَلاَ سَالِم قِرْنِي

وَلاَ مُسْلِم مَوْلاَيَ عِنْدَ جِنَايَةٍ ... وَلاَ مُظْهِرٍ عَينِي وَمَا سَمِعَتْ أُذُنِي

وَفَضّلَنِي فِي الشِّعْرِ وَالعِلْم أَنَّني ... أَقُولُ عَلَى عِلْم وَأَعْلَمُ مَا أَعْنِي

فَأَصْبَحْتُ إِذْ فَضَّلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ ... عَلَى النَّاسِ قد فَضَّلت خَيْرَ أَبٍ وابْنِ

فقال عبدالملك: مَنْ يَلُومني على حُبِّ هٰذا! وأَمر له بجائزة وقطيعة بِالعراق، فَقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الحجَّاج عليّ وَاجِد[2]، فكتب إليه بِالصَّفح عنه، وبِحُسن صلته، فأمر له الحجّاج بذلك.

[نفسه ص٥٠٨ ـ ٥٠٩].

❋ ❋ ❋

(١) «هَضَمَ فُلاَناً: ظلمه، وغَصَبَهُ، كاهْتَضَمَهُ، وتَهَضَّمه».

[القاموس المحيط: ١١٧٠].

(٢) غَاضب.

اليَقين بِالرِّزق

قال: وحدّثني أبي، قال: بَعَثَ سُليمان المهلّبيّ إلى الخَليل بن أحمد بِمائة ألف درهم وطالبه لصحبته فَردّ عليه المائة الألف وكتب إليه:

أَبلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنْهُ فِي سَعَةٍ ... وَفِي غِنًى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالِ
شُحِّي بِنَفْسِيَ أَنِّي لاَ أَرَى أَحَداً ... يَمُوتُ هُزْلاً وَلاَ يَبْقَى عَلَى حَالِ
الرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ لاَ العَجْزُ يَنْقُصُهُ ... وَلاَ يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلُ مُحْتَالِ
والفَقْرُ فِي النَّفْسِ لاَ فِي المَالِ تَعْرِفُهُ ... وَمِثْلُ ذَاكَ الغِنَى في النَّفْسِ لاَ المَالِ

قال أبو علي: والعرب تقول: حَوْلَقَ الرَّجل إذا قال: لا حول ولا قُوّة إلاَّ بِاللَّه، أنشدنا محمد بن القاسم:

فِدَاكَ مِنَ الأَقْوَامِ كُلُّ مُبَخَّلٍ ... يُحَوْلِقُ إِنْ سَالَهُ العُرْفَ[1] سائِلُ

أي يقول: لا حول ولا قُوّة إلاَّ بِالله. وقال: أحمد بن عُبيد: حَوْلَقَ الرَّجُلُ وحَوْقَلَ: إذا قال: لا حول ولا قُوَّة إلا بِالله. وبَسْمَلَ الرَّجُلُ: إذا قال: باسم الله. وقد أخذنا في البَسملة، وأنشدنا ابن الأعرابي:

لَقَدْ بَسْمَلَتْ لَيْلَى غَدَاةَ لَقِيتُهَا ... فَيَا بِأَبِي ذَاكَ الغَزَالُ المُبَسْمِلُ

وقال أبو عكرمة الضّبيّ: قَد هَيْلَلَ الرَّجل، إذا قال: لا إله إلا الله، وقد أخذنا في الهَيللة. وقال الخَليل بن أحمد: حَيْعَلَ الرَّجُل: إذا قال: حيَّ على الصَّلاة، قال الشاعر:

أَقُولُ لَهَا ودَمْعُ العَيْنِ جَارٍ ... أَلَمْ يَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ المُنَادِي

[نفسه ص٥١١ ـ ٥١٢].

***

(١) «العَارِفَةُ: المعروفُ، كالعُرْفِ، بِالضَّمِّ، الجمع: عَوَارِفُ».
[القاموس المحيط: ٨٣٦].

وصية أبي جَعفر لعمر بن عبدالعزيز

حَدّثنا أبو بكر بن دُريد، قال: حَدّثنا أحمد بن عيسى أبو بِشر العُكليّ، قال: حَدَّثني أو حُدِّثت عن أسد بن سَعيد، الشَّكُّ من أبي بكر.

قال: حدّثني أبي، عن جَدِّي، عن عُفير، قال: دخل أبو جَعفر محمد بن علي بن الحُسين على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فقال: يا أبا جَعفرٍ أَوصني! قال: أُوصِيك أَنْ تَتَّخِذَ صغِيرَ المسلمين ولداً، وأوسطهم أخاً، وكبيرهم أباً، فارْحَمْ وَلدك، وصِلْ أخاك، وبِرَّ أَبَاك، وإذا صنعت معروفاً فَربّه.

قال أبُو علي، قَوله فَرَبّهْ أي: أَدِمْهُ، يُقال: رَبَّ بِالمكانِ وأَرَبَّ، أي: أَقَامَ بِهِ وَدَامَ، قال بِشْرٌ:

أَرَبَّ عَلَى مَغَانِيهَا[1] مُلِثٌّ هَزِيمٌ[2] وَدْقُهُ[3] حتّى عَفاهَا

[نفسه ص٥٤٧].

❊ ❊ ❊

خَبر الأمير مع السَّفيه

حدّثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدَّثني أبي، قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد، قال: أخبرنا المدائني، قال: كان بِمكّة رجل سَفِيه يَجمع بين الرّجال والنّساء، فشكا ذلك أهل مكّة إلى الوالي فَغرّبه إلى عرفات، فاتَّخذها منزلاً

(١) «المَغْنَى: المنزلُ الذِي غَنِيَ بِهِ أهله ثُمّ ظَعنُوا، أو عامٌّ».

[القاموس المحيط: ١٣١٩].

(٢) «الهَزِيمُ: الرَّعْدُ، كالمُتَهَزّم».

[نفسه ص١١٦٩].

(٣) «الوَدْقُ: المَطَرُ».

[نفسه ص٩٢٧].

ودخل مكّة مُستتراً، فلقي حرفاءه من الرِّجال والنِّساء فقال: ما يمنعكم؟ قالوا: وأين بِك وأنت بِعرفات؟ قال: حِمارٌ بدرهمين وقد صِرْتُم إلى الأمن والنُّزهة، قالوا: نَشهد أنّك صادق، وكانوا يأتونه وكثر ذٰلك حتى أفسد على أهل مكّة أحداثهم وسُفاءهم وحواشيهم، فَعادوا بِالشّكاية إلى أمير مكّة، فأرسل إليه فأُتِي بِه فقال: أي عَدُوَّ الله! طردتك من حرم الله فَصرت إلى المَعشر الأعظم تُفسد فِيه وتَجمع الفُسّاق! فَقال: أصلح الله الأمير، يكذبون علي ويحسدونني، قالوا: بيننا وبينه واحدة، قال: ما هي؟ قال: تجمع حميرَ المُكَارين وترسلها بِعرفات، فإن لم تقصد إلى بَيته لما تعرفُ مِن إتيان الخُرّاب والسُّفهاء إيّاه، فالقول ما قال، فَقال الوالي: إنَّ في هٰذا لدَليلاً، وأمرَ بِحميرِ فَجمعت ثمَّ أُرسلت فَقصدت نَحو منزله فأتاه بذٰلك أُمناؤه، فقال: ما بعد هٰذا شيء: جَرِّدُوه، فَلمّا نظر إلى السِّياط، قال: لا بُدَّ مِن ضَربي، أصلح الله الأمير؟ قال: لا بُدَّ مِنه، قال: اضرب فوالله ما في هٰذا شيء أَشدّ علينا مِن أن تَسخر منّا أهل العِراق فيقولون: أهل مَكّة يُجِيزون شَهادة الحمير فضحك الأمير، وقال: والله لا أضربك اليوم وأمر بتخلية سَبِيله.

[نفسه ص٥٤٧ ـ ٥٤٨].

***

ما جرى بين يزيد والمهلّب

قال: وحدّثنا أبو بكر، قال: حَدّثنا السَّكَنُ بن سَعيد، عن محمّد بن عبّاد، قال: استعمل المهلّب يَزيد على حربِ خُرَاسانَ، واستعمل المُغيرة على خراجها، ولم يولِّ البَختريّ بن المغيرة بن أبي صُفرة، فكتب إليه:

اقْرَ السَّلامَ عَلَى الأَمِيرِ وقُل لَهُ ... إنَّ المَقَامَ عَلَى الهَوَانِ بَلاءُ
أَصِلُ الغُدُوَّ إلَى الرَّواحِ وإنَّما ... أُذُنِي وأُذُنُ الأَبْعَدِينَ سَوَاءُ
أُجْفَى وَيُدْعَى مَنْ وَرَائِي جَالِساً ... مَا بِالكَرَامَةِ وَالهَوَانِ خَفَاءُ

فَوجد عليه المهلّب وألزمه منزله، فكتب إليه:

جَفَانِي الأَمِيرُ وَالمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا ... وَأَمْسَى يَزِيدُ لِي قَد ازْوَرَّ[1] جَانِبُهْ
وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شِبْعاً لِبَطْنِهِ ... وَشِبْعُ الفَتَى لُؤْمٌ إذَا جَاعَ صَاحِبُهْ
فَيَا عَمِّ مَهْلاً واتَّخِذْنِي لِنَوْبَةٍ ... تُلِمُّ[2] فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ[3] نَوائِبُهْ
أَنَا السَّيْفُ إلاَّ أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً ... وَمِثْلِيَ لا تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهْ

[نفسه ٥٥١ ـ ٥٥٢].

❋ ❋ ❋

المُهلّب والخَوارج

قال أبو علي: حدّثنا أبو بكر قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: أخبرنا أبو عبيدة، قال: لمّا بعث خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد أخاه عبدالعزيز لقتال الأزارقة، قام إليه عَزْهَم أخو بني العَدَوِيَّة، فقال: أصلح الله الأمير، إنَّ هٰذا الحيّ من تميم تَئِطُّ بِقريش منهم رَحِمٌ داسَّةٌ مَاسَّةٌ، وإنّ الأزارقة ذؤبان العرب وسِباعها، وليس صَاحبهم إلاّ المباكر المُناكر المُحَرَّب المُجَرّب، الذي أرضعته الحربُ بِلبانها، وجرَّسته وضرَّسته، وذٰلك أخو الأزرد المهلّب بن أبي صُفرة، والله إنَّ غَثَّك أحبّ إلينا مِن سَمِينه، ولكنّي أخاف عدوات الدّهر وغَدره، وليس المُجرِّب كمن لا يُعلم، ولا النّاصح المُشفق كالغَاشّ المُتَّهم. قال له خالد: اسْكُت ما أنت وَذا؟ فلمّا هزمت الأزارقة عبدَالعزيز وأخذوا امرأته، وفَرَّ عنها قال عرهم:

(١) «تَزَاوَرَ عنه: عَدَلَ وانْحرفَ، كازْوَرَّ، وازوَارَّ».

[القاموس المحيط: ٤٠٣].

(٢) «أَلَمَّ بِه: نَزَلَ، كَلَمَّ والْتَمَّ».

[نفسه ص١١٥٩].

(٣) «الجَمُّ: الكَثِيرُ مِن كُلِّ شَيء، كَالجَمِيمِ».

[نفسه ص١٠٨٩].

لعمري لقد ناجيتُ[١] بِالنُّصح خَالِداً ... ونـاديـتـه حـتّـى أبـى وعَـصَـانِـيـا
ولـجَّ وكـانـت هـفـوة مِـن مُـجـرِّب ... عـصـانـي فَـلاقـى مـا يَسُـرُّ الأعَـادِيا
نـصـحـت فَـلـم يَـقـبـل وَرَدَّ نَـصِـيـحـتـي ... وذُو الـنُّـصـح مُـظـنٌّ بِـمـا لـيس آتِـيـا
وقُـلـت الـحَـرُورِيُّـونَ مَـنْ قَـدْ عـرفـتـهـم ... حُـمَـاةٌ كُـمَـاةٌ[٢] يـضـربـون الـهَـوادِيـا
فَـلا تُـرْسِـلَـنْ عـبـدالـعَـزِيـزِ وسَـرِّحَـنْ ... إلـيـهـم فـتـى الأزدِ الألَـدَّ[٣] المُـسَـامِـيَـا
فـتـى لا يـلاقـي الـمـوت إلاّ بـوجـهـه ... جَرِيئاً على الأعداءِ للحرب صَالِيَا[٤]
فَـلـمّـا أبَـى أَلْـقَـيْـتُ حَـبْـلَ نَـصِـيـحَـتِـي ... على غارِبٍ[٥] قَد كَان زَهمان[٦] نَاوِيا
وشَـمَّـرْتُ عـن سـاقَـيَّ ثـوبـي إذْ بَـدَتْ ... كَـتـائِـبـهـم تُـزْجِـي[٧] إلـيـنـا الأفَـاعِـيَـا
يَـهُـزُّونَ[٨] أَرمـاحـاً طِـوالاً بِـأَذْرُعٍ ... شِـدَادِ إذا مَـا الـقَـومُ هَـزُّوا الـعَـوَالِـيَـا[٩]

[«الأمالي» ص٥٩٠].

(١) «نَاجَاهُ مُنَاجَاةً ونِجاءً: سَارَّهُ».

[القاموس المحيط: ١٣٣٧].

(٢) «الكَمِيُّ، كغنيّ: الشُّجاع، أو لابِسُ السِّلاح، كالمُتَكَمِّي الجمع: كُمَاةٌ أَكْمَاءُ».

[نفسه ص١٣٢٩].

(٣) «الأَلَدُّ: الخَصْمُ الشَّحيحُ الذِي لا يَزِيغ إلى الحَقّ، كالأَلَنْدَدِ واليَلَنْدَدِ، الجمع: لُدٌّ ولِدَادٌ».

[القاموس المحيط: ٣١٧].

(٤) «صَلِيَ النَّار، كرَضِيَ، وبِها صُلِيًا وصِلِيًا وصَلاءً، ويُكسر: قاسَى حَرَّها، كتصلاّها».

[نفسه ص١٣٠٣].

(٥) «حَبْلُكِ على غاربك» أي: اذهبي حيث شئت».

[القاموس المحيط: ١٢٠].

(٦) «زَهِمَ، كفَرِحَ: اتُّخِمَ، فهو زَهْمَانُ».

[نفسه ص١١١٩].

(٧) تَسُوق.

(٨) «هَزَّهُ، وبِه: حرَّكه».

[القاموس المحيط: ٥٢٩].

(٩) «العَالِيَةُ: أعلى القناه، أَو رَأْسُه، أو النِّصفُ الذي يَلِي السِّنان».

[نفسه ص١٣١٤].

ابن هرمة والمَنْصُور

قال أبو علي: وحَدَّثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبدالرحمن، عن عَمّه، قال: دَخل الشُّعراء على المنصور وفيهم طريح بن إسماعيل الثَّقفي وابن مَيَّادة وغيرهم، فأذن لهم في الإنشاد، فأنشدوه مِن وراء حجاب، حتّى دَخل ابن هَرمة في آخرهم، فأنشده حتى بلغ إلى قَوله مِن شعره:

إليك أميرَ المُؤمِنينَ تَجاوَزَتْ ... بِنَا بِيدَ[1] أَجْوَاز الفَلاَةِ الرَّوَاحِلُ[2]
يَزُرْنَ امْرَأً لا يُصْلِحُ القَومُ أَمْرَهُ ... ولا يَنْتَحِي[3] الأَدْنَوْنَ فِيما يُحَاوِلُ
إذا ما أَتَى شَيئاً مَضَى كالذِي أَتَى ... وإن قال إنِّي فاعل فَهو فاعِلُ
كريم له وَجهانِ وَجْهٌ لَدَى الرِّضَا ... أَسِيلٌ[4] ووَجْهٌ في الكَرِيهةِ[5] بَاسِلُ[6]
له لَحَظَاتٌ[7] عَن حِفافَيْ[8] سَرِيره ... إذا كَرَّها فيها عِقَاب ونَائِلُ[9]

(١) «البَيْدَاءُ: الفلاةُ، الجمع: بِيدٌ».
[القاموس المحيط: ٢٦٩].
(٢) «الرَّحُولُ والرَّحُولَةُ والرَّاحِلَةُ: الصّالحة لأن تُرْحَلَ».
[نفسه ص١٠٠٥].
(٣) «نَحَاهُ يَنحُوهُ ويَنْحَاهُ: قَصده، كانْتَحَاه».
[نفسه ص١٣٣٧].
(٤) «الأَسِيلُ من الخُدُودِ: الطَّويلُ المُسْتَرْسِلُ. وقد أَسُلَ، ككَرُمَ».
[القاموس المحيط: ٩٦١].
(٥) «الكَريهةُ: الحَرْبُ، أو الشِّدَّةُ في الحرب».
[نفسه ص١٢٥٢].
(٦) شُجاع.
(٧) «لَحَظَهُ، كمَنَعَهُ، وإليه لَحْظاً ولَحَظَاناً، محرّكة: نَظَر بمؤخر عينيه، وهو أَشَدّ التفاتاً مِن الشَّزر».
[القاموس المحيط: ٦٩٨].
(٨) «الحِفَافُ، ككتاب: الجَانب».
[نفسه ص٨٠٠].
(٩) عَطَاء.

فـأُمُّ الـذِي آمـنـتَ آمِـنَـةُ الـرَّدَى[١] وأُمُّ الذِي حَاوَلْتَ بالثُّكْلِ[٢] ثاكِلُ
رأيتك لـم تَـعْـدِلْ عَـنْ الحَـقِّ مَـعْـدِلاً سِوَاهُ ولـم تَـشْـغَـلْـكَ عنه الـشَّـوَاغِـلُ

فقال: يا غُلام، ارفع الحجاب، وأَمر له بِعَشرة آلاف، والدِينار يَومئذ بِسبعة، وأعطى الباقين ألفين ألفين.

[نفسه ص٥٩٧ ـ ٥٩٨].

* * *

عبدالملك بن مروان وَجَرِير

حدّثنا أبو بكر بن دُريد، قال: أخبرنا أبو عثمان، قال: أخبرنا عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جَرير بن عَطِيّة بن الخَطَفِي، قال: كان جَرير عند الحُجّاج بِالعراق، وكان آمنه بعدما أخافه أَشدَّ الخَوف، فقدم الحَجّاج البَصرة، وجَرير والفرزدق يَتَسَابَّان سبع سنين قبل قُدومه، وجرير مُقيم بِالبصرة، وكَان قبل ذلك مُقيماً بِالبادية، فكتب إليه بنو يَربوع: أنت مُقيم بِالبادية وليس أحد يَرْوِي عنك، والفرزدق قَد مَلأ عَليك العراق فانْحَدر إلى جماعة النّاس فأشِدْ بِالرَّجُل كَما يُشِيدُ بِك، فانحدر وأقامَ بِالبصرة، فلذلك يَقُول:

وإذَا شَـهِـدْتُ لِـثَـغْـرِ قَـوْمِـي مَـشْـهَـداً آثَـرْتُ ذاك عَـلَـى بَـنِـيَّ ومَـالِـي

فأوجهه الحجّاج وملأ بمدحه الأرض، وبلغ أهل الشَّام وأمير المؤمنين ورواه النّاس. ثُمّ إنَّ الحَجَّاج أَوفده مع ابنه محمد عَاشِرَ عَشرة مِن أهل العِراق بَعدمَا أَجازه بِعَشَرة مِن الرَّقيق وأَموال كَثيرة، قال: فقدمنا على

---

(١) الرَّدَى: الهلاك.
(٢) «الثُّكْلُ، بِالضَّمّ: الموتُ والهلاك، وفِقدانِ الحَبيبِ أو الوَلد، ويُحرّك، وقَد ثَكِلَهُ، كَفَرِحَ، فهو ثاكِلٌ، وثَكْلانُ وهي ثَاكِلٌ، وثَكلانَةٌ قَلِيلة، وثَكُولٌ وثَكلى».
[القاموس المحيط: ٩٧٢].

عبدالملك فخطب بين يَديه، ثُمّ أجلسه على سَريره عند رِجليه، ثُمّ دَعا بِالوفدِ مِنّا رَجلاً رجلاً وكُلّنا له خَطبة، فجعل كلمّا خطب رجل قطع خطبته، وتكلّم جَرير فقطع خطبته، ثُمّ قال: من هٰذا يا محمد؟ فقال: هٰذا يا أمير المؤمنين ابن الخَطفي، قال: مادِحُ الحَجّاج؟ قلت: ومَادِحك يا أمير المؤمنين فأذن لي أنشدك، فَقال: هات ما قُلت في الحجّاج، فاندفعت في قَولي:

صَبَرْت النَّفسَ يا بن أبي عُقَيْلٍ مُحافَظَةً[1] فَكيفَ تَرَى الثّوَابَا
ولو لم يَرْضَ رَبُّكَ لَم يُنَزِّلْ مع النَّصْرِ الملائكة الغِضَابَا
إذَا سَعَرَ[2] الخَلِيفَةُ نَارَ حَرْبٍ رأى الحَجَّاج أثقبها شِهَابَا

فقال: صدقت، وورائي الأخطل جَالساً ولا أراه، ثُمّ قال: هات بِالحجّاج، فأنشدته:

طربت لعهدِ هَيَّجتهُ المنازِل وكَيف تَصابي المرء والشّينُ شامِلُ

فَما فرغت منها حتّى خَيّلت في وَجه أمير المؤمنين الغضب، وقال: هَاتِ بِالحجّاج، فأنشدته:

هَاجَ الهَوَى لِفُؤادك المُهتَاجِ[3] فانظُر بِتُوضِحَ[4] بَاكِرَ الأَحْدَاجِ[5]

---

(١) «المُحَافَظَةُ: الذَّبُّ عن المَحارِمِ، كالحِفَاظ، والاسْمُ: الحَفِيظة».
[القاموس المحيط: ٦٩٥].
(٢) «سَعَرَ النارَ والحَرْبَ، كمنَعَ: أوقدها، كَسَعَّرَ وأَسْعَرَ».
[القاموس المحيط: ٤٠٧].
(٣) «هَاجَ يَهِيجُ هَيْجاً وهَيَجَاناً وهِيَاجاً، بالكسر: ثَارَ، كاهْتَاج وتَهَيَّجَ، وأَثَار».
[القاموس المحيط: ٢١١].
(٤) «تُوضِحَ، بِالضَّمِّ وكسر الضَّادِ: مَوضع بين إِمَّرَة إلى أسود العين».
[نفسه ص٢٤٧].
(٥) «الحِدْجُ، بالكسر: الحِمْلُ، ومَرْكَبٌ للنّساء كالمِحفَّةِ، كالحِدَاجَة، بالكسر وهي أيضاً الأداة، الجمع: حُدُوجٌ وأَحْدَاجٌ».
[نفسه ص١٨٣].

حتّى أتيت على قَولي:

مـن سَـدَّ مُـطَّـلَـعَ الـنِّـفَـاق عَـلـيـهـم أَمْ مَـنْ يَـصُـولُ[١] كَـصَـوْلَـةِ الـحَـجَّـاجِ
أَم مَـن يَـغَـارُ عـلـى الـنِّـسـاء حَـفِـيـظَـةً إذ لاَ يَـثِـقْـنَ بِـغَـيْـرَةِ الأَزْوَاجِ

فتكلّم الأخطل وقال: أين أمير المؤمنين يا ابن المراغة! فعلمت أنّه الأخطل، فذَبَبْتُ حِيالَ وَجهي بِكُمّي وقُلت: اخْسَأْ، ومَضيتُ حتى أنشدته كُلّها فقال الخَليفة: اجلس فجلست، ثُمّ قال: قُمْ يا أخطل، هات مَديح أمير المؤمنين، فقام حِيالي فأنشد أَشْعَرَ النّاس وأمدح النّاس، فقال له الخَليفة: أنت شاعرنا ومَادِحُنا، ارْكَبْهُ، فَرَمى بِردائه وألقى قَمِيصه على مَنْكبه ووضع يَده على عُنقِي، فَقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ النَّصرانيَّ الكَافِرَ لا يَعلو ولا يظهر على المُسلم ولا يركبه، فَقال أهل المجلس: صَدق يا أمير المؤمنين، فقال: دَعْهُ، وانتقَضَ المجلس وخرجنا، فَدخل الوَفد عليه ثمانية أيام مع محمّد كلّهن أحجب فَلا أدخل عليه، ثُمّ دَخَلُوا في التّاسع وأخذوا جَوائزهِم، وتَهَيَّأوا في العَاشرِ للدُّخُول والتّوديع للرَّحيل، فَقال محمد: يا أبا حَزْرَة، ما لي لا أراك تَتجَهّز؟ قلت: وكيف وأمير المؤمنين عليَّ سَاخط! ما أنا بِبَارِح أَو يَرْضَى عَنّي، فَلمّا دَخَل عليه محمد ليودّعَه قال: يا أمير المؤمنين، إنّ ابن الخَطَفي مادِحك وشاعرك ومَادِحُ الحجَّاج سيفك وأمينك، وقد لَزمتنا له صُحْبة وذِمَامٌ[٢]، فإن رأيت أن تأذن له! فإنّه أبى أن يخرج معنا وأنت غضبان، وآلى أنّه لا يخرج أو ترضى عنه، فيدخُل وَيُوَدِّعُك، فأذن لِي، فَدخلت عليه ودعوت له، فقال: إنما أنت للحَجَّاج، قُلت: ولَك يا أمير المؤمنين، ثُمّ استأذنته في الإنشاد، فسكت ولم يأذن لي، فاندفعت فَقلت:

أَتَـصْـحُـو أَمْ فُـؤادك غَـيْـر صَـاحِ

---

(١) «صَالَ على قِرْنِهِ صَوْلاً وصِيَالاً وصُؤُولاً وصَوَلاَنَاً وصَالاً ومَصَالَةً: سَطَا واسْتَطالَ».
[القاموس المحيط: ١٠٢٣].

(٢) «الذِّمَامُ والمَذَمَّةُ: الحَقُّ، والحُرْمَةُ، الجمع: أَذِمَّةٌ».
[القاموس المحيط: ١١١٠].

قال: بل فؤادك.

عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ

حتى فرغت منها وعلمت أنّي إن خرجت بغير جَائزة كان إسقاطي آخر الدّهر، فَلمّا بلغت إلى شَكوى أمّ حَزرَة قلت في أثر ذلك:

ألستُم خَيْرَ مَنْ رَكِب المَطَايا وأَندى العالمينَ بُطُونَ الرَّاحِ

فَجعل يقول: نحن كذلك، ثُمّ قال: رُدَّها عليّ، فرَددتها فطرب لذلك، وقال: ويحك! أتراها تُرويها مائة مِن الإبل؟ قلت: نَعم إن كَانت مِن نَعم[١] كَلب، وقد كنت رأيت خمسمائة من نَعَم كَلْب مُخَصَّفَةً ذُرَاهَا ثُنْيَاناً[٢] وجُذْعَاناً[٣]، فَقال: أخرجوا له مائة مِن النَّعم التّي جَاءت مِن عندِ كَلب ولا تُرْذِلُوهَا[٤]، فَشَكرت له وشَكر له أصحابي ومَن شَهدني مِن العرب، ثمّ قُلت: يا أمير المؤمنين، إنَّما نحن أشياخ من أهل العِراق ولَيس في واحد مِنّا فَضل عن راحلته، قال: أفنجعل لك أثمانها؟ قُلت: لا، ولكن الرِّعاء يا أمير المؤمنين، فنظر جَنبَتَيْهِ ثُمّ قال لجلسائه: كم يَجزي مائة مِن الإبل؟ قالوا: ثمانية يا أمير المؤمنين، فأمر بثمانية أعبد: أربعة صقالبة، وأربعة نُوبيّة، وإذا قد أهدى إليه بعض الدَّهاقين[٥] ثلاث صِحاف فِضّة وهُنّ

---

(١) «النَّعَم، وقَدْ تُسَكَّنُ عَيْنُهُ: الإبلُ، والشَّاءُ أو خَاصٌ بالإبل، الجمع: أنعَامٌ. جمع الجمع: أَنَاعِيمُ».

[القاموس المحيط: ١١٦٣].

(٢) «الثَّنِيَّةُ: النَّاقَة الطاعنة في السَّادسة، والبَعير: ثَنِيٌّ».

[القاموس المحيط: ١٢٦٨].

(٣) «الجَذَعُ، محرّكة: قَبلَ الثَّنِيّ، وهي بهاءٍ، اسْمٌ له في زَمن وليس بِسنٍّ تَنبُتُ أو تَسقُطُ، والشَّاب الحَدَثُ، الجمع: جِذَاعٌ وجُذْعَانٌ، بالضَّمّ».

[نفسه ص٧٠٨].

(٤) «الرَّذْلُ: الرَّدِيءُ مِن كُلِّ شيء، ورَذَلَهُ غَيْرُه وأَرْذَلَهُ».

(٥) «الدِّهْقَانُ، بالكسرِ والضَّمّ: التَّاجِرُ، وزَعِيمُ فَلاَّحِي العَجَم، ورئِيسُ الإقليم، مُعَرَّبٌ الجمع: دهَاقِنَةٌ ودَهَاقِينُ، والاسمُ: الدَّهقنة».

[القاموس المحيط: ١١٩٨].

بين يديه يقرعهنّ بالخَيْزُرانة، فقلت: المِحْلَبُ يا أمير المؤمنين. فَنَدَسَ[١] إليَّ مِنهنّ واحدة وَقال: خُذها لا نفعتك! قلت: بَلى، كُلّ ما أخذته منك ينفعني إن شاء الله، وانصرفنا وودَّعناه. وكَتب محمد إلى أبيه بالحديث كُلّه، فلمّا قدمنا عَلى الحَجّاج قال لي: أما والله لولا أن يبلغ أمير المؤمنين فَيَجِدَ[٢] عليّ لأعطيتك مِثلها، ولكن هٰذه خمسون راحلة وأحمالها حِنطة تأتي بها أهلك فَتميرهم[٣]، فقبضتها وانصرفت.

[نفسه ص٦٠٠ ـ ٦٠٢].

❊ ❊ ❊

ابن عبدل ولطف مسألته

قال أبو علي: وحدَّثنا أبو بكر، قال: صَحِبَ ابن عبدل الأسدي معروف بن بِشر حيناً، فأبطأ عنه بصلته فتغيّب عنه أيّاماً ثُمّ أتاه، فَقال: أين كنت؟ قال: أصلح الله الأمير، خَطبت بنت عَمٍّ لي فأرسلت إليَّ: أَنَّ لي أَشاوَى على النَّاسِ ودُيوناً، فانطلق فأجمع ذٰلك ثُمّ ائتني أفعل، ففعلت، فلمّا أتيتها بِحاجتها كتبت إليَّ تُؤيِّسني[٤] وتقول:

سَيُخطِئُكَ الذي أَمَّلتَ مِنّي ... إذا انتقَضَتْ[٥] عَليك قُوَى حِبَالِي

كما أَخطاك مَعْرُوفُ[٦] ابن بِشر ... وكُنتَ تَعُدُّهُ لك رأس مال

---

(١) «النَّدْسُ: الطَّعْنُ، وقد يكون بالرِّجل».

[نفسه ص٥٧٧].

(٢) يغضب.

(٣) «المِيرَةُ، بالكسر: جَلَبُ الطَّعام. مَارَ عِيَالَهُ يَمِيرُ مَيْراً، وأَمَارَهُم، وامْتَارَ لهم».

[القاموس المحيط: ٤٧٨].

(٤) «أَيِسَ، منه: كسَمِعَ إِيَاساً: قَنِطَ، وآيَسْتُهُ وأَيَّسْتُهُ».

[القاموس المحيط: ٥٣١].

(٥) «النَّقْضُ في البِنَاء والحَبْلِ والعَهْدِ وغَيره: ضِدُّ الإِبْرَام، كالانتقاض والتَّنَاقُض».

[نفسه ص٦٥٦].

(٦) جُود.

فَلا واللَّهِ لو كَرِهَتْ شِمَالِي ... يَميني مَا وصلتُ بها شمالي

فضحك ابن بشر وقال: ما ألطف ما سألت، وأمر له بِعشرة آلاف درهم.

[نفسه ص٦٠٣].

* * *

جرير يمدح حُرَّاسه

قال أبو علي: قرأت على أبي الحَسن قال أبو محلم: كان المهاجِر بن عبدالله الكلابي عَامِلاً على اليَمامة لهشام بن عبدالملك، وكَان قد أقطع[1] جَريراً دَاراً، وأمر خمسين رجلاً مِن جُند أهل الشَّام أن يلزَمُوا باب دار جَرير، وأن يَكونوا معه في ركوبه إلى بَاب دار المهاجر إشفاقاً عليه مِن رَبيعة، فاعتلَّ جرير فقال يوم دَخلوا عَليه:

نفسي الفِداء لقوم زَيَّنُوا حَسَبِي ... وإنْ مَرِضْتُ فَهم أهلي وعُوَّادِي

لو حَالَ[2] دُونِي أبو شِبْلَيْنِ ذُو لِبَدٍ[3] ... لَم يُسْلِمُوني لِلَيْثِ الغَابَةِ العَادِي

إنْ تَجرِ طَيْرٌ بِأمرٍ فِيه عَافِيَةٌ ... أو بِالفِرَاقِ فقد أحسنتمُ زَادِي

[نفسه ص٢١٦].

* * *

(١) «أقْطَعَهُ قطيعَةً، أي: طائفة مِن أرض الخَرَاج».
[القاموس المحيط: ٧٥٣].

(٢) «حَالَ الشَّيْءُ بيني وبَيْنَهُ يَحُولُ حَوْلاً وحُؤُولاً أي حَجَزَ».
[مختار الصِّحاح: ٦٨].

(٣) «اللِّبْدَةُ، بالكسر: شَعَرُ زُبْرَةِ الأَسدِ، وكُنْيَتُهُ: ذُو لِبْدَة».
[القاموس المحيط: ٣١٦].

وصية عبدالملك إلى الحَجَّاج في القِتال

قال أبو سَعيد قال: حَدَّثنا محمد بن عمران، قال: حَدَّثني أبو إسحاق إبراهيم المؤدّب، قال: كتب الحجّاج إلى عبدالملك بن مروان يُعظِّم قطريّ بن الفُجَاءة المازني، فكتب إليه عبدالملك أوصيك بِما أُوصي بِه البكريّ زَيداً، فقال الحجّاج لحاجبه: نادِ في النّاسِ من أخبر الأمير بِما أَوصى بِه البكريّ زيداً فَله عشرة آلاف درهم، فقال رجل للحاجب[1]: أنا أخبره، فأدخله عَليه، فقال له: ما قال البكري لزيد؟ قال: قال لابن عَمّه زيد: ـ والشّعر لموسى بن جابر الحنفي ـ:

أَقُولُ لِزَيْدٍ لا تُتَرْتِرْ[2] فإنَّهُم ... يَرَوْنَ المَنَايَا[3] دُون قتلك أو قَتْلِي

فإنْ وَضَعُوا حَرْباً فَضعها وإنْ أَبَوْا ... فَشُبَّ وَقُودُ الحَرْبِ بالحَطبِ الجَزْلِ[4]

فإن عَضَّتِ الحَرْبُ الضَّرُوسُ[5] بِنَابِهَا ... فَعُرْضَة نَارِ الحرب مِثْلُك أو مِثْلي

فقال الحجّاج: صدق أمير المؤمنين، عُرْضَة نار الحرب مِثْلِي أو مِثْلِه.

[نفسه ص٦٢٥].

❋ ❋ ❋

(١) «الحَاجِبُ: البَوّابُ، الجمع: حَجَبَةٌ وحُجَّابٌ، وخُطَّتُهُ: الحِجَابَة».
[القاموس المحيط: ٧٢].

(٢) «الترترةُ: إكْثارُ الكلام».
[القاموس المحيط: ٣٥٦].

(٣) «المَنَى: الموتُ، كالمنيّة».
[نفسه ص١٣٣٦].

(٤) «الجَزْلُ: الكثيرُ من الشَّيء، كالجَزِيلِ، الجمع: كجبال».
[نفسه ص٩٧٦].

(٥) «الضَرُوسُ: النّاقة السَّيِّئة الخُلُق، تَعَضُّ حَالِبها. وضَرَّسَتْهُ الحروبُ تضريساً: جَرَّسته، وأحكمته».
[القاموس المحيط: ٥٥٣].

بين الحَجَّاج والفَرزدق

قال أبو محلم: لمّا كان يوم مِن أيّام دَير الجماجم حمل حاجب بن خشينه العَبشمي أحد بني الخَطّاب بن الأعور بن عوف بن كعب بن عبد شمس في الخيل على أهل العراق مع الحَجَّاج فأزال صُفوفهم، فقال الحجّاج للفرزدق وهو عنده: ألا تَرى ما أكرم حملة ابن عَمِّك؟ فقال: أيّها الأمير، إنَّه رَجل جَوَاد، وقد سَفَر مَالَهُ فَحمل حملةَ مُفْلِس، فقال له الحَجَّاج: فهل لك أن تَحمل كما حمل وأُلحق عطاءك بعطائه؟ فقال: إنِّي أخاف إذ حَمَلت أن ينقطع أصل العطاء.

[نفسه ص٦٢٨ ـ ٦٢٩].

❋ ❋ ❋

عبدالملك بن مروان وأدبه في استماع الحَدِيث

قال أبو علي: قال أبو الحسن الأخفش: قرأت على أبي جَعفر محمد بن علي بن الحسين ـ رحمه الله تعالى ـ، وذكر أبو جعفر أنَّه سَمع ذلك مَع أبِيه من أبي محلم، قال أبو محلم: حَدَّثني أبو نعيم الفَضْلُ بن دكين، عن زكرياء بن أبي زَائدة، عن الشَّعبي قال: رُبّما حدّثت أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان ـ رحمه الله تعالى ـ وقد هيّأ اللّقمة، فيمسكها في يَده مُقبلاً عليَّ، فأقول: أَجِزْهَا يا أمير المؤمنين، فإنّ الحَدِيث مِن ورائها، فيقول: الحَدِيث أَشهى إليّ مِنها.

أَجِزْهَا أي: ازْدَرِدْها.

قال: ومِن كلامهم: ما رأيت أحداً أطرَّ ضَرْساً ولا أسرع إحارة للرَّغيف منه.

أَطَرّ: أَحَدّ.

[نفسه ص٦٣٣].

الحجّاج والأعرابي الفَصيح

قال أبو محلم قال الحجّاج لأعرابيّ كلَّمه فوجده فَصيحاً: كيف تركت النّاس وراءَك؟ فقال: تركتهم أصلح الله الأمير حين تَفرّقوا في الغيطان، وأخمدوا النّيران، وتشكّت النّساء، وعَرُض الشّاء، ومات الكَلب. فقال الحجّاج لِجلسائه: أَخِصْباً نَعتَ أم جَدْباً؟ قالوا: بَل جَدْباً. قال: بَل خِصْباً.

قوله: تَفرّقوا في الغِيطان معناه أنّها أعشب فإبلهم وغنمهم تَرعى.

وأخمدوا النّيران معناه استغنوا باللَّبن عَنْ أَنْ يَشْتَوْوا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها.

وتَشكّت النّساء أعضادهنّ مِن كَثرة ما يَمْخَضْن الألبان، وعَرُضَ الشَّاء: اسْتَنَّ مِن كثرة العُشب والمرعى.

قال أبو علي: الصَّواب عَرَضَ الشّاء وليس عَرُضَ بِشيء.

ومات الكلب: لم تمت أغنامهم وإبلهم فيأكل جِيفها. ومِن أمثال العرب «نَعِمَ كَلْبٌ في بُؤسِ أهله»، لأنّه إنّما ينعم في القَحط ويَمُوت في الخِصْب.

[نفسه ص٦٣٧].

❊ ❊ ❊

الغِنى والفقر والرِّياسة

قال أبو علي: قال لي أبو الحَسن جَحظة قالت حبشيّة: بات عندي المتوكِّل ليلة وخرج من عندي نصف اللَّيل، فغلبتني عَيني، فرأيت قائِلاً يقول لي في النَّوم: يا حَبشيّة، حَمَلت اللّيلة بِأشأم خَلق الله، فكان المنتصر، فجلس يَوماً على البساط الذي صورة مكتوبة عند رأسها بِالفارسية، فَدعا ببعض الفُرس فَقرأها، فكانت هٰذه صورة بابك بن بابكان الذي قتل أباه، فما عاش بعده إلاّ ستّة أشهر، وكذٰلك اتّفق للمنتصر.

[نفسه ص٦٣٨].

وفاة الحَجّاج وما قال وما قِيل له عند ذٰلك مِن مواعظ

قال أبو علي: وحدَّثني أبو بكر، قال: حَدَّثنا أحمد بن عُبيد في أخبار الحَجّاج بن يُوسف: أنّه لمّا حَضرته الوفاة وأيقن بِالموت، قال: أسندوني، وأذن للنّاس فَدخلوا عليه، فذكر الموت وكَرْبَهُ، واللَّحْدَ ووحشته، والدُّنيا وزوالها، والآخرة وأهوالها، وكثرة ذنوبه، وأنشأ يقول:

إنَّ وزن السّمٰوات والأَرض ... وظنّي بِخالِقي أَنْ يُحابي
فَلئن مَنَّ بِالرِّضا فهو ظنّي ... ولئن مَرَّ بالكتاب عَذابي
لم يكن ذاكَ منه ظُلماً وهَل ... يَظلم رَبٌّ يُرْجَى لحُسن المآبِ؟

ثُمّ بَكى وبكى جلساؤه، ثُمّ أمر الكاتب أن يكتب إِلى الوليد بن عبدالملك بن مروان: أمّا بعد، فقد كنت أرعى غنمك أحوطها حِياطة النّاصح الشَّفيق برعيّة مولاه، فجاء الأسد فبطش بِالرّاعي ومَزَّق المرعيَّ كلّ مُمَزَّق، وقد نزل بِمولاك ما نزل بأَيّوب الصّابر، وأرجو أن يكون الجَبَّار أَراد بِعبده غفراناً لخطاياه وتكفيراً لما حصل مِن ذُنوبه، ثُمّ كَتب في آخر الكتاب:

إذا مَا لَقِيت الله عنّي رَاضِياً ... فإنّ شِفاء النَّفس فيما هُنالِك
فَحسبي بَقاء الله مِن كلّ مَيِّتٍ ... وحسبي حَياة الله مِن كُلّ هالِك
لقد ذاق هٰذا الموت مَن كان قَبلنا ... ونحن نذوق الموت من بعد ذٰلك
فإن مُتُّ فاذكرني بِذكر مُحَبَّبِ ... فقد كان جَمًّا[1] في رِضاك مَسَالِكي
وإلاّ فَفي دُبْرِ الصَّلاة بِدعوةٍ ... يُلَقّى بها المسجون في نار مَالِك
عليك سلام الله حَيًّا ومَيّتاً ... ومِن بَعد مَا تُحْيَا عَتِيقاً لمالِك

(١) «الجَمُّ: الكثيرُ مِن كُلِّ شَيء، كالجَمِيمِ».

[القاموس المحيط: ١٠٨٩].

ثُمّ دَخَل عليه أبو المنذر يَعلى بن مخلد المجاشعي وقال: كيف تَرى ما بِك يا حَجّاج مِن غَمَراتِ[١] الموت وسكراته؟ فَقال: يا يعلى، غَمًّا شَدِيداً، وجهداً جَهيداً، وألماً مَضِيضاً[٢]، ونَزْعاً جَرِيضاً[٣]، وسَفَراً طوِيلاً، وزاداً قلِيلاً، فَويلي وويلي إنْ لم يرحمني الجَبَّار، فقال له: يا حَجّاج إنّما يَرحم الله مِن عِباده الرُّحماء الكرماء أولي الرَّحمة والرَّأفة والتَّحنُّن والتَّعطُّف على عباده وخَلقه، أشهد أنَّك قرين فرعون وهامان لسوء سيرتك، وترك مِلّتك، وتَنَكُّبِكَ[٤] عن قَصد الحَقّ وسَنَن المحجّة وآثار الصّالحين. قتلتَ صالحي النّاس فأفنيتهم، وأَبَرْتَ[٥] عِتْرَة[٦] التّابعين فتبرتهم، وأطعت المخلوق في معصية الخالق، وهَرقت الدِّماء، وضَربتَ الأَبْشَارَ[٧]، وهَتكت الأستار، وسُسْتَ سياسة مُتكبّر جَبَّار، لا الدِّين أبقيت، ولا الدُّنيا أدركت، أعزرت بني مَروان، وأذللت نَفسك، وعمرتَ دُورهم وأخربْتَ دَارَك، فاليوم لا يُنجونَك ولا يُغيثونك، إذ لم يكن لك في هٰذا اليوم ولا لما بعده نظر، لقد كنت لهذه الأمّة اهتماماً واغتماماً وعناءً وبَلاءً، فالحمد لِلّه الذي أراحها بِموتك، وأعطاها مُنَاهَا بِخزيك، قال:

---

(١) «غَمَرَةُ الشَّيء: شِدَّتُهُ، ومُزْدَحَمُهُ. الجمع: غَمَرَاتٌ وغِمارٌ».
[القاموس المحيط: ٤٥٢].

(٢) «مَضَّهُ الشَّيءُ مَضًّا ومَضِيضاً: بَلَغَ مِن قَلْبِه الحُزنُ به».
[نفسه ص٦٥٤].

(٣) «الجَرَضُ، محرّكه: الرِّيقُ، جَرِضَ برِيقِه، كفَرِحَ: ابْتَلَعَهُ بالجهد على هَمٍّ، والغَصَصُ».
[القاموس المحيط: ٦٣٨].

(٤) تَنَكَّبَ: عَدَلَ.

(٥) «البَوْرُ: الهلاكُ، وأَبَاره الله».
[القاموس المحيط: ٣٥٤].

(٦) «العِتْرَةُ، بالكسر: نَسْلُ الرَّجل، ورهطه، وعشيرته الأَدْنَون ممّن مَضَى وغَبَرَ».
[نفسه ص٤٣٦].

(٧) «البَشَرُ: ظاهر جِلد الإنسان، قِيل: وغيره، جمع بَشَرَة، وأَبْشَارٌ جمع الجمع».
[نفسه ص٣٥٠].

فَكأنّما قطع لسانه عنه فلم يُحْرِ[1] جَوَاباً وتَنَفّس الصُّعَدَاء[2] وخنقته العَبْرَة[3]، ثُمّ رفع رأسه فنظر إليه وأنشأ يقول:

رَبِّ إنَّ العِبَاد قد أَيأَسُونِي ورَجَائِي لك الغَدَاةَ عَظِيمُ

[نفسه ص٧١١ ـ ٧١٢].

* * *

بين يزيد بن عبدالملك وهشام

قال: وحَدّثنا الرياشي، قال: كتب يزيد بن عبدالملك إلى هشام، وكَان الخَليفة بعده، هٰذه الأبيات:

تَمنّى رِجَال أَنْ أَمُوتَ وإن أَمُتْ فتلكَ سَبيلٌ لست فيها بِأَوحدِ
فَما عَيْشُ مَنْ يَرجُو رَدَايَ[4] بضائِري[5] ومَا عَيْشُ مَنْ يرجو رداي بمخلدي
فَقُلْ للّذي يَبغي خِلافَ الذِي مَضَى تَجهَّزَ لأخرى مِثلها فَكأَنْ قَدِ

قال: فكتب إليه هِشام:

ومَنْ لا يُغَمِّضْ عينه عَن صَدِيقه وعَن بعضِ مَا فِيه يَمُت وهْوَ عَاتِب
ومَنْ يتَتَبَّعْ جَاهِداً كُلَّ عثْرَةٍ[6] يَجدها ولا يسلم له الدَّهر صاحِب

---

(١) «مَا أحَارَ جَوَاباً: ما رَدَّ».
[القاموس المحيط: ٣٨١].

(٢) «الصُّعَدَاء، بِضَمّ الصّاد والمَدّ: تنفُّس ممدُودٌ».
[مختار الصّحاح: ١٥٢].

(٣) «العَبْرَةُ، بالفتح: الدَّمْعَةُ قبلَ أنْ تَفِيض، أو تَرَدُّد البُكاء في الصَّدْرِ».
[القاموس المحيط: ٤٣٥].

(٤) هلاكي.

(٥) «ضَارَهُ الأَمْرُ يَضُورُه ويَضِيرُهُ ضَوْراً وضَيْراً: ضَرَّهُ».
[القاموس المحيط: ٤٣٠].

(٦) «عَثَرَ، كضَرَب ونَصَرَ وعَلِمَ وكَرُمَ، عَثْراً وعَثِيراً وعِثَاراً وتَعَثَّر: كَبَا».
[القاموس المحيط: ٤٣٦].

قال: فكتب إليه يزيد:

لعمرك ما أدري وإنّي لأوْجَلُ[١] ... على أيّنا تغدو المنيّةُ أوّلُ
وإنّي على أشياءَ منك تريبُني ... قديماً لذو صَفح على ذاك مُجْمِلُ
إذا سُؤتَني يوماً صفحت إلى غدٍ ... ليَعقب يوماً منك آخرُ مقبلُ
وإنّي أخوك الدّائم العهد لَمْ أحُلْ ... إنَ ابْزاكَ[٢] خَصْمٌ أو نَبا[٣] بِكَ مَنْزِلُ
أُحارِبُ مَنْ حارَبْتَ مِنْ ذِي عَداوَةٍ ... وأحبس مَالِي إن غَرِمْتَ فأَعْقِلُ
سَنُقْطع في الدُّنيا إذا مَا قطعتني ... يَمِينُك فانظر أيّ كَفٌّ تَبدّلُ
وكنت إذا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتِي[٤] ... وبَدَّل سُوءاً بالذي كُنت أفعلُ
قَلبت له ظهر المِجَنّ[٥] ولم أدُمْ ... على ذاك إلاّ رَيْثَ ما أتَحوَّلُ
وفي النّاسِ إنْ رَثَّتْ حبالك وَاصلٌ ... وفي الأرض عن دار القِلَى مُتحوّل
إذا أنت لم تُنصِفْ[٦] أخاكَ وَجدته ... على طَرف الهِجْرَانِ إن كان يَعْقِلُ
ويركَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أنْ تَضِيمَهُ[٧] ... إذا لم يكن عن شَفرةِ السَّيْف مَزْحَلُ[٨]

[نفسه ص٧٥١ ـ ٧٥٢].

---

(١) «الوَجَلُ، مُحرّكة: الخوْفُ، وَجِلَ، كفَرِح».
[القاموس المحيط: ١٠٦٧].

(٢) «بَزَا الرّجُلَ: قَهَرَهُ، وبَطَشَ بِهِ، كأَبْزَاهُ».
[القاموس المحيط: ١٢٦٢].

(٣) «نَبَا مَنْزِله: لم يُوَافقه».
[نفسه ص١٣٣٦].

(٤) «الظِّنَّةُ، بالكسر: التُّهَمَة، الجمع: كعِنَب».
[القاموس المحيط: ١٢١٣].

(٥) «المِجَنُّ والمِجَنَّةُ، بِكسرهما، والجُنَانُ والجُنَانَةُ، بِضمِّهما: التُّرْسُ».
[نفسه ص١١٨٧].

(٦) «الإنْصَافُ: العَدْلُ».
[القاموس المحيط: ٨٥٦].

(٧) «ضَامَهُ حَقَّهُ يَضِيمُهُ واسْتَضَامَهُ: انْتَقَصَهُ، فهو مَضِيمٌ ومُسْتَضَامٌ».
[نفسه ص١١٣٢].

(٨) «زَحَلَ عن مكانِهِ زحُولاً: تنحّى، كَتَزَحَّلَ».
[نفسه ص١٠٠٩].

ومَا الحِلمُ إلاَّ رَدُّكَ الغَيظ في الحَشَا

قال: وحدّثني محمد بن يزيد، قال: حدّثني علي بن عبدالله، قال: دَخَل قَوم على عمر بن عبدالعَزيز ـ رضي الله تعالى عنه ـ فكلَّمهم فأغلظوا[1] له، فغضب. فقال له ابنه عبدالملك: ومَا يُغضبك يا أمير المؤمنين وإنّما يَحْبسك أن تأمر فتطاع؟ فقال: أما غضبت أنت يا عبدالملك؟ قال: بَلى والله، ولٰكن ما ينفعُني حِلمي إذا لم أَردّه على غضبي فَيسكن، وأنشد:

ومَا الحِلْمُ إلاَّ رَدُّكَ الغَيْظَ[2] في الحَشَا ... وصَفْحُكَ بِالمعرُوفِ والصَّدرُ وَاغِرُ[3]

تَرَى المجدَ والأحلامَ فِينا فَمَا تَرَى ... سَفِيهاً هَفَا إلاَّ وآخَرُ زَاجِرُ

[نفسه ص٧٥٠ ـ ٧٥١].

❋ ❋ ❋

مسلمة بن عبدالملك ونصيب الشّاعر

قال: وحدّثنا محمد بن يَزيد، قال: حدّثني ابن عائشة، قال: قال مسلمة بن عبدالملك لِنُصيب: أمدحت فلاناً؟ يعني رجلاً مِن أهل بَيته. قال له: قَد كَان ذَاك. قال: أفَلا هجوته؟ قال: لم أفعل. قال: وَلِمَ؟ قال: لأنّي كنت أحَقَّ بالهجاء منه، إذْ وضعت مَدحِي في مِثله، فأعجب مسلمة قَوله، فقال له: سَلني. قال: لا أفعل. قال: ولِمَ؟ قال: لأن يدك بِالعطاءِ أسمح منّي بِالسُّؤال، فأعطاه ألف دِينار.

[نفسه ص٧٥٣].

---

(١) «أَغْلَظَ له في القَوْلِ: خَشَّنَ».
[القاموس المحيط: ٦٩٧].

(٢) «الغَيْظُ: الغَضَبُ، أو أشدُّه، أو سَوْرَتُه، وأوَّله، غاظَهُ يَغيظُه فاغْتَاظ، وغَيَّظَهُ فتغيّظ».
[القاموس المحيط: ٦٩٧].

(٣) «الوَغْرُ، ويُحرّك: الحِقْدُ، والضِّغْنُ، والعَدَاوَة».
[نفسه ص٤٩٢].

أبو جعفر المنصور والشّامي الأدِيب

قال: وحَدّثنا عمر بن شبة، قال: حَدَّثنا يحيى، قال: حَدَّثني رجل من ولد خزيمة بن يحيى قال: قدم رجل من أهل الشَّام مِن بَني مُرّة على أبي جعفر المنصور، فتكلّم معه كَلاماً حَسَناً، فقال له أبو جعفر: حاجتك؟ فقال: يُبقيك الله يا أمير المؤمنين. قال: حاجتك فإنَّه ليس كُلّ ساعة يُمكنك هٰذا ولا تؤمر بِه؟ فَقال: والله ما أستقصِر عُمرك، ولا أخاف بُخلك، ولا أغتنم مالَك، وإنَّ سؤالك لشَرَف، وإنّ عطاءك لزين، وما بامرىءٍ بذل وَجْهَه إليك نَقْصٌ ولا شَيْن، فقال أبو جعفر: يا ربيع، لا ينصرف مِن مقامه إلاّ بمائة ألف درهم، فَحُملت معه.

[نفسه ص٧٥٤].

❋ ❋ ❋

قصّة أبي جعفر المنصور وابنه المقتول

ذكر ابن عساكر في ترجمة الخَليفة العبّاسي أبي جعفر المنصور أَنّه كان في زمن شبيبته قد ورد الموصل وهو فقير لا شيء له، ولا معه شيء، فأَجَّر نفسه عند بعض الملاّحين حتى اكتسب شيئاً تزوّج به امرأة، ثمّ جعل يعدها ويُمَنّيهَا أنه مِن بيت سَيصير المُلك إليهم سَرِيعاً، فاتّفق حبلها منه، ثُمَّ تطلّبه بَنو أميّة فهرب عنها وتركها حامِلاً، ووضع عندها رُقعة فيها نسبته، وأنّه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عَبَّاس، وأمرها إذا بلغها أن تأتيه، وإذا ولدت غُلاماً أن تسمّيه جَعفراً. ونشأ الغُلام فتعلّم الكتابة، وغوى العربيّة والأدب، وأتقن ذٰلك إتقاناً جَيّداً، ثُمّ آل الأمر إلى بني العَبَّاس، فسألت عن السَّفاح فإذا هو ليس صاحبها، ثمّ قام المنصور، وصار الولد إلى بغداد فاختلط بِكتّاب الرّسائل فأعجب بِه أبو أَيُّوب المورياني صاحب دِيوان الإنشاء للمنصور، وحَظّي عنده، وقَدّمه على غيره فاتّفق حضوره معه بين يدي الخَليفة فَجعل الخليفة يلاحظه، ثمّ بعث يوماً للخادم ليأتيه بكاتب فدخل ومعه ذٰلك الغُلام، فكتب بين يدي المنصور كتاباً، وجعل الخَليفة ينظر إليه، ويتأمّله ثمّ

سأله عن اسمه فأخبره أنّه جعفر، فقال: ابن مَنْ؟ فسكت الغُلام، فقال: ما لَكَ لا تتكلّم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنّ مِن خبري كيت وكيت، فتغيّر وجه الخليفة ثُمّ سأله عن أمّه فأخبره، وسأله عن أحوال بلد الموصل فجعل يخبره، والغُلام يتعجَّب، ثُمّ قام إليه الخليفة فاحتضنه، وقال: أنت ابني. ثُمّ بَعَثَهُ بِعقد ثمين ومال جَزيل، وكتاب إلى أُمّه يعلمها بِحقيقة الأمرِ وحال الولد، وخرج الغُلام ومعه ذٰلك من باب سِرّ الخَليفة فأحرز ذٰلك ثُمّ جَاء إلى أبي أيّوب فقال: ما أبطأ بك عند الخليفة؟ فقال: إنّه استكتبني في رسائل كثيرة، ثُمّ تقاولا، ثُمّ فارقَه الغلام مغضباً ونهض من فوره، فاستأجر إلى الموصل ليعلم أمّه ويحملها وأهلها إلى بغداد، إلى أبيه الخليفة، فَسار مَراحل، ثمَّ سأل عنه أبو أيّوب فقيل: سافر فظنّ أبو أيّوب أنّه قَد أفشى شيئاً مِن أسراره إلى الخَليفة، وفَرّ منه، فبعث في طلبه رسولاً، وقال: حيث وجدته فردّه عليّ. فَسار الرّسول في طلبه فَوجده في بعض المنازل، فخنقه وألقاه في بئر، وأخذ مَا كان معه فَرجع إلى أبي أيّوب، فَلمّا وقف أبو أيّوب على الكتاب أُسْقِطَ[١] في يَدِه ونَدم على بعثه خلفه، وانتظر الخليفة عود ولده إليه، واستبطأه وكشف عن خَبره، فإذا رسول أبي أيوب قد لحقه وقتله، فحينئذ استحضر أبا أيّوب وألزمه بأموال عظيمة، وما زال في العقوبة حتى جمع أمواله وحواصله ثمّ قتله، وجَعل يَقول: هٰذا قتل حبيبي. وكان المنصور كلّما ذكر ولده حزن عليه حُزناً شدِيداً[٢].

❋ ❋ ❋

الخَليفة المنصور والرّجل المعترض

خَطب المنصور يوماً فاعترضه رَجل وهو يثني على الله عزّ وجَلّ، فقال: يا أمير المؤمنين اذكر مَنْ أنت ذاكره، واتّق الله فيما تأتيه وتَذَرُه،

(١) «سُقِطَ في يَدِه، وأُسْقِطَ مضمومتين: زَلَّ وأَخْطَأَ، ونَدِمَ، وتَحَيَّرَ». [القاموس المحيط: ٦٧١].

(٢) [«البداية والنّهاية» لابن كثير، ج١٠/١١٤ ـ ١١٥].

فسكت المنصور حتّى انتهى كلام الرّجل، فقال: أعوذُ بالله أَنْ أَكُون ممّن قال الله عزّ وجلَّ فِيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] أو أكون جَبَّاراً عَصِيًا. أيّها النَّاس! إنّ الموعظة علينا نزلت، ومن عندنا نبتت. ثُمّ قال للرَّجل: ما أظنّك في مقالتك هٰذه تريد وجه الله، وإنّما أردت أن يقال عنك: وعظ أمير المؤمنين. أيّها النّاس لا يَغرنّكم هٰذا فتفعلوا كفعله، ثُمّ أمر بِهِ فاحتفظ بِه، وعَاد إلى خطبته فأكملها، ثُمّ قال لمَن هو عنده: أعرض عليه الدُّنيا، فإن قبلها فأعلمني، وإن ردَّها فأعلمني، فما زَال به الرّجل الذي هو عنده حتّى أخذ المال، ومَالَ إلى الدُّنيا، فَولاّه الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزّة حسنة، وثياب وشارة حسنة، فقال له الخليفة: ويحك! لو كنت مُحقًّا مُريداً وجه الله بِما قُلت على رؤوس النّاس لما قبلت شيئاً ممّا أرى، ولكن أردت أن يُقال عنك: إنّك وعظت أمير المؤمنين، وخرجت عَليه، ثُمّ أمر بِه فضربت عنقه.

وقد قال المنصور لابنه المهدي: إنَّ الخليفة لا يصلحه إلا التَّقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطّاعة، والرّعيّة لا يصلحها إلاّ العدل، وأولى النّاس بِالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص النّاس عقلاً من ظلم مَنْ هو دُونه.

[نفسه ص٦٩ ـ ٧٠].

❊ ❊ ❊

إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً

في سنة ١٥٨هـ «وجّه المنصور ابنه المهدي إلى الرّقّة، وأمره بعزل موسى بن كعب عن الموصل، وأَن يُولّي عليها خالد بن برمك، وكان ذٰلك بعد نكبة غريبة اتّفقت ليحيى بن خالد، وذٰلك أنّ المنصور كان قد غضب على خالد بن برمك، وألزمه بحمل ثلاثة آلاف ألف، فضاق ذرعاً بذٰلك، ولم يبق له مال ولا حَال، وعَجز عن أكثرها، وقد أجّله ثلاثة أيّام، وأن يحمل ذٰلك في هٰذه الثلاثة الأيّام وإلاّ فَدمه هدر، فجعل يُرسل ابنه يحيى

إلى أصحابه مِن الأمراء يستقرض منهم، فكان من أعطاه مائة ألف، ومنهم أقلّ وأكثر. قال يحيى بن خالد: فبينا أنا ذات يوم من تلك الأيّام الثّلاثة على جسر بغداد، وأنا مهموم في تحصيل ما طلب منّا مِمّا لا طاقة لَنَا بِهِ، إِذْ وَثَب إليّ زاجر من أولئك الذين يكونون عند الجسر من الطرقية، فقال لي: أبشر، فَلم ألتفت إليه، فتقدّم إليّ حَتّى أخذ بلجام فرسي ثُمّ قال لي: أنت مهموم، ليفرجنّ الله هَمّك، ولتمُرَّنَّ غَداً في هٰذا الموضع واللّواء بين يديك، فإن كَانَ مَا قُلت لَكَ حَقًّا، فلي عليك خمسة آلاف، فقلت: نعم. ولو قال: خمسون ألفاً لقلت: نَعم. لبُعد ذٰلك عندي، وذهبت لِشأني، وقد بَقي علينا من الحمل ثلاث مائة ألف، فَورد الخبر إلى المنصور بانتفاض الموصل، وانتشار الأكراد فيها، فاستشار المنصور الأمراء من يصلح للموصل؟ فأشار بعضهم بخالد بن برمك، فقال له المنصور: أو يصلح لذٰلك بعدما فعلنا بِه؟ فقال: نعم! وأنا الضّامِن أنّه يصلح لها، فأمر بإحضاره فَولاّه إيّاها، ووضع عنه بقية ما كان عليه، وعقد له اللّواء، وولّى ابنه يَحيى بن خالد أذربيجان، وخرج النّاس في خدمتهما. قال يحيى: فَمررنا بِالجسر فثار لِي ذٰلك الزّاجر فطالبني بِما وعدته بِه، فأمرت له بقبض خمسة آلاف.

[نفسه ج١٠/١٢٥].

❊ ❊ ❊

الأعرابي مضيف أمير المؤمنين المهدي

قدم أعرابيّ ومعه كتاب مختوم فجعل يقول: هٰذا كتاب أمير المؤمنين إليّ، أين الرّجل الذي يقال له: الرَّبيع الحاجب؟ فأخذ الكتاب وجَاء به إلى أمير المؤمنين، وأوقف الأعرابي، وفتح الكتاب فإذا هو قطعة أديم فيها كتابة ضعيفة، والأعرابي يزعم أنّ هٰذا خَطّ الخَليفة، فتبسّم المهدي وقال: صدق الأعرابي، هٰذا خَطّي، إنّي خرجت يوماً إلى الصَّيد فضعت عن الجيش، وأقبل اللّيل فتعوّذت بتعويذ رسول الله ﷺ فرفعت لي نار مِن بعيد فقصدتها

فإذا هٰذا الشّيخ وامرأته في خِباء يوقدان ناراً، فسلّمت عَليهما، وفرش لي كساء وسقاني مذقة من لبن مَشوب بِماء، فما شربت شيئاً إلاّ وهي أطيب منه، ونمت نَومة على تلك العباءة ما أذكر أنّي نمت أحلى منها، فقام إلى شُوَيهة له فذبحها فسمعت امرأته تقول له: عمدت إلى مكسبك ومعيشة أولادك فذبحتها، أهلكت نفسك وعيالك. فما التفت إليها، واستيقظت فاشتويت من لحم تلك الشُّويهة وقلت له: أعندك شيء أكتب لك فيه كتاباً؟ فأتاني بِهٰذه القطعَة الأديم فكتبت له بعود من ذٰلك الرَّماد خمسمائة ألف، وإنّما أردت خمسين ألفاً، والله لأنفذنّها له كلّها، ولو لم يكن في بيت المال سواها. فأمر له بخمسمائة فقبضها الأعرابي واستمر مُقيماً في ذٰلك الموضع في طريق الحَاجّ من ناحِية الأنبار، فجعل يقري الضَّيف ومَن مرَّ بِه النّاس، فعرف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي.

[نفسه ج١٠/١٦٠ ـ ١٦١].

❋ ❋ ❋

عمر بن عبدالعزيز والمرأة العراقية

ذكر محمد بن عبدالله بن عبدالحكم في كتاب أخبار عمر بن عبدالعزيز قال: قدمت امرأة مِن العِراق على عمر بن عبدالعزيز، فَلمّا صارت إلى بَابه قالت: هل على أمير المؤمنين حاجب؟ فقالوا: لا، فَلُجّي إنْ أحببت. فدخلت المرأة على فاطمة وهي جَالسة في بَيتها، وفي يَدها قطن تعالجه، فَسلّمت، فَردّت عليها السَّلام، وقالت لها: ادخلي.

فلمّا جلست رفعت بصرها فَلم تَرَ في البيت شَيئاً له بَال. فقالت: إنّما جئت لأُعمِّر بيتي من هٰذا البيت الخَراب.

فقالت لها فاطمة: إنَّما خَرَّب هٰذا البيت عمارةُ بيوت أمثالك.

فأقبل عمر حتى دَخل الدَّار، فَمال إلى بئر في ناحية الدَّار، فانتزع منها دِلاءَ صَبَّها على طِين كانَ بحضرة البيت، وهو يكثر النَّظر إلى فاطمة.

فقالت لها المرأة: استتري من هٰذا الطَّيّان فإنّي أَراه يُديم النّظر إليك.

قالت: ليس هو بِطيّان، هو أمير المؤمنين.

قال: ثُمّ أقبل عمر، فَسلّم، ودخل بيته، فَمال إِلى مصلّى كان له في البَيت فَصلّى عليه.

فسأل فاطمة عن المرأة فقالت: هي هٰذه.

فأخذ مكتلاً له فيه شيء مِن عِنب، فجعل يَتخيّر لها خَيرهُ ويُناولها إيّاه. ثُمّ أقبل عليها فقال: حاجتك؟ فقالت: امرأة من أهل العراق، لي خمس بنات كُسُلٌ كُسُدٌ، فجئت أبتغي حسن نظرك لهنّ.

فجعل يقول: كُسُلٌ كُسُدٌ، ويَبكي. فأخذ الدَّواة والقرطاس، وكتب إِلى والي العراق فقال: سَمّي كُبراهنّ. فَسَمَّتها. ففرض لها. فقالت المرأة: الحمدُ لله. ثُمّ سأل عن اسم الثّانية، والثالثة، والرَّابعة - والمرأة تحمد الله - فلمّا فرض للأربع استفزّها الفَرح، فدعت له، فَجزته خَيراً، فرفع يَده وقال: كُنّا نفرض لهنّ حيث كُنت تولين الحمد أهله، فمري هٰؤلاء الأربع يُفِضْنَ على هٰذه الخامسة.

فخرجت بِالكتاب حتى أتت به العِراق، فدفعته إلى والي العراق. فَلمّا دفعت إليه الكتاب بكى واشتدّ بكاؤه وقال: رحم الله صاحب هٰذا الكتاب.

فقالت: أَمَاتَ؟

قال: نعم.

فَصاحت وولولت، فقال: لا بأس عليك، ما كنت لأردّ كتابه في شيء.

فقضى حاجتها، وفرض لبناتها.

[«الرِّقّة والبكاء» لابن قدامة المقدسي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ص٣٠٣ - ٣٠٥].

❋ ❋ ❋

عمر بن عبدالعزيز رحمه الله والأسير المُسلم

أرسل عمر إلى صاحب الرُّوم رسولاً، فأتاه، وخرج من عنده يدور فَمرّ بموضع، فسمع فيه رجلاً يقرأ القرآن ويطحن! فَسلّم عليه، فلم يردّ عليه السَّلام، مرّتين أو ثلاثاً.

فقال: وأنّى بِالسَّلام في هٰذا البلد؟ فأعلمه أنّه رسول عمر إلى صاحب الرُّوم.

فقال له: ما شأنك؟

فقال: إنّي أُسرت من موضع كذا وكذا، فأُتي به إلى صاحب الرُّوم، فعرض عليّ النّصرانية، فأبيت، فقال: إن لم تفعل سملتُ[1] عينيك. فاخترت ديني على بَصري. فَسمل عينيّ، وصيّرني إلى هٰذا الموضع، يرسل إليّ كلّ يوم بحنطة فأطحنها، وبخبزة فآكلها.

فلمّا سار الرّسول إلى عمر بن عبدالعزيز، فأخبره خبر الرّجل، قال: فَما فرغت مِن الخَبر حتّى رأيت دموعه قد بَلّت ما بين يَديه، ثُمّ أمر فكتب إلى صاحب الرُّوم:

أمّا بعد، فقد بَلغني خبر فلان ابن فلان ـ فوصف له صفته ـ وأنا أقسم بِالله لئن لم تُرسل إِليّ بِه، لأبعثِنّ إليك من الجُنود جُنوداً يكون أوّلها عندك وآخرها عِندي.

فَلمّا رجع إليه الرَّسول قال: ما أسرع ما رجعتَ. فدفع إليه كتاب عمر بن عبدالعزيز، فلمّا قرأه قال: ما كنّا لنحمل الرَّجل الصَّالح على هٰذا، بَل يُبعث إليه بِه.

فأقمت أنتظر متى يخرج بِه، فأتيت ذات يوم، فإذا هو قاعد قد نزل عن سرِيره، أعرف فِيه الكآبة. فقال: أتدري لم فعلت هٰذا؟ فقلت: لا ـ وقد

---

(١) «سَمَلَ عَيْنَهُ: فَقَأَها».

[القاموس المحيط: ١٠١٦].

أنكرت ما رأيت ـ فقال: إنّه أتاني من بعض أطرافي أنّ الرّجل الصَّالح قد مات، فلذلك فعلت ما رأيت، ثمّ قال: إنّ الرَّجل الصَّالح إذا كان بين القوم السُّوء لم يُترك بينهم إلاّ قليلاً حتى يخرج من بَين أظهرهم. فقلت له: أتأذن لي أن أنصرف؟ وأيست من بعثه الرَّجل معي. فقال: ما كُنّا لنجيبه إلى ما أمر في حياته ثمّ نرجع فِيه بعد مماته. فأرسل معه بالرجل.

[نفسه ص٣٠٥ ـ ٣٠٦].

* * *

حكاية ابن هارون الرَّشيد

قرأت على أبي المكارم المبارك بن محمد بن المعمَّر الشَّيخ الصالح رحمه الله، أخبركم أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني، وأخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال، أخبرنا أبو طاهر عبدالملك بن أحمد السّيوري قالا: أخبرنا أبو القاسم بن بشران، أخبرنا أبو بكر الآجري قال: سمعت أبا بكر بن أبي الطيّب رحمه الله يقول: بلغنا عن عبدالله بن الفرج العابد قال:

احتجت إلى صانع يصنع لي شيئاً مِن أمر الروزجاريين(١)، فأتيت السُّوق فجعلت أرمق الصنّاع، فإذا شاب مُصفَرٌ(٢)، بين يديه زنبيل(٣) كبير ومَرٌّ(٤)، وعليه جبّة صوف ومئزرِ صوف. فقلت له: تعمل؟ قال: نعم.

---

(١) هم العُمّال الذين يقومون بأعمال مختلفة بأجر يومي. وروز بالفارسية بمعنى يوم. كتاب التَّوابين ص١٧١ الهامش. (المحقّق).

(٢) هو الذي اصفَرَّ لونه من الجهد والتَّعب.

(٣) «الزَّبِيلُ، كأمِيرٍ وسِكِّين وقِنْدِيلٍ، وقد يُفتح: القُفّة، أو الجراب، أو الوعاء، الجمع: كَكُتُب».

[القاموس المحيط: ١٠٠٩].

(٤) «المَرُّ، بالفتح: الحَبْلُ، والمِسْحَاةُ، أو مقبِضها».

[نفسه ص٤٧٤].

قلت: بكم؟ قال: بدرهم ودانق[1]. فقلت له: قُم حتى تعمل. قال: على شَريطة. قُلت: ما هي؟ قال: إذا كان وقت الظّهر فأذّن المؤذّنُ خرجت فتطهّرت وصلّيت في المسجد جماعة ثمّ رجعت، فإذا كان وقت العصر فَكذٰلك. قُلت: نعم.

فقام معي، فجئنا المنزل، فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع، فشدّ وسطه، وجعل يعمل ولا يُكلّمني بِشيء، حتى أذّنَ المؤذّنُ للظُّهر، فقال: يا عبد الله قد أذّن المؤذّن. قُلت: شأنك.

فخرج، فَصلّى، فلمّار رجع عمل أيضاً عملاً جَيِّداً إلى العَصر. فَلمّا أذّن المؤذّنُ قال لي: يا عبد الله، قد أذّن المؤذّنُ. قُلت: شأنك.

فخرج، فصلّى العصر، ثمّ رجع، فلم يزل يعمل إلى آخر النّهار، فوزنت له أجرته، وانصرف.

فلمّا كان بعد أيّام، احتجنا إلى عمل، فقالت لي زوجتي: اطلب لنا ذاك الصّانع الشّاب، فإنّه قد نصحنا في عملنا.

فجئت السُّوق، فلم أره. فسألت عنه، فقالوا: تسأل عن ذاك المصفرّ المشؤوم الذي لا نراه من سبت إلى سبت، ولا يَجلس إلاّ وحده في آخر النّاس؟

قال: فانصرفت. فلمّا كان يوم السّبت، أتيت السُّوق، فصادفته، فقلت: تَعمل؟

قال: قد عرفت الأجرة والشّرط. قلت: استخر الله تعالى. فَقام، فَعمل على النّحو الذي كان يعمل. قال: فَلمّا وزنت له الأجرة زدته، فأبى أن يأخذ الزّيادة! فألححت عَليه، فضجر، وتركني ومَضَى. فغمّني ذٰلك. فابتعته ودَاريته، حتى أخذ أجرته فقط.

---

(١) الدّانق: سدس الدّرهم.

فلمّا كان بعد مُدّة، احتجنا أيضاً إليه. فمضيت في يوم السَّبت، فَلم أصادفه. فسألت عنه، فقيل لي: هو علِيل.

وقال لي مَنْ يَخْبُرُ أمره: إنَّما كَان يجيء إلى السُّوق من سبت إلى سَبت، يعمل بدرهم ودانق، يتقوّت كلّ يوم بِدانق. وقد مَرض.

فسألت عن منزله، فأتيت وهو في بيت عجوز، فقلت لها: هنا الشَّاب الروزجاري؟ فقالت: هو عليل منذ أيّام.

فدخلت عليه، فوجدته لما بِه، وتحت رأسه لبنة. فَسلّمت عليه وقُلت: لك حاجة؟

قال: نعم، إن قبلت.

قال: أقبل إن شاء الله.

قال: إذا أنا متُّ فَبعْ هٰذا المَرَّ، واغسل جُبّتِي هٰذه الصوف، وهٰذا المئزر، وكفِّنّي بِهما. وافتق جَيب الجبّة، فإنَّ فيها خاتماً، وانظر يوم يركب هارون الرَّشيد الخليفة، فقف له في موضع يراك، فَكلِّمه، وأره الخاتم، فإنّه سَيدعو بِك. فَسَلِّم إليه الخاتم. ولا يكون هٰذا إلاّ بَعد دفني.

قُلت: نَعم.

فَلمّا مات، فعلت بِه ما أمرني، ثُمّ نظرت اليوم الذي يركب فيه الرّشيد، فجلست له على الطَّريق. فلمّا مرّ نَاديت: يا أمير المؤمنين، لك عندي وَديعة، ولَوَّحْتُ بِالخاتم. فأمر بي، فأُدْخِلتُ، وحُملت، حتّى دخلت إلى داره. ثُمّ دَعَانِي، ونَحّى جميع من عنده وقال: من أنت؟ فقلت: عبدالله بن الفرج.

فقال: هٰذا الخاتم مِن أين لك؟ فحدّثته قصّة الشّاب، فجعل يبكي حتّى رحمته.

فَلمّا أَنِسَ إِلَيَّ قُلت: يا أمير المؤمنين، من هو منك؟

قال: ابني!

قُلت: كيف صار إلى هٰذه الحال؟ قال: ولد لي قبل أن أُبْتَلَى بالخلافة. فنشأ نُشوءاً حسناً، وتعلّم القرآن والعلم، فَلمّا وليتُ الخلافة تركني ولم ينل مِن دُنياي شيئاً، فدفعت إلى أُمّه هٰذا الخاتم، وهو ياقُوت، ويُساوي مالاً كَثيراً. فدفعته إليها وقلت: تدفعين هٰذا إليه ـ وكان بَرًّا بأمّه ـ وتسألينه أن يكون معه، فَلَعَلَّهُ أَنْ يحتاج إليه يَوماً مِن الأيَّام، فينتفع بِه. وتُوفّيت أُمّه، فما عرفت له خبراً إلا ما أخبرتني به أنت!

ثمّ قال: إذا كان اللّيل اخرج معي إلى قبره.

فلمّا كان اللّيل خرج وحده معي يَمشي، حتّى أتينا قَبره. فجلس إليه، فبكى بُكاءً شَديداً، فلمّا طلع الفجر، قُمنا، فَرجع. ثُمّ قال: تعاهدني في الأيَّام حتى أزور قَبره.

فكنت أتعاهده في اللَّيل، فنخرج حتى يَزوره، ثمّ يرجع.

قال عبدالله بن الفرج: ولو أعلم أنّه ابن الرَّشيد حتى أخبرني الرَّشيد أَنه ابنه، أو كما قال ابن أبي الطيّب.

[نفسه ص٣٩٩ ـ ٤٠٢].

❋ ❋ ❋

اتَّقِ الله يُفرغ عليك العلم إفراغاً!

أخبرنا أبو طالب المبارك بن علي بن محمد بن خُضير الصَّيرفي، أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن محمد بن يوسف العلاَّف، أخبرنا الحسين، أخبرنا عبدالله، حدّثني أبي، حدّثنا عمرو القرشي، حدّثني إبراهيم بن محمد البصري قال: نظر عمر بن عبدالعزيز إلى رجل عنده متغيّر اللّون فقال له: ما الذِي بك؟

فقال: أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين إن شاء الله.

فأعاد عليه عمر، فأعاد عليه الرّجل مثل ذٰلك، ثَلاثاً.

ثُمّ قال له: إذا أبيت إلاّ أَن أخبرك، فإنّي ذقت حلاوة الدُّنيا فصارت عندي مرارة، فَصَغُرَ في عَيني زهرتها، واستوت عندي حجارتها وذهبها، ورأيت النّاس يساقُون إلى الجَنّة وأنا أُسَاق إلى النَّار! فأسهرتُ لذٰلك ليلي، وأظمأت له نَهاري، وكلّ ذٰلك صَغير حَقير في جنب ثواب الله وجنب عقابه.

فقال رجل من جلساء عمر: بِم نِلتَ هٰذا؟

قال: اتَّق اللَّهَ يفرغ عليك العلم إفْرَاغاً.

[نفسه ص٣٧٥ ـ ٣٧٦].

❋ ❋ ❋

المأمون والرَّجل الفقير

أشرف المأمون الخليفة العبّاسيّ يوماً من قصره فرأى رجلاً بيده فحمة يكتب على حائط القصر، فذهب خادم من القصر وأحضر الرّجل، ورأى أَنّه قد كتب هٰذا البيت:

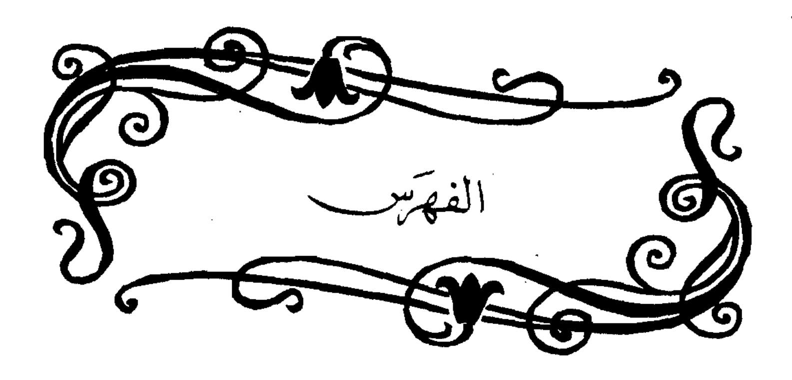
يا قَصْرُ جُمّعَ فِيكَ الشُّؤْمُ واللُّومُ ... متى يُعَشّشُ في أركانك البُومُ

فلمّا مثُلَ الرّجل بين يدي المأمون قال له: ويلك مَا حملك على هٰذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّه لا يخفى عليك ما حواه قصرك من خزائن الأموال، وإنّي قد مررت عليه الآن وأنا في غاية الجُوع، فوقفت مُفَكِّراً في أمري وقُلت في نفسي: هٰذا القصر عامِرٌ عال وأنا جائع، ولا فائدة لي فيه، فَلو كان خراباً لم أُعدم رخامة أو خشبة أبيعها وأتقوّت بثمنها، أو مَا عَلِمَ أمير المؤمنين بقول الشاعر:

إذا لم يَكُنْ للمَرْءِ في دَوْلَةِ امرىءٍ ... نَصِيبٌ ولا حَظٌّ تَمَنَّى زَوَالَهَا

ومَا ذَاكَ مِنْ بُغْضٍ لَهَا غَيْرَ أَنَّهُ ... يُرَجّي سِوَاهَا فهو يَهْوَى انتقالها!

□ □ □ □ □ □



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

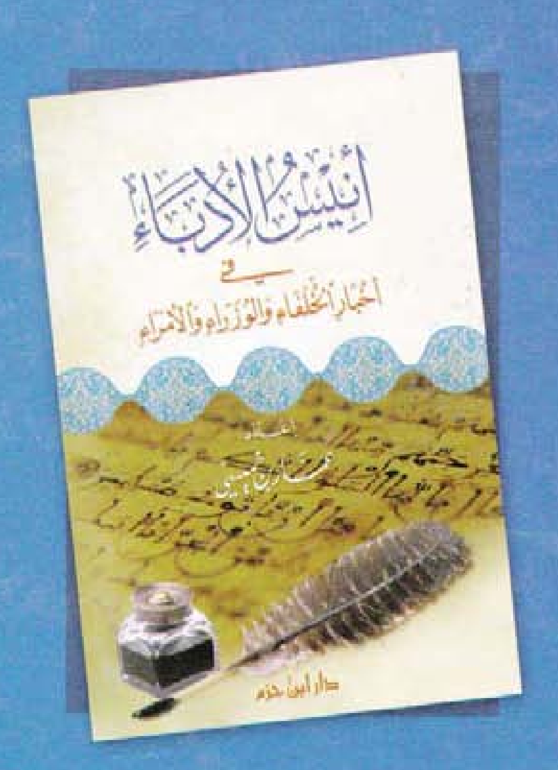
الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


أنيس الأدباء
في
أخبار الخلفاء والوزراء والأمراء
دار ابن حزم


9 789953 817163